وزارة التعليم العالي
منشورات جامعة حلب

اللغة العربية

لغير المختصين

لطلاب كليات الآداب والعلوم الإنسانية والاقتصاد والحقوق
والشريعة والتربية والمعهد العالي للعلوم السياسية

الدكتور
مصطفى جطل

الدكتور
صلاح كزارة

الدكتور
سامي عوض

الدكتور
أحمد معايطة

مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية

مُقَدِّمَة

تبقى اللغة العربية ممثلة لطموحات الإنسان العربي في الوحدة السياسية والفكرية والثقافية والتحرر من طغيان الحضارة الغربية في لغتها وجبروت آلاتها وتقنياتها ، وتبقى عنواناً لتقدم العرب في العلوم كافة ، إذ يتهمها أعداؤها أنها لغة الدين والشعر ، فلا ترقى في رأيهم للتعبير عن إبداعات العقل في أجلى صوره، ولا تستطيع الغوص في دقائق ثورة المعلومات الحديثة . وهذا الكتاب يريد أن يثبت أن العربية لغة الحياة بجلالها وجمالها ، بعلمها وفنها،بعقلها وروحها،فهي لغة الدين والشعر ولغة العلم والعقل، ولغة التواصل والحوار ، ولغة التراث والحداثة .

يتكون هذا الكتاب من قسمين : عام وخاص ، فالقسم العام يريد أن يزاوج بين اللغة الفنية الجميلة الرائعة وقواعدها وقوانينها النحوية والصرفية . والقسم الخاص يريد أن يخدم الهدف الذي يقول : إن اللغة أداة الإنسان للتعبير عن الحياة الإنسانية في كل ميادينها وصورها . وقد عبّرت قديماً عن العلوم كلها ، يوم كان العرب سادة الدنيا في الدين والعلم ، وهم الذين قدّموا للإنسانية حضارتهم الحديثة عبر هذه اللغة العربية الجميلة .

وما تجربة الجامعات السورية في تدريس العلوم الحديثة باللغة العربية إلا خير دليل على حيوية هذه اللغة وخلودها قال تعالى :﴿إنّا نحنُ نزّلْنا الذّكرَ وإنّا لهُ لحافظون﴾ فلنعمل جميعاً لرفع هذه اللغة إلى المكانة التي تستحق ، ولنبذل قصارى الجهد في تعلُّمِها وتعليمها ، فهي الرباط القويّ بين أبناء العروبة .

النص الأول

"آيات من القرآن الكريم"

سورة فُصِّلت، الآيات ٢٦ ـ ٤٣

الجزء الرابع والعشرون

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَتَسْمَعُواْ لِهَذَا القُرءَانِ وَالغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرواْ عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجزِيَنَّهُمْ أَسوَأَ الَّذِي كَانوا يَعمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَآءُ أَعدَآءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِأَيـٰتِنَا يَجحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَينِ أَضَلاَّنَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ نَجعَلْهُمَا تَحتَ أَقدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ استَقَـٰمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَتَحزَنُوا وَأَبشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحنُ أَولِيَآؤُكُم فِي الحَيَوٰةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُم فِيهَا مَاتَشتَهِي أَنفُسُكُم وَلَكُم فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَن أَحسَنُ قَولاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَستَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَينَكَ وَبَينَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّيهَآ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّيهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَنِ نَزْغٌ فَاستَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِن ءَايَـٰتِهِ اليلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمسُ وَالقَمَرُ لاَ تَسجُدُوا لِلشَّمسِ وَلاَ لِلقَمَرِ وَاسجُدُوا لِلهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ استَكبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاليلِ وَالنَّهَارِ وَهُم لاَيَسـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِن ءَايَـٰتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَا أَنزَلنَا عَلَيهَا المَآءَ اهتَزَّت وَرَبَت إِنَّ الَّذِي أَحيَاهَا لَمُحيِ المَوتَىٰ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي ءَايَـٰتِنَا لاَيَخفَوْنَ عَلَينَا أَفَمَن يُلقَى فِي النَّارِ خَيرٌ أَم مَّن يَأتِي ءَامِناً يَوْمَ القِيَـٰمَةِ اعمَلُوا مَا شِئتُم إِنَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكرِ لَمَّا جَاءَهُم وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لاَّيَأتِيهِ البَـٰطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلاَ مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَ مَا قَد قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

إضاءة النص :

في هذه الآيات عدد من الموضوعات ، وهي جميعاً تصب في محور واحد هو المقارنة بين الإيمان والكفر .

من الآية ٢٦ إلى الآية ٣٣ صورة الكافر مقارنة بصورة المؤمن، فالكافر يوصي بعدم الإيمان بالقرآن الكريم،بل يزداد شططاً، فينال من القرآن الكريم،فهؤلاء لهم عذاب أليم، وسيخلدون في النار،وسيعرفون الحقيقة متأخرين ، فهم يذوقون العذاب في الآخرة، ويطلبون من الله تعالى أن يريهم اللذين أضلاهم من الجن والأنس ليقتصوا منهما .

أما المؤمنون فهم مبشّرون بالجنة ، يبشرهم بها الملائكة الذين يطمئنونهم ، ويُذهبون عنهم الخوف والحزن ، وهؤلاء الملائكة يتولون المؤمنين في الدنيا والآخرة ، ففي الآخرة سينال المؤمنون ما يشتهون ، كلٌّ ذلك جزاءٌ من الله الغفور الرحيم .

وتخلص الآيات إلى قانون أساسي، فلا يمكن أن يتساوى الإحسان والإساءة، وعلى الإنسان أن يكون محسناً،وأن يقدِّم الإحسان للناس، فإذا ما فعل ذلك استعبد قلوب الناس ، وأصبح من كان عدواً له صديقاً ووليّاً وقريباً ، وهذه هي أخلاق المؤمن الصابر، صاحب الحظ العظيم الذي يلجأ إلى الله، ويقول له : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، إذا ما وسوس له الشيطان ، وحاول أن يَدخل عليه من مواطن ضعفه الإنساني .

وتنتقل الآيات إلى خلق الله ، فيذكر الله من خلقه الليل والنهار والشمس والقمر، ويأمر الناس بألاّ يسجدوا للشمس ولا للقمر ، بل عليهم أن يسجدوا للذي خلقهم ، فهو المعبود وحده،والله غنيٌّ عن إيمان الناس وعبادتهم ، فمخلوقاته تسبِّحه ليلاً ونهاراً من غير تعب، ولا كلل ولا سأم ...

ويبين الله للناس قدرته على إحيائهم بعد موتهم ـــ ويقدم لهم دليلاً ، فها هي ذي الأرض الساكنة الخاشعة تهتز، وتربو، و تحيا، وتخرج لنا الحياة إذا ما أنزل الله عليها المطر. فالله قادر على كل شيء ، وهؤلاء الكافرون لا يخفون عليه ، ويقدم الله صورة

المؤمن مقارنة بصورة الكافر ، فالكافرُ يسحب على وجهه في النار ، والمؤمن يأتي آمناً يوم القيامة . فالله بصير بأعمال الناس جميعاً ، المؤمنين منهم والكافرين .

وهو يخاطب الكافرين، ويبين لهم أن هذا القرآن لا يأتيه الباطل من أية جهة ، لأنه كلام الله الحكيم الحميد . وأخيراً يخاطب الرسول بقوله : لستَ أولَ من أُنكِرَ قوله ، فهؤلاء الكافرون يقولون لك ما قد قاله الكافرون السابقون لرسلهم ، ولكن الله ذو مغفرة لمن آمن ، وهو ذو عقاب أليم لمن كفر .

واضح جداً أن هذه الآيات قد جاءت بمشاهد كثيرة من الجنة والنار والطبيعة والحوارِ الذي يتم بين الكفرة والرسول . وقد جاء الله سبحانه وتعالى بذلك ليبين للناس حقيقة الإيمان والقرآن والرسالة وأن ما جاء به الرسول هو الطريق الحقّ ، وهو طريق الهداية الذي يوصل الإنسان إلى النجاة .

إن القرآن الكريم معجز في أسلوبه ومعانيه،ولو أردنا تحليلاً لغوياً أو فنياً أو أدبياً لنظهر إعجازه في هذه الآيات المعدودة لاحتجنا إلى صفحات كثيرة من غير أن نوفيها حقها ، فكل ما في القرآن معجز لنا ، ونحن ننصح القارئ أن يتوقف عند كل مشهد أو معنى ، ويتعمق النظر فيه ، إنه إذا ما فعل ذلك تفتحت له آفاق المعاني والصور ، وكلما ازداد إنعام نظر ازداد إيماناً ويقيناً .

الجانب اللغوي :

هذه الآيات غنية بأساليبها اللغوية، ولكننا سنقتصر في التحليل اللغوي على بعض الأفعال لنعرف التركيب الفعلي في اللغة العربية من خلال استخدام هذه الآيات للجملة الفعلية . ويجب أن نعلم أن الجملة العربية لها ركنان هما "المسند والمسند إليه"، فإن كانت فعلية فالركنان هما الفعل والفاعل، ولا بدّ لكل فعل من فاعل .

نأخذ الآية الأولى " قال الذين كفروا : لا تَسْمعُوا لهذا القرآن ، والغَوا فيهِ لعلّكم تَغْلِبُون"، فالأفعال في هذه الآية هي: **قال** وفاعله اسم موصول هو الذين ،**لا تسمعوا ، الغوا ، تغلبون** ، وهذه الأفعال جميعاً فاعلها واو الجماعة المتصل بكل فعل منها .

فالفعل قال : فعل ماضٍ مبني على الفتحة الظاهرة ، والأفعال الماضية كلُّها مبنية، وعلامة البناء الفتحة الظاهرة أو المقدرة ، أو الضمة أو السكون ، ويُبنى الفعل الماضي على الفتحة الظاهرة إذا لم يتصل به شيء كالفعل "قال"، أو إذا اتصلت به ألف الاثنين كالفعل الذي ورد في الآية الرابعة "أضلاّنا"، فهذا تركيب مؤلف من الفعل "أضلّ" والضمير ألف الاثنين ، والضمير "نا" الذي يدل على جماعة المتكلمين ، والفعل أضلّ مبني على الفتحة لاتصاله بألف الاثنين . وألف الاثنين فاعل و "نا" ضمير المتكلمين مفعول به .

كما يُبنى على الفتحة ظاهرة أو مقدرة إذا اتصلت به تاء التأنيث الساكنة كالفعل الذي جاء في الآية "اهتزت" أو الفعل "ربت" فالفعل اهتزّ مبني على الفتحة الظاهرة ، والتاء التي اتصلت به تاء التأنيث الساكنة لا محلّ لها من الإعراب، وكذلك الفعل "ربت" فهو مكون من الفعل "ربا" وتاء التأنيث الساكنة ، والفعل "ربا" مبني على الفتحة المقدرة على الألف التي حذفت حينما التقت هذه الألف الساكنة مع تاء التأنيث الساكنة . أما فاعل الفعلين "اهتزت وربت" فضمير مستتر يعود على الأرض .

ويُبنى الفعل الماضي على الضمِّ إذا اتصلت به واو الجماعة، فالفعل "كفروا" مبنيٌّ على الضمِّ لاتصاله بواو الجماعة ،وواو الجماعة ضمير متصل في محلِّ رفعٍ ،فاعل للفعل "كفروا".

ويُبنى الفعل الماضي على السكون إذا اتصلت به التاء المتحركة التي هي ضمير الفاعل، أو ضمير نون النسوة وهي فاعل أيضاً، أو الضمير "نا" الدال على المتكلمين إذا كان فاعلاً . فقد ورد الفعل "أنزلنا" في الآية "٣٩" فالفعل أنزل مبنيٌّ على السكون لاتّصاله بالضمير "نا" الدالّ على الفاعلين وهو في محلِّ رفعٍ ، فاعل . وكذلك لو قلت "أنزلتَ أو أنزلتُ أو أنزلتِ أو أنزلتُما أو أنزلتُم أو أنزلتُنَّ ، أو نون النسوة أَنْزَلْنَ" .

والفعل المضارع يدلُّ على المستقبل غالباً وعلى الحاضر نادراً ، فالفعل "تنزل" في الآية "٣٠" مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وفاعله "الملائكة" وقد رفع لأنه لم يسبق بناصب ولا جازم ، بينما نجد المضارع "تسمعوا" الوارد في الآية "٦" مجزوماً لأنه سبق بالأداة "لا" الناهية الجازمة ، وعلامة جزمه حذف النون من آخره ؛ لأنه من الأفعال الخمسة ، والأفعال الخمسة هي كل مضارع اتصلت به الضمائر

المتصلة التالية: واو الجماعة وألف الاثنين وياء المؤنثة المخاطبة نحو "تسمعون،يسمعون، تسمعان ، يسمعان ، تسمعين" ويعرب هذا الضمير المتصل" الواو أو الألف أو اليـاء " فاعلاً للفعل المضارع ، وأدوات الجزم هي" لم ولمـّا ولام الأمر ولا الناهية " كمـا في قولنا : لم نسمعْ ولّما نسمعْ ، ولا تسمعْ ، وليَسْتَمِعْ "وأدوات الشرط الجازمـة نحـو الأداة "إنْ" كقولنا : إن تجتهدْ تنجحْ" ، ويجزم الفعل المضارع إذا كان جواباً للطلـب كما في الآية "٢٩" فالفعل "نَجْعَلْهُمَا" فعل مضارع مجزوم لأنه جواب للطلب الـذي سبقه، وهو فعل الأمر "أرِنا" .

وأدوات نصب المضارع هي : "أن ولن وكي وإذن "نحو"﴿ وأن تصوموا خـير لكم﴾ فالفعل "تصوموا" مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعـال الخمسة ، والواو ضمير متصل في محل رفع، فاعل . وتقول : جئت كي أتعلم ، ولـن أتكاسل في عملي فالفعلان"أتعلم وأتكاسل" فعلان مضارعـان منصوبـان وعلامـة نصبهما الفتحة الظاهرة ؛ لأنّ كلاً منهما سُبِقَ بأداة نصب ، فالفعل "أتعلـم" سـبق بالأداة "كي" والفعل "أتكاسل" سبق بالأداة "لن" .

وللفعل المضارع حالة أخرى هي حالة البناء ، فيبنى في حالتين : الأولى بناؤه على السكون إذا اتصلت به نون النسوة نحو : "الطالبـات يقـرأْن ويكتبْـنَ ويتعلّمْـنَ ، وينجحْنَ" فهذه الأفعال المضارعة مبنيَّة على السكون لاتصال نون النسوة بها ، ونـون النسوة ضمير في محل رفع ،فاعل . والثانية بناؤه على الفتح إذا اتصلت به نون التوكيـد الثقيلة أو الخفيفة ، فإذا أخذنا الفعل "فَلَنُذيقَنَّ" وجدنا أن الفاء حـرف اسـتئناف ، واللام واقعة في جواب قسم مقّدر فالتقدير : "والله لَنذيقَنَّ" والفعل "نذيق" مبني علـى الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ، والنون لا محل لها من الإعراب ، والفاعل ضمـير مستتر تقديره "نحن" ، والفعلان "لنجزيَنَّهُمْ ، ينـزغنَّك" فعلان مضارعان مبنيان علـى الفتح لاتصالهما بنون التوكيد .

بقي أن نذكر أن الفعل المضارع المعتل الآخر لا تظهر عليه الضمة التي هي علامـة الرفع ،ولا الفتحة التي هي علامة النصب إذا كان حرف العلة الألف ، وتقدران نحـو:

﴿إنّما يَخْشَى اللهَ من عبادِهِ العُلَمَاءُ﴾ وتقول : "لن أخشى في الحقِّ لومةَ لائمٍ". فالفعل "يخشى" مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف ، والفعل "أخشى" فعل مضارع منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف .

وكذلك لا تظهر الضمة التي هي علامة الرفع على الياء ، ولكنَّ الفتحة تظهر على الفعل المضارع المنصوب المنتهي بالياء . جاء في الآية "٣٣" ﴿ لكم فيها ما تشتهي أنفسُكُمْ﴾ ، فالفعل "تشتهي" مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء ، و"أنفسكم" فاعل مرفوع ، والكاف ضمير متصل في محل جر مضاف إليه ، والميم علامة الجمع . وتقول: "لن تُغنيَ عنّي شفاعتُهم" فالفعل "تغني" فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره و "شفاعتُهم" فاعل مرفوع ،والهاء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه ، والميم علامة الجمع .

وفعل الأمر يدلُّ على أسلوب الأمر الذي هو جزء من أسلوب الطلب . فالفعل "الغوا" الذي جاء في الآية "٢٦" فعل أمر مبني على حذف النون من آخره لاتصاله بواو الجماعة ، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل . ففعل الأمر يبنى على حذف النون إذا اتصل به أحد الضمائر التالية "واو الجماعة وألف الاثنين وياء المؤنثة المخاطبة " نحو: " اعبدوا الله ،اعبدا الله ، اعبدي الله ".

والفعل "أرنا" الوارد في الآية "٢٩" فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره ، والفاعل ضمير مستتر تقديره"أنت"و"نا"ضمير متصل في محل نصب مفعول به ويبنى فعل الأمر على حذف حرف العلة إذا كان ينتهي بأحد أحرف العلة "الواو أو الياء أو الألف" نحو "ادعُ ،ارمِ ، اخشَ" . والفعل "فاستعذ" فعل أمر مبني على السكون الظاهر ، والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنت" .

ويُبنى فعل الأمر على السكون إذا لم يتصل به شيء ، أو إذا اتصلت به نون النسوة نحو : "اسمعْنَ كلامَ الله وانصرْنَ الحقَّ" ، وكذلك يُبنى فعل الأمر المسند إلى المفرد المذكر على الفتح إذا اتصلت به إحدى نوني التوكيد ، تقول : "دافعَنَّ عن الوطن" .

والخلاصة هي مايلي :

أ- بناء الفعل الماضي :

١- يُبنى على الفتح إذا لم يتصل به شيء ، أو اتصلت به ألف الاثنين أو تاء التأنيث الساكنة ، تقول : "آمن شعبنا بالوحدة، وتحققت آماله بالحرية والتقدم" وتقول : "الجيش والقائد عبّرا عن آمال الأمة ".

٢- يُبنى على السكون إذا اتصل به ضمير رفع متحرك ، "التاء المتحركة، ونون النسوة ،و"نا" الدالة على الفاعلين"تقول: "أكبرتُ شجاعة المظليات اللواتي قفزن من الطائرة" وتقول : "سطرنا صفحاتٍ مضيئةً في سجلِّ التاريخِ" .

٣- يُبنى على الضم إذا اتصلت به واو الجماعة ، تقول : "نحيّي كلَّ الذين أيّدوا قضايانا العادلة" .

ب - بناء فعل الأمر :

١- يُبنى على السكون إذا لم يتصل به شيء ، أو اتصلت به نون النسوة

قال الشاعر :

عشْ عزيزاً أو متْ وأنت كريمٌ بين طعن القنا وخفقِ البنودِ

وتقول:" أيتها المناضلات أسهِمْنَ في بناء مجتمع التقدم والعدالة " .

٢- يُبنى على حذف النون إذا كان مضارعه من الأفعال الخمسة . قال تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى﴾"طه ٤٢"، وتقول : " أيتها الفتاة العربية تحرري من العادات السخيفة"،وتقول:"أيها الشباب أحسنوا الاستعداد لملاقاة العدو" .

٣- يُبنى على حذف حرف العلة من آخره ، تقول : "اسعَ إلى المعالي، وألقِ التهاون والكسل وراء ظهرك " .

٤ - يُبنى فعل الأمر المسند إلى المفرد المذكر على الفتح إذا اتصلت به إحدى نوني التوكيد . تقول : "حاسَبَنَّ كلُّ مقصرٍ في حقِّ الوطن" .

جـ - بناء الفعل المضارع :

١ - يُبنى على السكون إذا اتصلت به نون النسوة. تقول :"أنتن تُسْهِمْنَ في شفاء الجرحى".

٢ - يُبنى على الفتح إذا اتصلت به إحدى نوني التوكيد اتصالاً مباشراً.تقول: لا تركَنَنَّ إلى الكسل" .

أما الركن الثاني فهو الفاعل ،وإذا عدنا إلى فاعل الأفعال التي وردت في الآيات الكريمة السابقة وجدنا أنه جاء إما ظاهراً وإما ضميراً متصلاً وإما ضميراً مستتراً، فالفاعل فيما يلي : "قال الذين، تتنزل الملائكةُ ، تشتهي أنفسُكُمْ ، تستوي الحسنةُ ، وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغٌ ، يأتيه الباطلُ" جاء ظاهراً ، والفاعل في "كفروا ، لاتسمعوا ، والغوا،تغلبون،يعملون،يجحدون" جاء ضميراً متصلاً هو الواو ، وجاءت الألف فاعلاً في قوله "أضلاّنا" والضمير "نا" في قوله "أَنْزَلْنَا" في محل رفع فاعل، وجاء الفاعل ضميراً مستتراً تقديره "نحن" في قوله"فَلَنُذيقَنَّ ، ولَنَجزِيَنَّهُمْ، نجعلْهُما" وجاء ضميراً مستتراً تقديره "هي" في قوله "اهتزت،وربت" وجاء ضميراً مستتراً تقديره هو في قوله "أحياها ، يأتي" .

وقد يحذف الفاعل، فتتغير صيغة الفعل، ويبنى للمجهول كما في قوله تعالى . ﴿ومايُلقّاها إلا الذينَ صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم﴾ ، فالاسم الموصول "الذين" في محلّ رفع،نائب فاعل للفعل المبني للمجهول "يُلَقّى" وكذلك "ذو" نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة التي هي "أب،أخ،ذو،حم،فو" وهذه الأسماء علامة رفعها الواو وعلامة نصبها الألف وعلامة جرها الياء إذا أضيفت إلى غير ياء المتكلم . تقول :جاء أبوك ، ورأيت أباك ، ومررت بأبيك .

وهذا ملخص نحويٌّ لما مرّ ، ولعلامات الإعراب الفرعية .

الفـــاعل

تعريفه :

اسم مرفوع يدل على من قام بالفعل . تقول : "فتح طارق الأندلس" .

أنواعه :

اسم صريح ظاهر كالمثال السابق ، أو ضمير متصل نحو "زرت مصائف دمشـــق الجميلة" أو مستتر . " سنحرر كل شبر من أرضنا المحتلة " أو مصدر مؤول . تقـــول : "يسرني أن المقاومة الوطنية في لبنان حرّرت الأرض ، وأذلّت الصهاينة" .

أحكامـــه :

١- لا يتقدم الفاعل على فعله ، فإن تقدم أصبح مبتدأ ، وأصبح الفاعل ضمـــيراً مستتراً يعود على المبتدأ ، تقول : "الحرُّ يحبُّ الحريّة" .

٢- إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً مفرداً أو مثنى أو جمعاً التزم الفعل الإفراد . تقـــول "يدافع المواطن عن أرض الوطن ، ويدافع المواطنون" وتقول : "تحاول أمريكـــا والصهيونية النيل من صمود شعبنا" .

٣- يجب تأنيث الفعل إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً غير مفصول عن فعله بفاصل، تقـــول: "اختارت سناء طريق الشهادة" ويجب تأنيثه إذا كان الفاعل ضميراً مســـتتراً يعود إلى مؤنث : تقول "الثورة أثبتت أنها من الشعب وإلى الشعب" .

٤- الفاعل اسم مرفوع ، وقد يأتي مجروراً بحرف الجر الزائد ، قال تعالى : "مَـــا جَاءَنا مِنْ بَشِيرٍ" "المائدة ١٩" .

علامات الإعراب الفرعية :

١- **المثنى** : علامة رفعه الألف ، وعلامة نصبه وجره اليـــاء . تقـــول : "فجـــر الفدائيان موقعين للعدو في مدة دقيقتين" وهناك كلمات ملحقة بالمثنى ، تعرب إعرابه : "اثنان واثنتان ، وكلا وكلتا".

٢- **جمع المذكر السالم** : علامة رفعه الواو ، وعلامة نصبه وجره الياء . تقول : " إن المجدِّين متقدّمون على المقصّرين"وهناك كلمات تلحق بجمع المذكر السالم، وتعرب إعرابه ، أهمها : "أولو ، وذوو ، وبنون ، وأهلون ، وسنون ، وألفاظ العقود من عشرين إلى تسعين" تقول : "انتصر ذوو الإيمان" وتقول : "مضت سنون على جلاء المستعمر عن سورية" ، وتقول : "اختار القائد ثلاثين من جنوده ليكافئهم" .

٣- **جمع المؤنث السالم** : وهو كل جمع ينتهي بألف وتاء زائدتين . علامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة . تقول : "حقق نضال العمال إنجازاتٍ باهرةً " .

٤- **الأسماء الخمسة** : وهي : أب ، أخ ، حم ، فو ، ذو . علامة رفعها الواو ، وعلامة نصبها الألف ، وعلامة جرها الياء . ويشترط فيها أن تكون مضافة إلى غير ياء المتكلم ، وأن تكون مفردة لا مثناة ولا مجموعة . تقول "إن أخاك ذو وعي قومي" وتقول : "فوك ينطق بالحق" . قال الشاعر :

ذُو العَقْلِ يَشْقَى في النّعيمِ بِعقْلِه وأخو الجَهالةِ في الشَّقاوةِ يَنْعَمُ

٥- **الأسماء الممنوعة من الصرف** : هي الأسماء المعربة التي لا تنون ، وعلامة جرها الفتحة نيابة عن الكسرة . تقول : "انتصرت سورية في مواقفَ كثيرةٍ ، وأثبتت للعالم كله أنها تؤمن بمبادئَ أساسيةٍ ، وتدافع عنها" .

٦- **الأفعال الخمسة** : وهي كل فعل مضارع اتصلت به ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة ، وعلامة الرفع في هذه الأفعال ثبوت النون ، وعلامة النصب والجزم حذفها . تقول : "سوف تظلين - يا فلسطين - عربية، فبنوك لم ينسوا عروبتهم ، ولن يفرطوا بذرة من ترابك الغالي" .

٧- **الفعل المضارع المعتل الآخر** : هو ما كان منتهياً بأحد أحرف العلة "الألف ، الواو،الياء" علامة جزمه حذف حرف العلة من آخره. تقول: "اكتم السرّ ولا تُفْضِ به" وتقول : "لِتسمُ إلى قضية أمّتك ولْتسعَ إلى انتصارها" .

النائب عن الفاعل

يُحذف الفاعل ، فتتغير صيغة الفعل ، ويُبنى للمجهول . تقول : عاقب القاضي المجرم – عوقب المجرم . وينوب عن الفاعل ما يسمى بنائب الفاعل فيرفع ، أو يكون في محل رفع . وينوب عن الفاعل :

١– **المفعول به** : كافأت الدولة المجدِّين – كوفئ المجدُّون .

٢– **المصدر** : احتفل الطلاب احتفالاً كبيراً – اُحتُفل احتفالٌ كبيرٌ .

٣–**الجار والمجرور أو الظرف**:سار المناضلون في طريق الثورة–سِير في طريق الثورة.

آخر سورة البقرة ٢٨٤–٢٨٦

الجزءُ الثالثُ

﴿لِلَّهِ مَافِي السَّمَٰوٰتِ وَمَا فِي الأَرضِ وَإِن تُبدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَو تُخفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءآمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَّبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ ءآمَنَ باللهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَنُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَتُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوأَخطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَتَحمِلْ عَلَينَا إِصْراً كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَتُحَمِّلْنَا مَا لاَطَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعفُ عَنَّا وَاغفِرْ لَنَا وَارحَمْنَا أَنتَ مَولاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى القَومِ الكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

أسئلة للتدريب

– **اصنع الجداول التالية للآيات السابقة :**

أ– الجمل الفعلية والاسمية .ب –الجمل الفعلية التي فعلها ماض أو مضارع أو أمر.

ج – الأفعال المعربة، والأفعال المبنية، وحركة البناء لكل منها .

د– الفاعل اسم ظاهر ، والفاعل ضمير مستتر ، والفاعل ضمير متصل .

هـ – الفعل المبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل .

النص الثاني

ابن زُرَيق البغدادي

(؟ - ٤٢٠ هـ)

(؟ - ١٠٢٩ م)

هو أبو الحسن علي بن زريق البغدادي الشاعر المشهور . بلغ الغاية في الفطنة والعلم والأدب . كان عارفاً بفنون الشعر والإنشاء . وكانت له ابنة عم قد كَلِفَ بها أشد الكَلَف، ثم ارتحل عنها من بغداد لفاقةٍ عَلَتْهُ، فقصد أبا الخير عبد الرحمن الأندلسي في الأندلس، ومدحه بقصيدة بليغة، فأعطاه عطاء قليلاً . فقال ابن زريق إنا لله وإنا إليه راجعون، سلكت القِفار والبحار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء . ثم تذكر فراق ابنة عمه وما بينهما من بعد المسافة وتحمّل المشقّة مع ضيق ذات يده، فاعتلّ غماً، ومات .

قالوا: وأراد عبد الرحمن بذلك أن يختبره، فلما كان بعد أيام سأل عنه، فتفقدوه في الخان الذي كان فيه، فوجدوه ميتاً، وعند رأسه رقعةٌ، مكتوب عليها هذه القصيدة.

لاتعذليـــه

١ - لاَ تَعْذُلِيهِ فَإِنَّ العَـــذْلَ يُولِعُـــهُ ... قَدْ قُلْتِ حَقّاً وَلكنْ لَيْـــسَ يَسْـــمَعُهُ

٢ - جَاوَزْتِ فِي نُصْحِهِ حَدّاً أَضَرَّبِـهِ ... مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتِ أَنَّ النُّصْحَ يَنْفَعُـــهُ

٣- فَاسْتَعْمِلِي الرِّفْقَ فِي تَأْنِيهِ بَـــدَلاً ... مِنْ عُنْفِهِ فَهْوَ مُضْنِى القَلْبِ مُوجِعُـــهُ

٤- قَدْ كَانَ مُضْطَلِعاً بالخَطْبِ يَحْمِلُـــهُ ... فَضُلِّعَتْ[1] بِخُطُوبِ البَيْنِ أَضْلُعُـــهُ

٥-يَكْفِيهِ مِنْ رَوْعَةِ التَّفْنِيدِ[2] أَنَّ لَـــهُ ... مِنَ النَّوَى كُلَّ يَـــوْمٍ مَـــا يُرَوِّعُـــهُ

٦-أَسْتَودِعُ اللهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَـــراً ... بالكَرْخِ مِنْ فَلَـــكِ الأَزْرَارِ مَطْلَعُـــهُ

٧-وَدَّعْتُهُ وَبِـــوُدِّي لَـــوْ يُوَدِّعُنِـــي ... صَفْـــوُ الحَيَـــاةِ وَأَنِّـــي لا أُوَدِّعُـــهُ

٨- وَكَمْ تَشَـــفَّعَ بِـــي أَلاَّ أُفَارِقَـــهُ ... وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ[3] لا تُشَـــفِّعُهُ[4]

٩- وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضُحًى ... وَأَدْمُعِـــي مُسْـــتَهِلاَّتٌ وَأَدْمُعُـــهُ[5]

١٠-لا أَكْذِبُ اللهَ ثَوْبُ العُذْرِ[6] مُنْخَـــرِقٌ ... مِنِّـــي بِفُرْقَتِـــهِ لكِـــنْ أُرَقِّعُـــهُ

١١-إِنِّي أُوَسِّعُ عُذْرِي فِي جِنَايَتِـــهِ ... بِالْبَيْنِ عَنْـــهُ وَقَلْـــبِي لا يُوَسِّـــعُهُ[7]

١٢-أُعْطِيتُ مُلْكاً فَلَمْ أُحْسِنْ سِيَاسَـــتَهُ ... وَكُلُّ مَنْ لايَسُوسُ المُلْكَ يَخْلَعُـــهُ[8]

١٣-وَمَنْ غَدَا لابِساً ثَوْبَ النَّعِيمِ بِـــلاَ ... شُـــكْرٍ عَلَيْـــهِ فَعَنْـــهُ اللهُ يَنْـــزِعُهُ

---

(١) ـ ضَلّعه : جعله معوجاً .

(٢) ـ التفنيد : اللوم .

(٣) ـ للضرورات حال : أي أنا مجبر على عصيانه .

(٤) ـ شَفَّعَهُ : قَبِلَ شفاعته ، والشفاعة أن تكلم عظيماً من أجل غيرك .

(٥) ـ استهل الدمع : جرى.

(٦) ـ ثوب العذر : تشبيه بليغ مقلوب . يريد أن أعذاره واهية .

(٧) ـ أي كنت أجعل لنفسي عذرا واسعاً ولكن قلبي لم يكن يرى ذلك .

(٨) ـ يخلعه : الفاعل هو الملك أو صاحبه .

١٤-اِعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خِلِّي بَعْدَ فُرقَتِـهِ كأْساً[٩] يُجَرَّعُ مِنْهَا مَـا أُجَرَّعُـهُ

١٥-كَمْ قَائِلٍ لِيَ ذُقْتَ البَيْنَ قُلْتُ لَهُ الذَّنْبُ وَاللهِ ذَنْبِي لَسْتُ أَدْفَعُـهُ[١٠]

١٦-يَامَنْ أُقَطِّعُ أَيَّـامِي وأُنْفِدُهَـا حُزْناً عَلَيْهِ وَلَيْلي لَسْـتُ أَهْجَعُـهُ

١٧- لايَطْمَئِنُّ بِجَنْبِي مَضْجَعٌ وَكَـذَا لا يَطْمَئِنُّ بِهِ مُـذْ بِنْـتُ مَضْجَعُـهُ

١٨-عَلَّ اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَـا جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْماً وَتَجْمَعُـهُ

١٩- وَإِنْ تَغُلْ[١١] أَحَداً مِنَّا مَنِيَّتُـهُ[١٢] لابُـدَّ في غَـدِهِ الثَّـاني سَـيَتْبَعُهُ

٢٠-وَإِنْ يَدُمْ أَبَـداً هذَا الفِرَاقُ لَنَـا فَمَـا الَّذِي بِقَضَـاءِ اللهِ نَصْنَعُـهُ

---

[٩] ـ الكأس : هي كأس الفراق ومرارته .

[١٠] ـ أدفعه : أتنصّل منه .

[١١] ـ تغل : تقتل .

[١٢] ـ المنيّة : الأجل .

إضاءة النص :

هذه أبيات مختارة من قصيدة لابن زريق البغدادي الذي تُوفّيَ في القرن الخامس للهجرة ، وتنتمي هذه القصيدة إلى الشعر الذي يخرج من القلب إلى القلب ، شعر يمتلئ بالحب والألم والفراق والحنين ، والذي خلّد هذه القصيدة هو صدق المشاعر وواقعية التجربة ، فهذا شاعر خرج من بغداد إلى الأندلس سعياً في طلب الرزق وترك وراءه حبيبته التي تشفّعت به ألاّ يفارقها ، وتشبثت به يوم الرحيل ، ولكنه أصرّ على السفر ، فذاق الآلام التي قضت عليه فمات حزناً وحنيناً وكمداً وحرقة قلب .

في القصيدة ثلاثة مواقف: الأول هو الحديث عن اللوم، والموقف الثاني عن تجربة الفراق وآلامها، والموقف الثالث عن الرجاء باللقاء والاستسلام لقضاء الله .

و لم يأت جمال النص من الخيال الذي يأخذ بالقارئ إلى عوالم سحرية ، بل جاء من الازدواج اللغوي الذي أججه صراع بين الواقع الدي يعاني منه الشاعر ، ونقيض هذا الواقع . فالشاعر يبدأ قصيدته بهذه الصراحة المؤلمة وهي أداة النفي" لا " الرافضة لواقعه ولمن يظن أنّ له يداً في صنع هذا الواقع أو في اختياره. فهو يعرف الحقيقة، ولا يريد سماعها، وكأنّي بالشاعر يتحدث عن حالة من الانفصام، فهو يلوم نفسه، ويؤنبها ويعذلها، وهو الذي يطلب من نفسه ألاّ تلومه، وأن ترفق به، فالآلام مبرحة، وأضلعه تضلعت من ألم الفراق، وهو يعرف هذه الحقائق التي تلح عليه، ويؤلمه تذكرها، ولكن ماذا يفعل؟ يتمنى أن ينسى، وأنّى له النسيان؟

ويصور الشاعر في المقطع الثاني موقف الوداع الذي تمّ بينه وبين حبيبته، فصور لنا أن وداعه كان مرغماً عليه، ثم صور لنا تعلق الحبيبة وتشبثها به، ورغبتها الجامحة في بقائه، واختار لحظة الفراق، وهي لحظة إنسانية، ففيها فصم عرى اللقاء والحب والرغبة، وقل ما شئت من المعاني التي تؤلف بين البشر أو بين الأحبة، وفي الحديث عن الشدّ والجذب والصراع النفسي بين الرغبة والواجب، وماتركه الاختيار من حزن وجراح نفسية،فهو يلوم النفس التي أطاعها أو قلبه لأنه عصاه ،ويتهم نفسه بأنه لم

يحسن السياسة ولا التدبير، فقد كان أميراً في مملكة الحب، ولكن سوء تصرفه جعلـــه الأمير المخلوع، ولذلك فهو يقضي أيام الحزن والفجيعة والســـهاد والأرق، وحبيبتـــه تقضي كذلك تلك الأيام، فذنبه مضاعف؛ لأنه أساء إلى نفسه وإلى من يحب.

ويأتي المقطع الثالث وهو مقطع الرجاء والاستسلام لقضاء الله، فـــهو يرجـــو أن يعود صفوُ الحياة ، وأن يلتقي بمن يحب، إلا إذا جاء الموت، أو حكم القضـــاء علـــى أحدهما أو كليهما فلابد حينئذٍ من الاستسلام، إذ لا رادَّ لقضاء الله.

يتميز هذا النص كما قلنا بأن الشاعر استطاع أن يطـــرّز المواقـــف الإنســـانية، ويوشيها بالأساليب اللغوية معتمداً على عناصر التضاد والمقارنـــــة والشـــد والدفـــع والجذب والنوازع البشرية المتناقضة. وهذا ظاهر من أول القصيدة إلى آخرهـــــا، وإذا أردنا الحديث بلغة البلاغيين قلنا: إن عنصر الطباق هو الذي سيطر على الجمال الفـــني، ولكنه طباق عفوي يتحدث عن أعمق العواطف الإنسانية الصادقة.

الجانب اللغوي:

سوف نقتصر في حديثنا عن هذا الجانب على الجملة الاسمية، والجملـــة الاسميـــة كالفعلية مؤلفة من مسند ومسند إليه، فإذا ما دخل عليها "كان" أو أخواتها أصبحـــت فعلية، والخبر يمكن أن يكون مفرداً أو جملة أو شبه جملة.

نأخذ البيت الثالث، فنرى فيه الجملة التالية"فهو مضنى القلب موجعه" فالضمـــير "هو" ضمير رفع منفصل في محل رفع مبتدأ، وكلُّ ضمائر الرفع المنفصلة إذا جـــاءت في بداية الجملة فإعرابها مبتدأ، وكلمة "مضنى" خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقـــدرة على الألف، وكلمة "القلب" مضاف إليه مجرور. أما كلمة "موجعه" فهي خـــبر ثـــان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والهاء في محل جر مضاف إليه.

ونأخذ البيت السادس، فنقرأ الجملة التالية: "من فلك الأزرار مطلعه" فالمبتدأ هـــو كلمة "مطلعه" مرفوع، وقد اتصل به الضمير الهاء، وهذا الضمير في محل جر مضـــاف

إليه، أما الخبر فهو شبه الجملة المتقدم"من فلك" والجار والمجرور متعلقان بالخبر، أو قامـ مقام الخبر، وكلمة "الأزرار" مضاف إليه. ونلاحظ في هذه الجملة تقدم الخـبر علـى المبتدأ، وهو أمر جائز في اللغة العربية،وهذا التقديم يستخدمه الكاتب ليبرز معنى مـن المعاني، أو ليبرز الموسيقى، أو أشياء يراها أكثر انسجاماً، أو تحقق الغاية الفنية.

في البيت الثامن"للضرورات حال" المبتدأ "حال" نكرة، والقاعدة تقول لا يجوز أن يكون المبتدأ نكرة إلاّ إذا أفادت النكرة معنى ما، والنكرة هنا أفادت حينما تـأخرت وكان الخبر شبه جملة قد تقدم عليها، وقد جاء في القرآن الكريم:﴿وعلـى أبصـارهم غشاوةٌ﴾ فـ "غشاوة"مبتدأ وهو نكرة، وجاز الابتداء بالنكرة لأنها تأخرت عن الخـبر الذي هو شبه جملة" على أبصارهم" وكذلك قوله تعالى: ﴿وفوق كلِّ ذي علمٍ عليـمٌ﴾ المبتدأ"عليم" نكرة وجاز الابتداء بالنكرة لأن الخبر "فوق" شبه جملة فهو ظرف مكـان منصوب حلّ محل الخبر، أو تعلق بالخبر المحذوف.

في البيت الحادي عشر نقرأ:"وقلبي لا يوسعه" فالمبتدأ هو"قلبي" مرفوع وعلامـة رفعه الضمة المقدرة قبل ياء المتكلم، والياء ضمير متصل في محل جر مضـاف إليـه، والخبر جملة"لا يوسعه" فقد جاء الخبر جملة فعلية ويكون الإعراب على النحو التـالي: يوسعه فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمـير مستتر تقديره"هو" يعود على "قلبي" والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصـب مفعول به، والجملة في محل رفع خبر للمبتدأ "قلبي".

في البيت الثاني عشر لدينا الجملة" وكلٌ من لا يسوس الملك يخلعه" فالمبتدأ هـو "كلٌ"، وقد أضيف إلى الاسم الموصول "من" فـ "من" في محل جر مضاف إليه، وجملة "لا يسوس الملك "صلة لاسم الموصول"من" أما الخبر فهو جملة "يخلعه".

المبتـــدأ والخبـــر

تعريف المبتدأ:

هو الاسم المرفوع الذي نبتدئ به الجملة وهو الذي نريد أن نتحدث أو نخبر عنـــه بالخبر . تقول "الوحدة هدفنا"

أنواعـــه:

آ - اسم صريح نحو:"**إرادة** الشعب لا تقهر"

ب - ضمير منفصل: تقول:"**نحن** سائرون في طريق الكفاح المسلح حتى النصر"

جـ - مصدر مؤول : قال تعالى﴿**وأن تصبروا** خير لكم﴾(النساء ٢٥} والتقديـــر : صبركم خير لكم.

مجيء المبتدأ نكرة: المبتدأ يجب أن يكون معرفة، ويأتي نكرة إذا أفـــادت النكـــرة معنىً إضافياً، من ذلك:

آ - إذا سبقت بنفي أو استفهام: **ما أحد** قادم، هل **كسولٌ** ناجح؟

ب - إذا دلّت على دعاء. قال تعالى: ﴿**ويل** للمطفّفين﴾ {المطففون١}

ج - إذا وصفت أو أضيفت نحو:" قليل دائم خير من كثير منقطع، وتقول: **أســتاذُ** أدبٍ زارنا".

د - إذا كان الخبر شبه جملة متقدماً على النكرة: تقول:"في الصراحة **راحةٌ**، وبيننا **ثقةٌ**"

تعريف الخبر:

هو الاسم المرفوع الذي يُخبر به عن المبتدأ نحو:"الشهيد **مكرّمٌ**".

أنواعـــه:

أ - اسم مفرد نحو:"الفدائيون **أوفياء لأمتهم**"

ب - جملة اسمية، تقول: البعث **ثورته قوية**"

ج - جملة فعلية، تقول:"الشعب **يكرّم** شهداءه"

د - شبه جملة ، تقول: "النصر لنا" وتقول:"السفر **مساءً** ، والعودة **غداً**" .

وجوب حذف الخبر:

يجب حذفه في مواضع أهمها إذا كان كوناً عامّاً،والكون العام هو الوجود العام والاستقرار، و لابد من دليل عليه كالجار و المجرور أو الظرف أو إذا الفجائية أو أداة الشرط"لولا" تقول: "لولا المطر لهلك الناس" وتقول: "خرجت فإذا الظلمةُ".

جر الخبر:

الخبر مرفوع ويجوز أن يجر بحرف الجر الزائد (الباء) إذا كان في سياق النفي. قال تعالى:﴿ وما ربك بظلام للعبيد﴾ {حم٤٦} .

نعود إلى البيت الأول لنقرأ الجملة التالية"فإن العذل يولعه" فنجد أن الجملة الأساسية هي "العذل يولعه" ودخلت"إن" على هذه الجملة، فأصبحت "إن العذل يولعه" فانتصب المبتدأ وأصبح اسماً لـ "إن" والخبر هو جملة يوسعه وهي في محلّ رفع خبر "إن" ، ومعنى "إن" التوكيد ووظيفتها في الجملة هي التوكيد.

وفي البيت الثاني هذه الجملة " قدرت أن النصح ينفعه " فلدينا أنّ المفتوحة الهمزة وهي مصدرية ومعناها التوكيد فمثلها مثل "إنّ" وكلمة"النصح"كانت مبتدأ فأصبحت اسم "إنّ" وجملة "ينفعه" في محلّ رفع خبر "إنّ". ويقول الشاعر في البيت الخامس:

يكفيه من روعة التفنيد أن لـه من النوى كل يوم ما يروّعُهُ

فالأداة "أنّ" دخلت على الجملة الاسمية التي تقدم خبرها على اسمها، فالخبر شبه الجملة الجار والمجرور "له" والاسم هو "ما" اسم موصول وهو بمعنى"الذي" في محل نصب اسم "أن" وجملة "يروّعه"لا محلّ لها لأنها جملة صلة الموصول ، والأصل ألاّ يتقدم الخبر في الأحرف المشبهة على الاسم إلاّ إذا كان شبه جملة، فيجوز أن يتقدم،نقول: إنّ في الحقّ قوةً، ولعلّ في الغد الفرجَ. وفي البيت الثامن عشر يقول الشاعر:

علّ الليالي التي أضنَتْ بفرقَتِنا جسمي ستَجْمَعُني يوماً وتَجْمَعُه

فالأداة "علّ" أصلها لعلّ ، وتدل على الترجي والتوقّع، و"الليالي" اسمها، وخبرها جملة "ستجمعني" فهي في محل رفع خبر ، أما الاسم الموصول"التي"فهو في محل نصب، صفة لليالي، والجملة التي بعده صلة له.

الأحرف المشبهة بالفعل
إنّ - أنّ - كأنّ - لكنّ - ليت - لعلّ

معانيها:

سميت مشبهة بالفعل، لأن لها معاني الأفعال فـــ "إنّ وأنّ" معناهمـــا التوكيـــد، وكـــأن لتأكيد التشبيه، ولكنّ معناها الاستدراك، وليت تفيد التمني، ولعـــل تفيـــد الترجي. وتلحق بهذه الأحرف"لا" النافية للجنس فتعمل عمل "إنّ" ويشترط أن يكـون اسمها وخبرها نكرتين، وألا يفصل بين "لا" واسمها أيّ فاصل . تقول:"لاغاشٌ رابحٌ ".

أحكام اسمها وخبرها:

١ - للحرف المشبّه بالفعل الصدارة يليه الاسم فالخبر، لكن يجب أن يتأخر الاســـم ويتقدم الخبر الظرف أو الجار المجرور إذا دخلت اللام المزحلقة على الاســـم. نقول "إن في قول الحق لشجاعةً"، أو إذا كان في الاسم ضمير يعود على الخبر تقول: "إنّ في القاعة طلابَها"

٢ - تدخل لام الابتداء على خبر" إن" فتسمى اللام المزحلقة، وتدخل على اسم "إن" إذا كان الخبر شبه جملة قد تقدّم تقول:"إن في التاريخ لعـــبرةً" وتقـــول:"إن المنـــاضلين لأقوى".

اتصال ما الزائدة بهذه الأحرف:

إذا اتصلت ما الزائدة بها كفتها عن العمل، وجعلتها تدخل على الجمل الفعليـــة والاسمية . "إنما تعمل الثورة في سبيل الكادحين" وتقول :"إنّما الأحرارُ إخوةٌ " .

أحكام همزة "إن":

آ- تكسر همزة "إنّ" في مواضع أهمها:

١ - إذا وقعت في بداية الكلام أو في بداية جملة مستأنفة. تقـــول: "إن قيادتنـــا حكيمة تمنحنا الثقة في المستقبل". وتقول "أيها الشباب إنكم أمل الأمة".

٢ ـ إذا وقعت بعد القول: تقول "قال لنا المدرس: إنّ الحياة عقيدة وجهاد".

٣ ـ إذا وقعت في صدر جملة جواب القسم. تقول:"والله إنّ المنافقين لكاذبون".

ب ـ فتح همزة "أنّ":

تفتح همزتها إذا أمكن تأويلها مع ما بعدها بمصدر يقع موقع الاسم المرفوع أو المنصوب أو المجرور . تقول :"يسرني أن الثورة الفلسطينية قوية" وتقول " علمت أن القائد الأسد قد أهدى الطلائع منظمتهم" وتقول:"يقاتل الفدائي لأنه مؤمن بحقّه في أرضه".

نعود إلى النص لنقرأ في البيت الرابع "قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله" نجد الفعل "كان" – وهو فعل ناقص – يدخل هو وأخواته على الجملة الاسمية، فيرفع الأول، ويسمى اسماً له، وينصب الثاني، ويسمّى خبراً له، وقد جاء اسم "كان" ضميراً مستتراً تقديره هو يعود على الشاعر ، والخبر كلمة "مضطلعاً" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهنالك خبر ثان هو جملة "يحمله"، فهذه الجملة في محل نصب، خبر ثان للفعل كان.

وفي البيت السادس عشر نقرأ الجملة التالية" وليلي لست أهجعه" فالفعل"ليس" اتصل بضمير المتكلم التاء، فهو فعل ماض ناقص مبني على السكون لاتصاله بالتاء المتحركة ، والتاء ضمير متصل في محل رفع اسم ليس، وخبره جملة "أهجعه"، فهي في محل نصب .

وإليك إعراب البيت الخامس عشر:

ما كنت أحسب أنّ الدهر يفجعني به ولا أنّ بي الأيامَ تفجعهُ

ما : نافية

كنت: مكونة من الفعل الناقص كان وضمير المتكلم التاء . كان فعل ماض ناقص جاء مبنياً في "كنت" على السكون لاتصاله بالتاء المتحركة، والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع، اسم كان.

أحسب: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا.

أن : حرف مشبه بالفعل.

الدهر : اسم أن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

يفجعني: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الدهر والنون للوقاية والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

به : الباء حرف جر، والهاء ضمير متصل في محل جر بحرف الجر، والجار والمجرور متعلقان بالفعل يفجعني.

والمصدر المؤول من "أن الدهر يفجعني" سدّ مسدّ المفعولين للفعل أحسب.

ولا : الواو حرف عطف، لا نافية.

أنّ : حرف مشبه بالفعل .

بي : الباء حرف جر والياء ضمير متصل في محل جر بحرف الجر والجار والمجرور متعلقان بالفعل تفجعه.

الأيام : اسم أن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة.

تفجعه : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي يعود على الأيام، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة تفجعه في محلٍّ رفع ، خبر أنّ.

والمصدر المؤول من "أن بي الأيام تفجعه" معطوف على المصدر المؤول من أن الدهر يفجعني الذي سد مسد مفعولي أحسب.

وهذا ملخص للأفعال الناقصة.

الأفعال الناقصة

سبب التسمية:

للفعل في اللغة وظيفتان : الدلالة على الحدث والدلالة على الزمن، وقد سميت الأفعال الناقصة بهذه التسمية لأنها تدل على الزمن، وينقصها الدلالة على الحدث. وتقسم قسمين "كان وأخواتها" وكاد وأخواتها".

آ- كان وأخواتها

"كان ،وأصبح ، وأضحى، وظلّ،وأمسى ، وبات، وصار،ومازال، وما برح،وما فتئ، وما انفكّ، ومادام، وليس" تقول:"أصبحت الحرية هدفاً قومياً ". وتقسم ثلاثة أقسام:

١ - تام التصرف:

وهي"كان، وأصبح ،وأمسى، وظلّ، وبات، وصار" فيأتي منها الماضي والمضارع و الأمر . تقول:"ستظل سورية رائدة في التحرر" وتقول:"كونوا أقوياء، وظلّوا متمسكين بتوصيات القائد".

٢ - ناقص التصرف:

وهي"مازال ، وما انفك ،وما برح ، وما فتئ "ويأتي منها الماضي والمضارع فقط ، ويشترط فيها أن تسبق بنفي أو نهي أو دعاء. تقول:"لا تبرح مكبّاً على عملك، ولازال قلبك عامراً بالمحبة" و"لا" الأولى ناهية ،و"لا" الثانية نافية معناها الدعاء .

٣ - جامد لا يتصرف:

" ليس" و"مادام"، و"ما" في "مادام"، مصدرية زمانية ، تؤول هي وما بعدها بمصدر ينوب عن ظرف الزمان،تقول:"سأذود عن حمى وطني مادمت حيّا"

مجيء بعض هذه الأفعال تاماً: إذا دلّ الفعل على الحدث والزمان أصبح تاماً يكتفي بفاعله المرفوع، ويمكن أن تصبح الأفعال الناقصة تامة ماعدا"مافتئ، ومازال، ومانفك ، ومابرح ، وليس" قال تعالى:﴿ فسُبْحَانَ اللهِ حينَ تُمْسُ ن وحِيْنَ تُصْبحُون﴾ (الروم١٧} فالفعلان "تمسون" و"تصبحون" تامان يدلان على الحدث وهو الدخول في المساء والدخول في الصباح ، كما يدلان على الزمان.

بعض خصائص "كان":

١ - تأتي زائدة للتوكيد والدلالة على الزمن، وزيادتها بين"مـــا" التعجبيـــة وفعـــل التعجب، تقول: "ماكان أعدل عمر". وتزاد بين فعل المدح وفاعله نحو:"نعم- كان - الوزيرُ يوسفُ العظمة".

٢ - حذف كان واسمها: تحذف مع اسمها بعد "إن" و"لو" تقول: "جُدْ بما لـــك في سبيل الوطن إن كثيراً وإن قليلاً".والمعنى : إن كان مالك كثـــيراً وإن كـــان مالك قليلاً .

٣ - حذف النون من مضارع "كان" يجوز حذف النون إذا كانت علامة جزمـــه السكون وكان الحرف الذي بعده متحركاً. قال تعالى﴿ قالَتْ أنّى يكـــونُ لي غُلامٌ ولم يَمسسْني بشرٌ ولم أكُ بغيّاً﴾ {مريم ٢٠} .

ب - كاد وأخواتها

١ - **أفعال المقاربة:** أهمها" كاد وأوشك" . تقول "أوشك ظلام الجهل أن ينقشـــع" وتقول: "تكاد الأزمة الاقتصادية العالمية تنفرج".

٢ - **أفعال الرجاء:** أهمها "عسى" تقول "عسى الله أن يشفي المريض".

٣ - **أفعال الشروع** :كثيرة لأنها كل فعل يدل على البداية بالخبر أو الشروع فيه، ومنها: أنشأ وجعل وطفق..الخ تقول :"طَفِقَ الجنودُ يلقونَ قنابلَهم على قافلةِ العدو".

أحكام أخبارها:

١ - "كاد" خبره جملة فعلية فعلها مضارع.

٢ - أوشك وعسى: خبر هذين الفعلين يجوز أن يكون جملة فعلية فعلها مضـلوع أو مصدراً مؤوّلاً من "أن" والفعل المضارع . تقول:

"عسى الكرب ينجلي =أن ينجلي" وتقول: "أوشـــك المنـــاضلون يتمـــون تدريباتهم= أن يتّموا تدريباتهم".

٣ - أفعال الشروع : أخبارها لا تقترن بـــ "أن" . تقول :"شرعت أكتب قصـــة" فأخبارها دائماً جملة فعلية فعلها مضارع .

النص الثالث

خير الدين الزّرِكْلي

(١٨٩٣م - ١٩٧٧م)

ولد في بيروت، ونشأ في دمشق، شارك في الحقل الصحفي، فأنشأ قبل نزوحه إلى مصر سنة (١٩٢٠م) جريدة (المفيد) كما أنشأ في حيفا جريدة (الحياة) وأنشأ في القاهرة (المطبعة العربية).

وشارك في الحقل الأدبي، فنشر في دمشق سنة (١٩١٩م) موشحته"ماجدولين والشاعر" ونشرت له مجلة (الرابطة الأدبية في دمشق) موشحته (العذراء) سنة (١٩٢١) وهي عرض شعري رمزي رائع لما أصاب سورية عقب احتلال الفرنسيين، وفي سنة (١٩٢٣) أصدر كتابه الأول النثري (ما رأيت وما سمعت) وهو وصف، وفي سنة (١٩٢٥م) أصدر كتابه النثري الثاني: (عامان في عَمان)، وفي السنة نفسها أصدر الجزء الأول من ديوان شعره الموسوم باسمه وهو صفحة من صفحات الجهاد والقومية. وفي سنة(١٩٢٧م) أصدر كتابه (الأعلام) وهو معجم وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والإسلام ، والعصر الحاضر، ويقع في عشرة أجزاء. وصدرت طبعته الخامسة بعد وفاته في ثمانية مجلدات من القطع الكبير عام ١٩٨٠م.

وفي سنة(١٩٣٠) انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق.

وشارك في الحركة القومية، وناهض الاستعمار الفرنسي، ونزح عن وطنه، حكم عليه الفرنسيون بالإعدام غيابياً، فأرسل عليهم شعره شواظاً من نار. ولخير الدين الفضل في إثارة المواطنين على الغاصب المحتل ، وله شرف إذكاء الثورة السورية.

نجـــوى

١ ـ العَـــينُ بَعـــدَ فِراقـــهَا الوَطَنَـــا ... لاَ سَـــاكناً أَلِفَـــت ولاَ سَـــــكَنَا

٢ ـ رَيَّانَـــةٌ بـــــالدَّمعِ أَقلَقـــــهَا ... أَن لا تُحِـــسَّ كَـــرى ولا وَســـنَا

٣ ـ كانَت تَرَى في كـــلّ سَـــانحَةٍ ... حُسناً، وَبـــاَتت لاَ تَـــرى حَسَـــنَا

٤ ـ وَالقَلبُ لَـــولاَ أَنَّـــةٌ صَعِـــدَتْ ... أنكَرتُـــهُ ، وَشـــككتُ فيـــهِ أَنَـــا

٥ ـ لَيتَ الذّيـــنَ أُحِبُّـــهم عَلِمُـــوا ... وَهُمُ هُنَـــالِكَ، مَـــا لَقيـــتُ هُنَـــا

٦ ـ مَـــاكنتُ أَحسَـــبُني مُفَارقَـــهُم ... حَتّـــى تُفَـــارِقَ رُوحـــيَ البَدَنَـــا

* * *

٧ ـ يَا موطناً عَبـــثَ الزَّمَـــانُ بـــهِ ... مَن ذَا الَّذِي أَغـــرى بـــكَ الزَّمَنَـــا

٨ ـ قَد كانَ لي بكَ عَن سِوَاكَ غِـــنىً ... لاَ كَانَ لِي بســـواكَ عَنـــكَ غِـــنى

٩ ـ مَا كُنـــتَ إلاّ رَوضَـــةً أُنُفـــاً ... كَرُمَتْ، وَطَابَت مغرسًـــا وَجَنَـــى

١٠ ـ عَطَفُوا عليكَ، فَأوسَعُوكَ أَذىً ... وهـــمُ يُسَـــمُّونَ الأَذَى مِنَنَـــا

١١ ـ وَحَنَوا عَلَيكَ،فجَرَّدُوا قُضُبَـــاً ... مَســـنُونَةً، وَتَقَدَّمُـــوا بِقَنَـــا

* * *

١٢- يَاطَائِراً غَنَّـــى علـــى غُصُـــنٍ ... وَ"النيـــلُ" يســـقِي ذلِـــكَ الغُصنَـــا

١٣-زِدني وَهِجْ مَاشِئتَ من شـــجَني ... إن كُنتَ مِثلـــي تَعـــرِفُ الشَّـــجَنَا

١٤- أَذكَرتَني مَـــا لســـتُ نَاســـيَهُ ... وَلَـــرُبَّ ذِكْـــرى جَـــدَّدَت حَزَنَـــا

١٥- أذكرتَـــني"بـــرَدى" ووَادِيَـــهُ ... وَالّطيـــرَ آحـــاداً بـــــهِ وثُـــنى

١٦- وَأَحِبَّةً أسررتُ مـــن كَلَفـــي ... وَهَـــوَايَ فيـــهم لاعِجَـــاً كَمَنَـــا

١٧- كَـــم ذَا أُغالبُـــهُ وَيَغلِبُـــني ... دَمـــعٌ إذَا كَفكَفتُـــهُ هَتَنَـــا

١٨- لِي ذِكرَيَـــاتٌ في رُبُوعِـــهِمُ ... هُـــنَّ الحيـــاةُ تألُّقـــاً وَسَـــنَى

* * *

١٩- إنَّ الغَرِيـــبَ مُعَـــذَّبٌ أَبَـــداً ... إن حَـــلَّ لم يَنعَـــم وإن ظَعَنَـــا

٢٠- لو مَثَّلُـــوا لي مَوطِـــني وثنـــاً ... لَـــهَممتُ أَعبُـــدُ ذلِـــكَ الوَثَنَـــا

---

٩ ـ الأنف: من الرياض التي لم يرعها أو لم يطأها أحد.

١٦ ـ اللاعج: الهوى المحرق.

١٧ ـ هتن: قطر.

أسئلة للتدريب :

- اختر عنواناً آخر للنص.

-يتضمن النص أفكاراً أساسية، حدد هذه الأفكار، واذكر الأبيات التي تتحدث عن كل فكرة.

-اكتب موضوعاً عن الحنين والغربة، واستعن بالأفكار العامة التي جاء بها النص والمعاني الجزئية التي فيه، وضمِّن موضوعك أبياتاً من هذه القصيدة.

-في النص صور شعرية، اذكر ثلاثاً منها، واذكر الفكرة التي تعبر عنها الصورة ، وما الذي أضافه التصوير الشعري إلى المعنى من آثار جمالية.

-في البيتين العاشر والحادي عشر مفارقة بين أمرين. ما المفارقة ؟ وما أثرها في المعنى الذي يريده الشاعر؟

-في البيت الثاني عشر وما بعده حوار بين الشاعر والبلبل، وقد ورد مثل ذلك في الشعر القديم.اذكر بعض النصوص التي تشبه هذا الحوار.

-جاء في البيت الأول

أ - جملة اسمية خبرها جملة فعلية، حدد المبتدأ والخبر.

ب - جاءت كلمة "الوطن" منصوبة فما إعرابها؟ كذلك جاءت كلمة"ساكناً" منصوبة فما إعرابها ؟.

ج - أسلوب نفي بالأداة "لا" أعد تركيب الكلام بعدها من غير تقديم وتأخير. واذكر أدوات النفي التي جاءت في النص.

-حدد فاعل الفعل"أقلقها" في البيت الثاني.

-اذكر كل الأفعال الناقصة التي وردت في النص، وحدد لكل فعل ناقص اسمه وخبره.

-في البيت الرابع أسلوب شرط، حدد أداته، وجملتي الشرط والجواب، وأعرب الضمير "أنا" الذي جاء في نهاية البيت. ثم اذكر الأساليب الشرطية التي وردت في النص.

- ما معنى الأداة "ليت" في البيت الخامس؟ حدد اسمها وخبرها وأعرب الكلمتين "ما، هنا" اللتين وردتا في هذا البيت.
- في البيت السادس فعل من الأفعال التي تنصب مفعولين حدده، وحدد مفعوليه واذكر ثلاثة من الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، وثلاثة من الأفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأً وخبراً.
- في البيت السابع أسلوبان نحويان، حدد كل أسلوب ومكوناته.
- في البيت الثامن أسلوب دعاء، حدد عناصر هذا الأسلوب. واذكر طرقاً أخرى له.
- وردت في البيت التاسع "أُنُفاً" صفة للخبر روضةً الذي سبق بأداة حصر "إلا" اذكر كل كلمة أو جملة وردت صفة في هذا النص.
- في النص أساليب عطف ، حدد أدوات العطف، والمعطوف عليه، وفرّق بين عطف المفرد على المفرد وعطف الجملة على الجملة.
- وردت الأداة "رُبّ" في البيت الرابع عشر، واللام التي اتصلت بها للتوكيد وهي التي تسمى "لام الابتداء و"ربّ" حرف شبيه بالزائد يدخل على المبتدأ غالباً فيجره، ولكننا نقول: مجرور لفظاً مرفوع محلاً ، هات جملاً تستخدم فيها "رُبّ" وبيِّن ركني الجملة بعدها.

النص الرابع
اللـــؤم طـــبـــع

من نثر أبي حيان التوحيدي

التوحيدي :

أبو حيان هو علي بن محمد بن عباس التوحيدي . عاش بين ســـــنة ٣١٠ و ٤٠٠ هـــ أي في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي ، عصر النضج والازدهـــار والتقـــدم الحضاري . ولد في بغداد من أبوين فقيرين . وتتلمذ لشيوخ عصره الأعلام ، في النحـــو واللغة ، والمنطق والفلسفة . اتصل بالأوساط الفكرية والأدبية الحافلة ، وانعقدت بينـــــه وبين الوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد روابط وثيقة ، وكانا من رجـــال الحكـــم والقلم ، ثم انقلبت صداقته معهما إلى عداوة . عاش على مهنة الوِراقة معظم حياته .

عرف أبو حيان بذكاء حادٍّ ومزاج رقيق ، وحسٍّ مرهف ، وكان سريع الرضـــــى سريع الغضب انفعالي الطبع . ولعل هذا ما جعله أديباً متميزاً مبدعاً يكتـــب بإحســـاس ومعاناة ، ويعبر بحرارة وانفعال . ويعد أبلغ ناثر وأعظم كاتب بعد الجاحظ .

عرف بغزارة إنتاجه ، ومن كتبه : الصداقة والصديـــق ، والبصـــائر والذخـــائر ، والإشارات الإلهية ، والمقابسات ، والإمتاع والمؤانسة .....

وهذا النص مستمد من« الإمتاع والمؤانسة » ، وهو كتـــــاب أدب وفكـــر. شـــائق الأسلوب ، يتألف من مجموع مقالات أو فصول تتصل بالأدب والفكر والحياة، كـــانت في أصلها مسامرات في شؤون شتى، ومعارف متنوعة، جمعها الكاتب في هذا الكتاب .

والنص مسوق في موضوع الطباع التي تترسخ في النفوس بحيث يتعذر اســـتئصالها، وتنقية النفس منها .

النص:

«..حدثني أبو الحسن عليُّ بنُ هارُونَ الزَّنْجَانيُّ القاضي صاحبُ المذهب قـــال : تصاحب في بعض الطُّرُق رجلان مسافران : مَجُوسيٌّ من أهْلِ الرَّيّ،والآخَرُ يَـــهودِيّ

من أرض جَيّ[1] ؛ وكان الْمَجُوسيُّ راكباً بَغْلة له عليها سُفْرَة[2] من الزاد والنفقة وغير ذلك ، وهو يسير مرفّهاً وادِعاً ، واليهودي يمشي بلا زادٍ ولانفقة .

فبينا هما يتحادثان إذ قال المجوسيُّ لليهوديّ : ما مذهَبُك وعقيدتُك يا فلان ؟

قال اليهودي : أعتقِدُ أنَّ في هذه السماء إلهاً هو إله بني إسرائيل ، وأنا أعبدُه وأُقدِّسه وأضرع إليه ، وأطلُبُ فَضْلَ ما عنده من الرزق الواسع والعمر الطويل ، مع صِحَّة البَدَن ، والسَّلامةِ من كلِّ آفة ، والنُّصْرَة على عَدُوّي .واسأله الخيرَ لنَفْسي ، ولمن يُوَافِقُني في ديني ومَذْهَبي . فلا أعْبَأُ بمن يُخَالفُني ، بل أعتقِد أنَّ من يُخالفُني ، دَمُه لي يَحِلُّ ، وحَرَامٌ عليَّ نُصْرَتُه ونَصِيحته والرحمةُ به .

ثم قال للمجوسيّ : قد أخبرتُكَ بمذْهَبي وعقيدتي وما اشتَمل عليه ضَمِيري ، فخبِّرْني أنت أيضاً عن شأنكَ وعَقيدتِكَ وما تَدِين به ربَّك ؟ فقال المجوسيّ : أمّا عقيدتي ورأيي فهو أني أُريد الخَير لنَفْسي وأبناءِ جِنْسي ، ولاأُريد لأحَدٍ من عِباد الله سُوءاً ، ولاأتمَنَّى له ضُرّاً ، لا لُموافِقي ، ولالمخالِفي . فقال اليهوديّ :-وإن ظَلَمك وتَعَدَّى عليك!؟ قال نعم ، لأني أعلمُ أنَّ في هذه السماء إلهاً خبيراً عالماً حكيماً لاتَخْفى عليه خافِيةٌ من شيء ،وهو يَجْزِي الْمُحْسِنَ بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته . فقال اليهوديّ : يافلان ، لستُ أراكَ تَنصُر مَذهبَك وتُحقّق رأيَك . قال المجوسيّ : كيف ذاك ؟ قال : لأني من أبناء جنسك ، وبَشَرٌ مِثلُك ، وتَراني أمشي جائعاً نَصِباً مجهوداً [3] ، وأنت راكبٌ وادعٌ مرفَّهٌ شَبْعان. فقال : صدقتَ ،وماذا تَبْغي ؟ قال أطعِمْني من زادك ، واحملني ساعة ، فقد كَلَلْتُ وضَعُفْت . قال: نَعم وكَرامةً .

فنزل ومَدَّ مِنْ سُفْرَتِه وأطعَمَه وأشْبَعَه، ثم أرْكَبه ، ومَشى ساعة يحدِّثه ؛ فلَمَّا مَلك اليهوديّ البَغْلة، وعَلِمَ أنَّ المجوسيَّ قد أعيا ، حرَّك البغلةَ، وسَبقه وجعل المجوسي

---

(١) – الري حاضرة لبلاد فارس ومن أهم مدنها في القديم ، وهي في موقع طهران اليوم عاصمة إيران .أمّا "جيّ" فهي مدينة بناحية أصبهان تسمى الآن شهرستان ، وكان لليهود محلة في طرفها .

(٢) – السفرة زاد المسافر وما يحمله من طعامه ، وتعني أيضاً مائدة الطعام .

(٣) – رجل ناصب أو نصب : أدركه النصب أي التعب . والمجهود أيضاً الذي أدركه الجهد .

يمشي ولايَلْحَقُه ، فناداه: يافلان ، قِفْ لي وانزِلْ فقد انحسرتُ وانبهرْت. فقال اليهوديّ : ألَمْ أُخبِّرْكَ عن مذهَبي وخبَّرْتني عن مَذْهَبك ، ونَصرْتَه وحَقَّقْتَه ؟ فأنا أريد أيضاً أن أحقِّق مَذْهَبي ، وأنصر رأيي واعتقادي . وجَعَلَ يحرِّك البَغلة ، والمجوسيّ يَقْفوه على ظَلَع ويُنادي : قِفْ يا هذا واحملني ، ولاتَتْرُكني في هذا الموضع فيأكلَني السَّبُعُ وأموتَ ضَياعاً، وارحمني كما رَحِمْتَك . واليهوديُّ لايُلْوي على نِدائه واستِغاثته ، حتَّى غابَ عن بَصره .

فلَمَّا يَئِسَ المجوسيُّ منه وأشْفَى على الهلَكَة ، ذَكَرَ اعتِقادَه وما وَصَفَ به ربَّه ، فرَفَع طَرْفَه إلى السماء، وقال : إلهي قد علِمْتَ أنّي اعتَقَدْتُ مذهباً ونصرتُه ، ووَصفْتُك بما أنتَ أهْله . وقد سمعتَ وعَلِمتَ ، فحقِّق عند هذا الباغي عليَّ ما مَجَّدْتُك به ، ليَعْلم حقيقةَ ما قلتُ . فما مشى المجوسيُّ إلاّ قليلاً حتَّى رأى اليهوديّ وقد رَمَتْ به البَغْلة ، واندقَّتْ عُنُقه[1] ، وهي واقفةٌ ناحيةً منه تنتظر صاحبَها . فلَمّا أدْرَك المجوسيُّ بَغلتَه ركبَها ومَضى لسبيله ، وتَرَكَ اليهوديَّ مُعالِجاً لكَرْب الْمَوْت .

فناداه اليهوديُّ : يافلان ، ارحمني واحملني ولاتتركني في هذه البرّية أَهْلِكْ جُوعاً وعَطَشاً ، وانصُرْ مَذْهَبَك ، وحقِّق اعتقادَك . قال المجوسيُّ : قد فعلتُ ذلك مرَّتين ، ولكنَّك لم تَفْهَمْ ما قلتُ لك، ولم تَعْقِلْ ما وَصَفْتُ . فقال اليهوديّ : وكيف ذلك ؟ قال: لأني وَصفتُ لك مَذْهَبي فلم تصدِّقني في قولي ، حتّى حقّقْتُه بفِعْلي ، وذاك أني قلت : إن في هذه السماء إلهاً خبيراً عادلاً لايَخفى عليه شيء، وهو وَليُّ جزاءِ الْمحسِن بإحسانه، والْمُسيءِ بإساءته. قال اليهوديّ : قد فهمتُ ما قلتَ ،وعلمتُ ما وَصَفْتَ . قال المجوسي : فما الذي مَنَعَك من أنْ تَتَّعِظ بما سمِعْت ؟ قال اليهوديّ : اعتقادٌ نَشَأْتُ عليه ، ومذهبٌ تربَّيْتُ به ، وصار مألوفاً مُعْتاداً كالجِبلّة[2] بطول الدَّأب فيه، واستِعمال أبنيَتِه[3] ، اقتداءً بالآباء والأجداد والمعلّمين من أهلِ ديني ومن أهل مذهبي ، وقد صارَ ذلك كالأسِّ الثابت ، والأصل النابت ؛ ويَصْعُب ما هذا وصفُه أن يُترَكَ ويُرْفَض ويُزال . فرَحِمه المجوسيّ ، وحمَلَه معه حتَّى وافَى المدينة...»

---

(١) – اندقت العنق : انكسرت.

(٢) – الجبلة : الطبع المتأصل الراسخ ، أي ما جبلت عليه طينة المرء .

(٣) – أبنيته، أي أصوله التي بنى عليها .

إضاءة النص

هذا النص من كلام أبي حيان يندرج ضمن جنس أدبي بارز هو فـــن المقالـــة ، وهذه المقالة تعالج موضوعاً اجتماعياً ونفسياً محدداً . كما نستطيع أن نعـــده - تبعـــاً لمضمونه - من قبيل " أدب الطباع Litterature des Caractères" ، وهو لون مـــن الأدب شائع في الآداب الغربية .

وقد أمكننا ، بيسر ، عرض هذا النص المقالي في توزيع عصري ، دون أن نمس أياً من عباراته . وذلك بقصد إبراز الظواهر التمثيلية أو الملامح المسرحية فيـــه . وغـــدا بوسعنا - تبعاً لهذا الشكل الخارجي القائم على التحادث بين المتحاورين - أن نـــرى في مقالتنا أيضاً نمطاً أدبياً يسمى (الحوارية) .

وتبدو لنا هذه المقالة أو هذه الحوارية مؤلفة من ثلاث مراحل مترابطة متعانقـــة ، هي مرحلة البداية ، ثم العقدة ، وأخيراً الحل .

أ - مرحلة البداية أو العرض ، وهي وجيزة تتضمن فاتحة حديـــث مشـــترك بـــين رجلين جمعتهما المصادفة على سفر ، وكان من الطبيعي أن تتولد لـــدى كـــلٍّ منهما رغبة في التعرف إلى الآخر كي يأنس به عبر هذا الطريق الطويل .

وقد انطوت هذه المرحلة على بذور العقدة وبوادر التأزم ، نظـــراً إلى التبـــاين البارز بين طبيعة كلٍّ من المجوسي واليهودي ، أي التعـــارض الواضـــح بـــين الشخصيتين الأساسيتين المتقابلتين ، وهما المجوسي واليهودي .

ب - مرحلة الوسط ، وتسمى أيضا في النقد الأدبي مرحلة التأزم أو التعقد . فـــقد تشابكت خيوط هاتين الشخصيتين المتباينتين إلى حد التناقض ، علـــى صعيـــد المفاهيم والمعتقدات والوسائل والغايات .

وكانت النتيجة الطبيعية التي قادنا إليها هذا الحوار الحي المتسلسل هـــي بلـــوغ العقدة ذروتها ، حين كشف اليهودي عن خبيئة نفسه، وغدر بصاحبه ، فســـوق بغلة المجوسي الطيب وتركه لمصيره الأسود في ذلك المجهل الخطر .

ج - وفي المرحلة الأخيرة من هذه الحوارية، أي مرحلة النهاية، يتم الحـــل، ويكـــون ختام الواقعة . ومن خلالها نتبين تمسك المجوسي بمبادئه الخلقية المثلى وتعاليمـــه

الدينية السامية ، على الرغم مما لقيه من لؤم صاحبه اليهودي وغـــدره . لقـد كظم المجوسي غيظه ، وتجمل بالصبر وجنح للتسامح ، ثم لوى عنان دابته ليعـود إلى حمل اليهودي على راحلته وليوصله إلى غايته ، بعد أن انتصرت في أعمـاق نفسه نوازع الخير والإنسانية .....

الحوار:

الحوار عمدة هذه المقالة ، ويشكل مقوماً بارزاً من مقومات الأدب التمثيلـي . وهو هنا يتعاقب وجيزاً رشيقاً من خلال جملة من الأسئلة والأجوبة بين الرجلين . وقد تطول جمله، وتتعدد عباراته وفق مقتضى الحال إذا تطلب الأمر توضيحاً لأمر أو بيانـاً لفكرة . وهذا الحوار في الحالين يتسم بالتركيز والتلاحم ، كمـا يتسـم بالسـهولة والانسياب ، حتى ليبدو مشاكلاً إلى حد كبير للغة الحديث ، ومشابهاً للكلام المعـهود على ألسنة الناس في لغتهم المحكية . وهذا ما يعرف في النقد الأدبي بالأسلوب السـهل الممتنع الذي يظن المرء العادي أنه يستطيع إنشاء ما يماثله دون أن يكـون بوسـعه أن يقاربه . وهذه سمة الأدب الحي الباقي ، فبرغم انقضاء ألف عام أو أكثر على كـلام المتحاورين الذي أجراه على لسانهما أبو حيان التوحيدي فإننا لدى قراءته أو سماعـه نظن أنه كتب بقلم أديب معاصر .

وبراعة أبي حيان أيضاً تكمن في اقتداره على رسم ملامح شخصيتيه المتمـايزتين دون أن يعمد إلى وصفهما مباشرة على النحو المعهود ، فقد أجرى بـ هما الحديـث جاعلاً كلام كلٍّ منهما يشف عن نفس صاحبه ، وبذلـك تم لـه نسـج خيـوط الشخصيتين عبر الحوار المتبادل بينهما ، وهذا من سمات الإبداع الأدبي .

وقد تسربل هذا النص الحواري ، من بدايته إلى نهايته ، بنسق شفيف عذب مـن السرد القصصي الشائق ، استطاع أن يشدنا إليه بيسر ، ويدخل إلى نفوسـنا عنصـر الإمتاع الذي هو شرط من شروط كل فن أصيل . إذ لاتتمُّ أية عبارة مـن النـص، ولايمكن إيصال أيِّ مضمون إلى القارئ إلا إذا توفّر له الإبداع والإمتاع .

التحليل النحوي:

سنختار من هذا النص جملاً ، نحلّل الجملة كلّها أو بعض أجزائها لنستفيد بعض القواعد النحوية .

١ - "حدّثني أبو الحسن عليُّ بن هارونَ الزنجاني القاضي":

حدثني : حدّث فعل ماضٍ مبني على الفتحة الظاهرة ، والنون للوقاية والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به . ومعنى الوقاية هو أن هذه النون تقي آخر الفعل من الكسر لأنه اتصل بياء المتكلم ، والياء لايناسبها من الحركات إلا الكسر ، فجيء بالنون لتتحمل الكسرة عوضاً عن نهاية الفعل .

أبو : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة. وهذه الأسماء هي أب،أخ،حم،ذو، فو"وعلامة الرفع فيها الواو، وعلامة النصب الألف، وعلامة الجر الياء، إذا أُضيفت إلى غير ياء المتكلم .

الحسن : مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

عليُّ : بدل من "أبو"مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة،وكان حقُّه أن يكون منوّناً، لكن اسم العلم الموصوف بـ " ابن " لايُنوَّن للتخفيف اللفظي .

ابن : صفة "علي"مرفوعة مثلها ، وعلامة رفعها الضمة الظاهرة . وكلمة "ابن" تحذَف ألفها إذا وقعت بين علمين وكان الثاني أباً للأول .

هارونَ : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة عوضاً عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف،والمانع له العلمية والعجمة، فهو اسم علم أعجمي. ويُمنع اسم العلم من الصرف إذا كان أعجمياً أو مؤنثاً أو مزيداً بالألف والنون مركباً تركيباً مزجياً أو على وزن الفعل أو على وزن " فُعَل".

الزنجانيُّ : صفة "عليّ" مرفوعة وعلامة رفعها الضمة الظاهرة ، وظهرت

الحركة لأن الياء هنا هي ياء النسبة ، فليس الاسم منقوصاً .

القاضي : صفة"علي" مرفوعة وعلامة رفعها الضمة المقدّرة على الياء للثقل ،لأن الاسم منقوص. والاسم المنقوص تُقدَّر عليه حركتا الرفع والكسر، وتظهرحركة الفتح، وتحذف ياؤه في حالتي الرفع والجر إذا كان منوناً نحو: جاء قاضٍ ومررت بقاضٍ، وتثبت الياء وتظهر عليها حركة الفتح إذا كان الاسم منوناً تنوين نصب نحو: رأيت قاضياً .

٢ - وكان المجوسيُّ راكباً بغلةً له عليها سفرة :

كان : فعل ماض ناقص مبني على الفتحة الظاهرة .

المجوسيُّ : اسم "كان" مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

راكباً : خبر "كان" منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

بغلةً : مفعول به لاسم الفاعل راكباً . فاسم الفاعل يعمل عمل فعله ، فينصب مفعولاً به نحو : خالدٌ قارئٌ كتاباً ، فكلمة "كتاباً " مفعول به منصوب لاسم الفاعل "قارئ".

عليها : على : حرف جر ، و"ها" ضمير متصل في محل جرّ بحرف الجرّ، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المقدم للمبتدأ المؤخر "سفرة".

سفرة : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، وجاز الابتداء بالنكرة لأنها أُخِّرت، وكان الخبر شبه جملة .

والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر في محلٍّ نصب صفة لـ "بغلةً" لأن الجمل بعد النكرات صفات ، وبعد المعارف أحوال .

٣ - وهو يسير مرفَّهاً وادعاً :

هو : ضمير رفع منفصل في محل رفع مبتدأ ، وضمائر الرفع المنفصلة إعرابها مبتدأ إذا جاءت في بداية الجملة .

يسير : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة . والفاعل ضمير

مستتر تقديره "هو"يعود على المبتدأ ، والجملة من الفعل والفـــاعل في محل رفع، خبر للمبتدأ "هو".

مرفّهاً : حال منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة .

وادعاً : حال ثانية منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة .

٤ ـ فبينا هما يتحادثان إذ قال المجوسي لليهودي : ما مذهبك وعقيدتك:

بينـــا : ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه متعلق بالفعل "قال".ومثله بينما .

هـمـــا : ضمير رفع منفصل في محل رفع مبتدأ .

يتحادثان : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة ، والألف ضمير متصل في محل رفع فاعل.

إذ : حرف للمفاجأة، ويكون كذلك إذا جاء بعد الظرفين"بينا أو بينما" .

قـــال : فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة .

المجوسيّ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

لليهودي : اللام حرف جر و"اليهودي" اسم مجرور وعلامة جره الكسرة .

مـــا : اسم استفهام في محلّ رفع خبر مقدم .

مذهبك : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، والكاف ضمـــير متصل في محلّ جر مضاف إليه ، والجملة في محلّ نصب مفعـــول بـــه للفعل "قال". وكلّ كلام يأتي بعد القول هو مقول القـــول في محـــل نصب مفعول به .

وعقيدتك : الواو حرف عطف "عقيدتك" اسم معطوف على "مذهبك" مرفـــوع مثله . والكاف ضمير متصل في محل جر مضاف إليه .

٥ ـ وأطلب فضل ماعنده من الرزق الواسع والعمر:

أطلب : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة . والفاعل ضمـــير مستتر تقديره "أنا".

فضل : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة .

مـا : اسم موصول بمعنى"الذي"مبني على السكون في محل جـر مضاف إليه. و"ما"اسم موصول لغير العاقل يقابلها "من" اسم موصول للعاقل. والاسم الموصول يحتاج إلى جملة الصلة والضمير العائد، وقد تحذف الجملة ،إذا كان فعلها هو "وُجِدَ"فينوب عنها شبه الجملة "الظرف أو الجار والمجرور ".

عنده : **عند**: ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والهاء ضمير متصل في محل جرٍّ مضاف إليه ، وشبه الجملة متعلق بفعل محذوف تقديره "وُجِدَ".

من الرزق : جار ومجرور .

الواسع : صفة مجرورة وعلامة الجر الكسرة الظاهرة .

والعمر : الواو حرف عطف ، والعمر اسم معطوف على الرزق مجرور مثله .

٦ ـ بل أعتقد أنّ مَنْ يخالفني ، دمه لي يحلّ :

بل : حرف إضراب .أي إن المتكلم يضرب عن كلامه السابق ويلغيه، ويثبت مابعد"بل".

أعتقد : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا .

أنَّ : حرف مشبّه بالفعل معناه التوكيد .

مَنْ : اسم موصول مبني على السكون في محل نصب ، اسم "أنّ".

يخالفني : فعل مضارع مرفوع ، والنون للوقاية ، والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به . والفاعل ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على الاسم الموصول "مَن"، وهذه الجملة لامحل لها من الإعراب لأنها صلة للاسم الموصول "مَن".

دمه : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، والهاء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه .

لـــي : اللام حرف جرّ ، والياء ضمير متصل في مَحَلّ جرٌّ بحـــرف الجـــر ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل "يحلّ ".

يحلّ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، والفاعل ضمـــير مستتر تقديره هو يعود على "دمه"، والجملة من الفعل والفـــاعل في محل رفع ، خبر للمبتدأ "دمه"وجملة"دمه لي يحل"من المبتدأ والخبر خـبر "أنّ" و"أن" واسمها وخبرها في محل نصب ، مفعول به للفعل "أعتقد".

٧ ـ فخبّرني أنت أيضاً عن شأنك وعقيدتك:

خبّرني : فعل أمر مبني على السكون،والنون للوقاية،والياء ضمير متصل في محل نصب ، مفعول به.والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.وفعـــل الأمـــر فاعله ضمير مستتر أو متصل،ولايكون اسماً ظاهراً ولاضميراً منفصلاً .

أنـــت : ضمير رفع منفصل وهو توكيد للضمير المستتر ، فاعلِ فعل الأمر .

أيضـــاً : مفعول مطلق منصوب لفعل محذوف سماعاً .

عن شأنك : جار ومجرور ومضاف إليه ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل "خبّرني".

وعقيدتك : الواو حرف عطف .عقيدتك : اسم معطوف على "شأنك" مجـــرور ، والكاف في محلّ جرٌّ ، مضافٌ إليه .

٨ ـ أما عقيدتي ورأيي فهو أني أريد الخير لنفسي وأبناء جنسي:

أمـــا : حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، وجوابه لابدّ أن تتصدره الفـــاء الرابطـــة لجواب الشرط ، وقال النحاة : إن معناه "مهما يكن من أمر".

عقيدتي : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل اليـــاء ، ويـــاء المتكلم ضمير متصل في محل جرٌّ ، مضاف إليه .

فهـــو : الفاء رابطة لجواب "أما"هو :ضمير رفع منفصل في محل رفع ،مبتدأ .

أنّـــي : أنّ حرف مشبه بالفعل ، معناه التوكيد . والياء ضمير متصل في محـــلّ نصب ، اسم أنّ .

أريـــد : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة ، والفاعل ضمـــير

مستتر تقديره "أنا"، والجملة من الفعل والفاعل في محلّ رفع،خبر أن .
والمصدر المؤول من أنّ واسمها وخبرها في محلّ رفع خبر للمبتدأ "هو ".

الخيـر : مفعول به منصوب .

لنفسي : اللام حرف جر ، نفسي : اسم مجرور ، والياء ضمير متصل في محل جرٍّ ، مضافٌ إليه .

وأبنـاء : الواو حرف عطف ، أبناء : اسم معطوف على "نفسٍ" فهو مجرور مثله.

جنسي : مضاف إليه مجرور ، والياء ضمير متصل في محل جرٍّ ، مضافٌ إليه .

٩ ـ لأني أعلم أنّ في هذه السماء إلهاً خيراً :

لأنـي : اللام حرف جرّ ، أنّ : حرف مشبه بالفعل ، والياء ضمير متصل في محل نصب اسم أنّ.

أعلـم : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا . والجملة في محلّ رفعٍ ،خبر"أن" ،و"أنّ" واسمها وخبرها في تأويل مصدر ، هذا المصدر في محلّ جر بحرف الجر والتقدير "لعلمي" والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره :أفعل ذلك لعلمي .

أنّ : حرف مشبّه بالفعل معناه التوكيد .

في : حرف جر .

هـذه : "ها" للتنبيه ، ذه : اسم إشارة مبنيٌّ على الكسر في محل جر بحرف الجر،والجار والمجرور متعلقان بخبر "أن" المحذوف ، أو قاما مقام الخبر .

الدنيـا : بدل من اسم الإشارة "هذه " فالاسم المعرّف بـ"الـ" بعد اسم الإشارة غالباً ما يكون بدلاً من اسم الإشارة ، والبدل يمكن إحلاله محلّ المبدل منه فإذا حُذف المبدل منه لم يتغير المعنى . وهذا البدل مجرور كالمبدل منه ، وعلامة جرّه الكسرة المقدّرة على الألف للتعذر .

إلهـاً : اسم "أنّ" منصوب .

خبيراً : صفة منصوبة كالاسم الموصوف "إلهاً" .

١٠ ـ قال المجوسي : كيف ذاك ؟.....قال : نَعَمْ وكرامةً:

كيف : اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم .

ذاك : "ذا" اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، والكاف للخطاب ، فالكاف التي تلحق أسماء الإشارة هي حرف للخطاب لامحل له من الاعراب. والجملة من المبتدأ والخبر في محلّ نصب، مفعول به لأنها جاءت بعد الفعل "قال"، فكل كلام مقول بعد الفعل قال هو في محلّ نصب ، مفعولٌ به.

نعم : حرف جواب.

وكرامة : الواو استئنافية ، كرامة : مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً، وهذا الحذف سماعي،فقد سمعت هذه الكلمة منصوبة من غير أن يذكر الفعل. وغالبا ما يسبقها مصدر آخر هو"حُبّاً " فيُقال " حُباً وكرامة .

١١ـ فلما ملك اليهودي البغلة ، وعلم أن المجوسي قد أعيا ، حرك البغلة وسبقه :

هذا أسلوب شرطي مؤلف من "لما" اسم الشرط الظرفي ، فهي مثل "إذا "إلا أن "إذا" تدل على المستقبل و"لما" تدل على الماضي . وكلاهما معلق بجوابه ، فإن تقدم معنى الجواب قبلهما فقدتا معنى الشرط وأصبحتا ظرفيتين .

وجملة الشرط هي " ملك اليهودي البغلة "وكل جملة تأتي بعد الظرف هي في محل جر مضاف إليه . وجملة "وعلم أن المجوسيّ قد أعيا " معطوفة على جملة الشرط . ومفعولا الفعل "علم " سد مسدهما المصدر المؤول من أنّ واسمها "المجوسي" وخبرها الجملة الفعلية "قد أعيا" .

وجملة "حرّك البغلة " هي جملة جواب الشرط غير الجازم لامحل لها من الإعراب ، وجملة "سبقه" معطوفة على جملة "حرك البغلة"فهي مثلها لامحلّ لها.

١٢ ـ ولاتتركني في هذا الموضع فيأكلَني السبع:

هذا أسلوب طلبي يتبعه فعل مضارع مسبوق بفاء السببية ، فالطلب جاء نهياً

"لاتتركني "فالترك سببٌ ونتيجة عدم الاستجابة للطلب هو جملة "فيـــأكلَني السَّـــبُعُ" فالأكل نتيجة للترك . والإعراب على النحو التالي :

لا : ناهية جازمة .

تتركني : فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون الظاهر والنون للوقايـــة ، والياء ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت .

في : حرف جر .

هذا : "ها" للتنبيه وذا :اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بحـــرف الجر ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل "تتركني".

الموضع : بدل من اسم الإشارة مجرور مثله .

فيأكلني : الفاء فاء السببية ويأكلني : فعل مضارع منصوب بأن المضمـــرة بعـــد الفاء السببية، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ، والنون للوقاية ، واليـــاء ضمير متصل في محل نصب ، مفعول به .

السبع : فاعل مرفوع .

١٣ - ولاتتركني في هذه التربة أهلك :

هذا أسلوب طلبي يتبعه جوابه ، والفرق بين هذا الأسلوب والأسلوب السابق هـو الفاء ، فإن سبقت الفاء الفعل المضارع الذي يأتي بعد الطلب نصب الفعل المضـــارع بأن المضمرة بعد الفاء ، وإن لم يُسبق الفعل المضارع بالفاء جزم الفعل المضارع لأنـــه جواب الطلب .

والنحويون يرون أن الفعل المضارع الذي جاء جواباً للطلبُ مجزوم لأنه جـــواب شرط جازم محذوف ، والتقدير في الجملة السابقة على النحو التالي : لاتتركني في هـذه البرية ، فإن تتركني أهلك ، وجملة جواب الطلب كجملة جواب الشرط لامحل لهـــا مـــن الإعراب .

وهذا عرض موجز لبعض الأساليب النحوية .

التعجب

التعجب أسلوب من أساليب الكلام يستخدمه الإنسان حين يستعظم أمراً من الأمور لندرته أو لخروجه عن المألوف . وله طرق كثيرة في اللغة العربية ، وله صيغتان قياسيتان هما : " ماأفعله وأفعل به " . ويجب أن يصاغا من فعل ماضٍ ثلاثي ، تام ، متصرف، مبني للمعلوم ، مثبت غير منفي ، قابل للتفاوت ، ليست الصفة المشبّهة منه على وزن "أفعل". تقول :"ما أكرمَ حاتماً ، وما أنبلَ الشهيد ،وأعظمْ بالفدائي".

قال الشاعر :

بنفسيَ تلك الأرضُ ماأطيبَ الربا وما أحسنَ المصطافَ والمتربَّعا

فإذا لم يستوف الفعل تلك الشروط جميعاً فإننا نأتي بمصدر ذلك الفعل، ونسبقه بصيغة التعجب مأخوذة من فعل مستوف للشروط ومناسب للمصدر.تقول :" **ماأشدَّ قتالَ** أخيك ، وأجملْ **بكونك** سعيداً ".

أفعال المدح والذم

أفعال المدح هي "نعم وحبذا " وأفعال الذم هي "بئس وساء ولاحبّذا ". ويتكون هذا الأسلوب من الفعل والفاعل والمخصوص بالمدح أو الذم . ويجب أن يكون فاعل " نعم وبئس وساء " معرّفاً بـ "أل" أو مضافاً إلى معرّف بـ "أل" أو مضافاً إلى مضاف إلى معرّف بـ "أل" أو ضميراً مفسّراً بالتمييز أو كلمة " ما " . تقول "نعم **الطالبُ** خالدٌ ، وبئس **الرجلُ** الكسولُ ".فالفاعل معرّف بـ "أل". وتقول "بئس **خلقُ الرجل** الكذبُ " فالفاعل مضاف إلى معرّف بـ "أل" . وتقول :"**نِعْمَ قائدُ مسيرة الأمة** حافظُ الأسد".فالفاعل مضاف إلى مضاف إلى معرّف بـ "أل".وتقول:

"نِعْمَ سِلاحاً الحقُّ" فالفاعل ضمير مفسّر بالتمييز "سلاحاً" وتقول : بِئْسَ مافعله خالدٌ الخديعةُ" فالفاعل كلمة "ما" وهي هنا اسم موصول .

أمّا حبّذا ولاحبّذا فكلٌّ منهما فعل وفاعل ، فالفعل هو "حبّ" والفاعل هـــو"ذا" اسم الإشارة .و"لا" في قولنا : لاحبذا ، نافية .

قال الشاعر :

حبّذا العيشُ حين قومـــي جميـعٌ لم تفـرّق أمورَهـا الأهـــواءُ

أمّا المخصوص بالمدح أو الذم فهو الاسم المرفـوع الـذي يـأتي بعـد الفعـل والفاعل،نحو" نعم الهوايةُ المطالعـةُ ."فـ "المطالعـة" هي الاسم المخصوص بـالمدح ، والمشهور في إعراب المخصوص بالمدح أو الذم أنّه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هـــو أو هي، فإذا تقدّم على الفعل والفاعل أصبح مبتدأ ، نحـــو: "الوفـاء نعـم الخُلُـقُ " فـ"الوفاء"مبتدأ ، خبره جملة " نعم الخُلُق".

الإغراء والتحذير والاختصاص

الإغراء:

حضك المخاطب على أمر محمود ليلزمه ، ويأتي المغرى به مفرداً أومكـــرراً أومعطوفـاً عليه، ويكون منصوباً بفعل محذوف تقديره "الزم". تقـول: "اليقظـةَ دائمـاً ، الاسـتعدادَ الاستعدادَ ، الشجاعةَ والفداءَ ".

قال الشاعر :

أخاك أخـــاك إنّ مـــن لاأخـا لـــه كســاع إلى الهيجـا بغـير ســلاح

التحذير:

تنبيهك المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه ، والمحذَّر منه يأتي مفـــرداً أومكـــرراً أومعطوفاً عليه . تقول : "الكذبَ ، التقاعسَ التقاعسَ، الغدر والخيانة"وهو منصوب بفعل

محذوف يناسب الكلام . وهناك أسلوب آخر هو أن يُسْبَق بالضمير"إيـــاك" أو أحـــد متصرّفاته ، تقول :" **إياك والخديعةَ، وإياك من الخديعةِ، وإيّاك أن تخدعَ**" . ويلاحـــظ أن الاسم المحذر منه جاء معطوفاً على الضمير، أو مجروراً بـــ "من"او مصدراً مؤوّلاً...

الاختصاص :

ينتصب الاسم على معنى الاختصاص بعد ضمير المتكلّم إنْ كان الغـــرض تبيـــين الضمير أو توضيحه لا الإخبار عنه تقول :

" نحن الطلابَ نحتفل بأعياد الثورة "، فالطلاب ليس خبراً بل هو منصوب علـــى الاختصاص ليوضح الضمير "نحن". ويؤدي هذا الأسلوب معاني أُخَرَ هي الفخر والمدح والذم والترحم ، قال الشاعر :

نَحْنُ ، أبناءَ يَعْرُبٍ ، أَعْرَبُ النّاسِ لسَاناً وأنضَرُ النّاسِ عُودا

فكلمة "أبناء" اسم منصوب على الاختصاص ، ومعنى هذا الأسلوب هنا هو الفخر .

القســـم

يتألف من جملتين ، جملة القسم ، وجملة جواب القسم ، تقـــول : والله لأبْذُلَـــنّ دمي في سبيل قضيّتي ".

جملة القسم :

تكون فعلية أو اسمية وغالباً ما تحذف بعض أجزائها . وللقســـم أداتان مشهورتان هما حرفا الجر: الواو والباء ، والواو يجب حذف فعل القسم قبلها ، فيقدّر ، أمّا مـــع الباء فيجوز أن يحذف وأن يذكر ، تقول : " **والله لأضربَنّ** المجرمين بيد من حديـــد ، **وأقسم بمعتقدي لأرفعَنّ** راية الحرية ، **ويمينُ الله لأباركنّ** الثورة والثوّار ، **وفي ديـــني لأحْمِلَنّ** السلاح في وجه الأعداء ".

وقد تُحذف جملة القسم كلُّها فيدلُّ عليها جوابها ،

قال الشاعر :

لأَسْتَسْهِلَنّ الصّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ الْمُنَى ... فَمَا انْقَادَتِ الآمَـــالُ إلاّ لِصَـــابِرِ

جملة جواب القسم :

الجواب جملة فعلية فعلها مضارع:

يؤكّد الفعل باللام الواقعة في صدر جواب القسم ، وبإحدى نوني التوكيد الثقيلـة أو الخفيفة ، تقول : "والله لأُعْلِيَنّ كلمةَ الحقِّ " ، فإذا كان المضارع دالاً على الحـــاضر أو منفياً باللام ، لم يؤكّد بالنون ، تقول :" والله لاأغادر مكاني ".

الجواب جملة فعلية فعلها ماض :

تسبق الفعلَ حينئذ "اللامُ" وحدَها ، أو" قد" وحدها،أو"اللام وقد" أو"ما "النافية، تقول : والله لقد أدّينا الواجِب ، وربِّك ما قصّرنا في عملنا.

الجواب جملة اسمية :

يمكن ألا تسبق بشيء ، و قد تسبق باللام وحدها أو بـ "إنّ" وقد تأتي اللام المزحلقة في خبر "إنّ" ، تقول : والله إنّ المنافقين لكاذبون ".

اللام موطئة للقسم :

تدخل اللام على أداة الشرط " إنْ " غالباً ، وعلى غيرها نادراً ، فَتُسَمّى اللام الموطئة للقسم ، نحو قول الشاعر :

لئن كنتَ قدْ بُلِّغْتَ عَنِّي وِشـــايَةً **لَمُبْلِغُكَ الواشي أغشُّ** وأكـــذبُ

وهذه اللام تمهد ليكون الجواب جواب قسم مقدّر ، وليس جواب شرط، وهي تشير إلى أنّ قبلها قسماً مقدّراً غالباً أو ظاهراً نادراً ، فجملة "لمبلغك أغشُّ " جواب القسم المقدّر ، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم .

النص الخامس

بـــدوي الجبـــل

محمد سليمان الأحمد

(١٩٠٥م ـ ١٩٨٠م)

محمد سليمان الأحمد ابن العلامة الشيخ سليمان الأحمد العالم اللغـــوي والفقيـــه الديني ، الذي كان مرجعاً في عصره .

ولد في قرية (ديفة) من أعمال منطقة الحفة في محافظة اللاذقية .وعاش في كنـــف أبيه محاطاً بالعناية والحنان ، وفي جو يؤمه طلاب العلم والمعرفة.

شُغف منذ حداثته بحفظ الشعر وروايته ، وأقبل علـــى كتـــب اللغـــة والأدب ، فحفظ منها الكثير .

ابتدأ دراسته الرسمية في حماة ، فظهرت مواهبه وذكاؤه منذ أيام الدراسة ، وتوسَّم فيه الكثيرون النبوغ والتفوق .

طبع ديوانه الأول عام ١٩٢٥ م ، وقرَّظ هذا الديوان بشارة الخوري وخليل مردم ومحمد كرد علي وعبد القادر المغربي وغيرهم من كبار الشعراء والعلماء .

ابتدأ حياته الأدبية باسمه المستعار (بدوي الجبل)، وثبّتَ له هذا الاســـم شـــيخ الصحافة العربية إذ ذاك يوسف العيسى صاحب صحيفة "ألف باء".

وتوفي في دمشق .

ابتهـــالات

١ - ياشَـــامُ : يـــالِدةَ الخُلـــودِ وَضَـــمَّ مَجْدَكُمـــــا انْتِســـــابُ

٢ - مَـــنْ لي بِـــنَزْرٍ مِـــنْ ثَـــراكِ وَقَـــدْ أَلَـــحَّ بِـــيَ اغـــــتِرَابُ

٣ - فَأَشُـــــمُّهُ وكأَنَّـــــهُ لَعَـــسُ النَواهِـــدِ والمَـــــــلاَبُ

٤ - وَأَضُمُّـــهُ فَـــتَرى الجَواهِـــرُ كَيْـــفَ يُكْتَـــنَزُ الـــتُرَابُ

٥ - هَـــذا الادِيمُ شَـــمائِلٌ غُـــرٌّ وأَحْـــلامٌ عِـــذابُ

٦ - وَأُمُومَـــةٌ وطُفولَـــةٌ وَرُؤىً كَمـــا عَـــبَرَ الشّـــهَابُ

٧ - وَتَحِيَّـــةٌ مِسْـــكِيَّةٌ مِـــنْ سَـــالِفين هَـــوَوْا وَغـــابُوا

٨ - وَمِـــنَ الأُبُـــوَّةِ والجُـــدودِ لأَهْـــلِ وُدِّهِـــمُ خِطَـــابُ

٩ - هَـــذا الأدِيمُ أَبِـــي وأُمِّـــي والبِدايَـــةُ والـــمَآبُ

١٠ - ووســائدي وقلائــدي ودُمَــى الطفولــة والسِّـــخابُ (١)

****

١١ - فِـــي غُرْبَـــةٍ أنـــا والإِبـــاءُ المُـــرُّ والأَدَبُ اللُبَـــابُ

١٢ - طَـــوْدٌ أَشَـــمُّ فَكَيْـــفَ تَرْشُـــقُنِي السِّـــهامُ ولاأُصَـــابُ

١٣ - الكِـــبْرُ عِنْـــدي للعَظيـــمِ إذا تَكَـــبَّرَ لا العِتَـــابُ

١٤ - عِنْـــدي لَـــهُ زُهْـــدٌ يُـــدِلُّ علـــى الكَواكِـــبِ واجْتِنـــابُ

****

١٥ - أَنا ما عَتَبْتُ علـــى الصِحـــابِ فليـــس في الدُنيـــا صِحَـــابُ

١٦ - خُـــرْسٌ ولكـــنْ قَـــدْ تَفَـــاصَحَتِ الخواتِـــمُ والثِّيـــابُ

١٧ - عَقِمَـــتْ مُـــروءَتُـــهُم وَتَطْمَـــعُ أَنْ يُدَغْدِغَـــها احْتِـــلابُ

١٨ - وَأَعِـــفُّ عَـــنْ سَـــبِّ اللئيـــمِ وَرُبَّمـــا نَبُـــلَ السِّـــبَابُ

****

١٩ - أَنَـــا لا أُرَجِّـــي غَـــيْرَ جَبَّـــارِ السَّـــماءِ وَلاأَهَـــابُ

٢٠ - بَيْنِـــي وَبَيْـــنَ اللهِ مِـــنْ ثِقَتِـــي بِلُطْـــفِ اللهِ بَـــابُ

---

(١) ــ السخاب : قلادة من قَرَنفل بلا جوهر .

٢١ - أَبَـداً أَلـوذُ بِـــهِ وَتَعْرِفُنِـــي الأَرائِـــكُ والرِّحَـــابُ

٢٢ - لِـي عِنْـدَهُ مِـنْ أَدْمُعِـي كَـنْزٌ تَضِيـقُ بِـهِ العِيَـابُ[1]

٢٣ - يـارَبِّ : بَـابُكَ لايَـرُدُّ اللائِذيـنَ بِـهِ حِجَـابُ

٢٤ - مِفْتَاحُـهُ بِيـدي يَقِـينٌ لا يُلِـمُّ بِـهِ ارْتِيَـابُ

٢٥ - وَمَحَبَّـةٌ لَـكَ لاتُكَـدَّرُ بالرِّيـاءِ ولا تُشَـابُ

٢٦ - وَعِبـادَةٌ لا الحَشْـرُ أَمْلاَهـا عَلَـيَّ و لا الحِسَـابُ

٢٧ - وإذا سَـأَلْتَ عـنِ الذُنُـوبِ فَـإِنَّ أَدْمُعِـيَ الجَـوَابُ

****

٢٨ - ياشَـامُ عِطْـرُ سَـرِيرَتِي حُـبٌّ لجمرتِـهِ التِـهَابُ

٢٩ - أَنْـتِ اللُّبَانَـةُ في الجَوانِـحِ لا النَّـوارُ ولا الرَّبَـابُ

٣٠ - لَـكِ مُـهْجَتِي وَقَبُولُـها مِنْـكِ الهَدِيَّـةُ والثَّـوَابُ

٣١ - والنُـورُ في عَيْنِـي وَلا مَـنٌّ عَلَيْـكِ وَلا كِـذَابُ

إضاءة النص:

هذا نغم صوفي حزين ، أضفت عليه الغربة عن الوطن موسيقى باكيـة ، فمـا أصعب على الإنسان أن يغترب عن بلده قهراً ، ومأقسى أن يُنفى عن وطنه عقابـاً ، فالشاعر امتزجت أشواقه بالأرض والأصحاب والتراب والقباب، وأصبحت هذه كلها كنوزه التي سلبت منه ، فالتراب تبر ، والقباب عطر ، والتـاريخ عظمـة وكبريـاء والأصحاب أهل وأسرة ، وهو - وإن كان في أجمل بقاع الدنيا - يرى نفسه في سـجن مقفر، ويرى أنَّ وطنه هو الجنة الموعودة التي يصلي من أجلها .

في المقطع الثاني يستعيد الشاعر إباءه الذي يحتمي خلفه لكي يبقى للحياة معـنى ، فيرى نفسه كالسيف المنتصر ، وكالجبل الأشم الذي صُوِّبَتْ نحوه السِّهام، فلابـد أن

---

[1] - العياب : وعاء من الجلد لحفظ الماء.

تصيبه، ومن خلائقه الكبر ولاسيما للعظيم الذي يتكبر ، وكبرياؤه شـــيمة مطبوعـــة وليست أمراً مكتسباً .

والشاعر – في المقطع الثالث - يشكو ألم الخيانة من بعض مـــن كـــان يظنـــهم أصدقاء ، فتخرج منه زفرة اليأس"أنا ما عتبت على الصحاب فليس في الدنيا صحـلب" فقد خرسوا عن قولة الحق ، ومروءتهم عقيمة ليس فيها خير يرتجى، والشاعر لايريد أن يقابلهم بالشتيمة .

ويلجأ الشاعر في المقطع الرابع إلى الله سبحانه وتعالى، فبابه مفتوح لايوصـــد في وجه من توجّه وعاد إليه .فرجاؤه من الله لاينقطع " وأدمعه منهلة غزيرة " يســـكبها لائذاً به طامعاً بعفوه ، وبيده مفاتيح اليقين والإيمان متعبداً لله عبادة خالصة لاخوفاً من عذاب ولامن حساب .

ويعود الشاعر في المقطع الخامس لمناجاة الشام فهي الحب وجذوتُـــه« والعشـــق الذي يملك فؤاده » ، وقد طغى حبُّها على كل حبيب ، ويقدّم للشام مهجتـــه فـــإن قَبِلَتْها فهذا جزاؤه وثوابه ، ويهبُها نورَ عينيه صادقاً بلا منٍّ ولا تكدير.

الجانب اللغوي:

نحاول أن نوضح بعض الأساليب اللغوية التي وردت في النص،كالنداء والاستفهام والعطف والنفي .

١ ـ النداء :

في البيت الأول نداءان أولهما«ياشامُ »منادى مفرد علم مبنيٌّ على الضم في محـــلٍّ نصب،وثانيهما:«يالدة الخلود »منادى مضاف منصوب ، وفي البيت الرابع والعشـــرين أسلوب نداء هو«يارب»وهو منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة،والأصل«يـــاربي» وحذفت للتخفيف اللفظي ، ولذلك فهو منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة قبل ياء المتكلم ، والياء المحذوفة ضمير متصل في محل جرّ ، مضاف إليه .

وفي اللغة ثلاثة أنواع أخرى للنداء، وهي المنادى النكرة المقصودة نحو قولـــك : «ياطالبُ انتبه»فقد توجهت بالنداء إلى طالب مخصوص ومقصود بـــالنداء ، وهنـــاك

المنادى النكرة غير المقصودة كقولك : ياطالباً تزود من العلم ، فهذا النداء ليس لطالب مقصود، بل هو لكلِّ طالب، والفرق بين النكرة المقصودة وغير المقصودة معنوي بيّناه ، ولفظيٌّ ، فالمنادى النكرة المقصودة يكون مبنياً على الضم في محل نصب ، والمنادى النكرة غير المقصودة يكون منصوباً . والنوع الأخير من المنادى هو الشبيه بالمضاف : وهو المنادى الذي لايتم معناه إلا بالكلمة التي بعده نحو : «ياآمراً بالمعروف ترفّق بمن تأمر ».وهو منصوب.وهذا ملخص لأسلوب النداء

النـــداء

الأصل في النداء استدعاء المنادى، وله معانٍ بلاغيّة كثيرة،وأهم أدواته،« يا، الهمزة أي ، وا» . أمّا«يا» فهي أشهر هذه الأدوات ، وهي الأصل ، يُنادى بها القريب والبعيد ، ولاينادى اسم الله إلا بها ، تقول« ياألله خفّف آلام المرضى» . وهي التي تقدّر إذا حذفت أداة النداء ، قال تعالى : ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ . أما الهمزة وأي فمختصّتان بنداء القريب ، تقول:«أي بُنَيّ،لاتكن يابساً فتُكْسَر ولالّيناً فتُعصَر» . والأداة «وا» مختصّة بأسلوب الندبة والتفجّع ، تقول:«واحسرتي على تفرُّق العرب» .

أقسام المنادى:

وهي: المفرد العلم والنكرة المقصودة والمضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصودة.

المفرد العلم :

اسم العلم إذا كان كلمة واحدة نحو : يا أحمدُ ويا خالدُ ، وهو مبني على الضمِّ في محل نصب .

النكرة المقصودة :

هي النكرة التي تتوجّه إليها بالنداء فتُعَرَّف به ، ويزول تنكيرها و إبهامها ، فإذا قلنا ياجنديٌّ تنبّه ، فالنداء موجّه إلى جنديٍّ مقصود أو مخصوص ، فأصبح هذا الجندي معرفة،

وهي مبنيّة على الضم في محل نصب. تقول: « يارجُلُ لاتُصْغِ إلى الشـــائعات ».والمنـــادى المضاف: تقول: «ياعبدَ الله لاتستسْلِمْ ، ويافائدَ الأمة نحن معك »،وحكمه أنه منصوب.

الشبيه بالمضاف :

إذا ارتبطت الكلمة بكلمة أخرى تكمل معناها و لم تكن مضافة سُـمِّي المنـادى شبيهاً بالمضَاف ، وهو في الغالب المشتق العامل فيما بعده ، وَسُمِّيَ بذلك لأنّه يسـهل غالباً أن يصبح التركيب تركيب إضافة .تقول :« يامنتصراً رأيُـه نفِّـذ خطتـك = يامنتصر الرأي» وحكمه أنه منصوب ...

قال الشاعر :

يـاراقداً في روابي ميسـلونَ أفِـقْ جَلَتْ فرنسا فمـا في الـدَّارِ هضّـام

النكرة غير المقصودة :

هو المنادى النكرة الذي لم يتعرّف بالنداء ، فالنداء موجّه إلى عمـوم المنـادى . تقول :«ياقاضياً كن عادلاً ، ويا معلّماً أنت القدوة». وحكمه أنّه منصوب .

نداء المحلى بـ «ال »:

إذا أردنا نداء ما فيه « ال»توصلنا إلى ذلك بنداء«أيّـها» للمذكـر و«أيتـها» للمؤنث ، و«أي» و«أيّةُ»نكرة مقصودة مبنية على الضم في محلّ نصـب ، و«هـا» للتنبيه، والمنادى الحقيقي صفة إن كان مشتقّاً،وبدل إن كان جامداً، وهو مرفـوع . تقول :« يا أيُّها المشتهون فناء العرب أنتم واهمون ، ويا أيتها الأمم المناضلة في سـبيل الحرية بورك نضالك».

أمّا لفظ الجلالة فينادى وفيه «ال» إلا أنّ همزة الوصل تصبح همزة قطع ، تقـول : «ياألله ما أعظم قدرتك» وتحذف«يا» ويعوّض عنها بالميم المشدّدة ، تقول:«اللهمَّ خذ بيدنا» .

٢ - الاستفهام :

في البيت الثاني من القصيدة يقول الشاعر:

مـــن لي بنـــــزر مـــــن ثـــــرا ك وقـــــــد ألحّ بيَ اغـــــــترابُ

هذا أسلوب استفهام بأداة الاستفهام "مَنْ" التي يُستفهم بها عن العاقل، وهنـــا يَسْـــأل الشاعر عن إنسان يحمل إليه تراب الشام وهو في ديار الغربة يكابد مشاعر الحنين .

فأداة الاستفهام "من" هنا خرجت من الاستفهام الحقيقي إلى الاستفهام المجـــازي وهو الطلب ، فالشاعر يطلب حفنة من تراب وطنه . وإعراب "مَـــنْ" هنـــا: اســـم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، خبره الجار والمجرور« لِي »

في البيت الرابع «وأضمّه فترى الجواهر كيف يكتنـــز التراب »

فأداة الاستفهام «كيف » يسأل بها عن الحال، وإعرابها : اسم استفهام مبني علـــى الفتح في محل نصب حال ، وإعرابها غالباً حال إذا جاء بعدها جملة فعلية. أما إذا جـــاء بعدها اسم فقط فإعرابها خبر لذلك الاسم الذي هو مبتدأ كمـــا في قولـــك: كيـــف الحالُ؟، أو كيف أنت؟وقد وردت كيف في البيت الثالث عشر وإعرابها حال أيضـــاً لأنه جاء بعدها جملة فعلية. وهذا ملخص لأسلوب الاستفهام

الاستفهام

أصل الاستفهام طلب الفهم والمعرفة ، وقد يخرج إلى معانٍ بلاغيّة كثيرة، كـــالنفي والتعجب والتوبيخ والتهديد .... وأدواته هي :«الهمزة وهل ، ومن وماذا ، ومتى وأيّان وأين وأنّى ، وكيف ، وكم ، وأيّ» ،والهمزة وهل حرفان ، والبقية أسمـــاءٌ مبنيّـــة إلا «أيّ» فهي معربة .

الهمزة : يُسأل بها عن مجهول نحو :«أسافرت البارحةَ ؟» والجواب حينئذ بـــالنفي أو الإثبات ، ويطلب بها وبـــ «أم» التحديد والتعيين، تقول:«أقريبٌ تحقيق الآمـــال أم بعيد»فلابدّ من تحديد أحد المتعاطفين في الإجابة . ولها صدر الجملـــة فتتقـــدّم علـــى حروف العطف قال تعالى:﴿أوَ أمِنَ أهل القرى أنْ يأتيَهم بأسُنا ضحًى وهم يلعبـــون؟﴾. وتتقدم على حروف النفي قال الشاعر :

أراك عصيّ الدمعِ شيمتُك الصبرُ أمَا للهوى نهْيٌ عليك ولاأمرُ ؟

وتخرج إلى معان كثيرة منها التقرير والتوبيخ والتسوية ، تقول لمن أنقذ الغريق : أأنقذت الغريق ؟ فأنت تعرف الجواب ، ولكنّك تريد إقراراً منه ، وتقول : أكسلاً وقد جَدّ رفاقكَ ؟ فأنت توبِّخه .

هل : حرف يُسأل به عن مجهول ، ويريد السائل جواباً ، والإجابة بإحدى الأداتين "نعم " أو "لا ". تقول : " هل أنت بخير ؟ هل صدقت ما سمعت ؟" . وتخرج إلى معانٍ أهمها النفي ، قال تعالى :﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾ والمعنى : لايستوي ...

مَنْ : يُسأل بها عن العاقل ، ويُطلبُ تحديده ، قال الشاعر :

هامت بكِ العينُ لم تتبع سواك هوًى من علّم البينَ أنّ القلب يهواك؟

مَا : يُسأل بها عن غير العاقل ، وعن الأشياء المبهمة ، تقول : «ما الخبر ؟ وما وراءك؟.»

ماذا : معناها معنى "ما " . قال تعالى : ﴿ماذا أنزلَ ربُّكم ؟ قالوا خيراً ﴾.

متى : يسأل بها لتحديد الزمان ، ومعناها :«أيّ حينٍ». تقول «متى انطلقت ثورة الجزائر ؟».

أيّانَ : معناها معنى "متى " ويُسأل بها لتحديد زمن الأمور العظيمة، ولذلك قلّ استخدامها ، قال تعالى :﴿ يَسْأَلونَك عَن السّاعَةِ أيّان مُرسَاها ؟﴾.

أيْنَ : يُسأل بها لتحديد المكان، ومعناها " أي مكان". تقول:« أين المدافعون عن حمى الأوطان؟».

أنّى : قلّ استخدامها، ولها معنيان: أيّ مكان وكيف،تقول«أنى سرت ؟= أين سرت»،وتقول. «أنى تختلفون والعدوُّ يتربص بكم= كيف تختلفون».

كَيْفَ : يُسأل بها عن الحال ، وتخرج إلى معنى التعجب ، تقول :«كيف أنت؟

وكيف ترى الأمور ؟... »،وقال الشاعر:

توّخى حِمام الموت أوسط صبيـــتي فلِلّه كيف اختار واسطة العقـــد؟

عجبتُ لقلبي كيف لم ينفطر لـــه؟ ولو أنّه أقسى من الحجـــر الصَّلـــد

كَمْ : يسأل بها عن عدد التمييز المنصوب الذي بعدها ، تقول :« كم كتاباً عندك؟».

أيّ : مُعْرَبة ، معناها يحدِّد إعرابها ، وهي مضافة ، والمضاف إليـــه يحـــدد معناها، فقد يسأل بها عن العاقل وغير العـــاقل والزمـــان والمكـــان والحدث، ويحذف المضاف إليه فتنوّن،ويدلُّ السياق على المضاف إليـــه المحذوف ، تقول :« أيُّ القومِ أفضل ؟وأيَّ الكتبِ قرأت؟وأيَّ نـــومٍ نمت ؟ وأيَّ ساعة سافرت...؟» .

أحكام :

- رتبة أسماء الاستفهام الصدارة ، ويجوز أن يتقدّم المضاف عليها ، تقول:«قصيدةَ مَن حفظت؟وهديَّةَ منْ أخذت؟» .
- إذا سَبَق حرف جرٍّ اسم الاستفهام«مـــا»حُذِفتْ ألف «مـــــا». تقـــول:«عَـــمّ تسأل؟وبمَ تعلّلُ تصرفاتك».
- إذا كان السؤال بالهمزة معناه التحديد والتعيين أو التسوية فإن أداة العطف على مـــا بعد الهمزة هي«أم» وإلا فأداة العطف«أو» ،وكذلـــك أداة العطـــف علـــى مـــا بعد«هل»هي «أو». تقول :« .هل كنت عند خالدٍ أو عند بكر؟ » والمعـــنى هـــل كنت عند أحدهما؟.
- إذا دخلت همزة الاستفهام على أداة نفي فإن الجواب في حالة الإيجـــاب بـــالأداة «بلى» ،وفي حالة النفي بالأداة«نعم»قال تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بربِّكُمْ ؟ قالوا : بلى ﴾ .

٣ - النفي :

إذا عدنا إلى النص، وقرأنا الأبيات التالية :

١٤ - الكِبْرُ عندي للعظيم إذا تكبَّر لا العتابُ .

١٦ - أنا ما عَتَبْتُ على الصِّحابِ فليسَ في الدنيا صحابُ .

٢٠ - أنا لا أُرَجِّي غيرَ جبّارِ السماءِ ولاأَهَاب.

٢٧ - وعبادةٌ لا الحشر أملاها عليَّ ولا الحساب .

وجدنا أسلوب النفي بالأداة «لا» كثيراً وبالأداة «مـــا ».

«لا» في البيت «١٤»نافية ، وهي أيضاً حرف عطف ، عطفت«العتاب»علـــى الكبر ، وهي حينئذ تثبت ما قبلها وتنفي ما بعدها . و"مـــا" في البيت السادس عشـــر حرف نفي، دخل على الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ؛ لأن أداة النفي«لا» هنا لاتصح، فهي إن دخلت على الفعل الماضي أفادت معنى الدعاء،ولذلك جاءت«مـــا»، في حـــين جاءت«لا» في البيت العشرين مرتين، وقد دخلت في المرتين على جملة فعليـــة فعلـــها مضارع ، وعطفت الثانية على الأولى بحرف العطف الواو .

وجاءت " لا " في البيت السابع والعشرين نافية أيضاً، ولكن وجب تكرارها لأنها دخلت على المبتدأ«الحشر»وعطف على المبتدأ كلمة«الحساب».

وهذا ملخص لأسلوب النفي .

النفي

أدوات النفي هي:«ليس ، ولم ، ولّما ، ولن ، وما ، وإنْ ، ولا» .

ليس : فعل ماضٍ ناقص جامد ، يدخل على الجملة الاسمية فيرفع المبتـــدأ ، وينصب الخبر ، تقول :«ليسَ الفنُّ لهواً». ويدخلُ حـــرف الجـــرِّ الزائد«الباء» على خبره ، كقولك :«لست بغافل عما تفعله» .

لم ولّمـــا : حرفان، يَجْزِمانِ الفعلَ المضارع ، وينفيان زمنه الماضي ، و«لّمـــا» لاتنفي إلا الفعل المتوقّع والمترقّب، والذي زمنه قريب من الزمـــن الحاضر ، تقول«الثوّار لم يهادنوا الاستعمار» ، وتقول«لّمـــا يحضُـــرِ المدرّسُ » .

لـــنْ : حرف ينصب الفعل المضارع وينفي زمنه المستقبـــل ، تقـــول :

«لن نخسَرَ قضيّتنا»

مـــا : نافية لاعمل لها في الغالب ، تدخل على الجملتين الاسميّة والفعليّـة، وقد تنصب الخبر بعدها بشروط،تقول :«ما أنا راضٍ عما تفعـل ، وما أرضى عنك وعن أفعالك ، وما رضيت عمّا قمت به» ، وقال تعالى :﴿ ما هذا بشراً ﴾ .

ويجوز أن يُجَرّ الخبر بعدها بحرف الجرِّ الزائد" البـاء " قال تعالى : ﴿ وما ربُّك بظلاّم للعبيد﴾ .

إن : تنفي الجملتين الاسمية والفعلية ، تقول :« إنِ المستغِلّون مُحْترمون» وتقول :« إنْ جاءك من أحد».

لا : أداة نفي تدخل على الجمل والمفردات .

تدخل على الجملة الاسمية فتكون بمعنى«مـا» ، ونادراً ما ينتصب الخبر بعدها، فإذا لم ينتصب فالأحسن تكرارها ، تقول :« لا أنتَ رابح ولا أنا خاسر» . كذلك تكرر إذا دخلت على الخبر .

وتكون نافية للجنس ، فتؤكد النفي ، وتعمل عمل«إنّ» تقـول : «لاغاشٌ رابحٌ ، ولارجلَ سوءٍ بيننا ، ولامدافعاً عن الحقِّ مكـروه» ومن الملاحظ أن اسمها مبنيٌّ على الفتح في المثال الأوّل منصـوب في المثالين الثاني والثالث ، وسبب البناء أن اسمها جاء مفـــرداً غـير مضاف ولاشبيها بالمضاف. (١)

وتدخل على الفعل الماضي،فتدل على الدعاء، تقول :« لابارك الله في أصحاب الفتنة» فإذا كان معناها النفي وجب تكرارها ، قـال تعالى:﴿ فلا صدَّقَ ولاصلّى ﴾.

وتدخل على الفعل المضارع فلاتعملُ فيه ، ولاتحتاج إلى تكـرار ، تقول:« المناضل لايعرف التوقُّفَ ضد الرجعيّة» وتدخـل علـى مصدر الفعل فلا تحتاج إلى تكرار ، تقول :«لامرحبا بالتباعد» .

---

(١) – مرّ بك في بحث النداء معنى الشبيه بالمضاف (انظر ص ٥٦) .

النص السادس

سعيد عقل

شاعر لبناني ، ولد في زحلة عام ١٩١٢ ، يرى بعض النقاد أنه ذهب في شعره مذهب الرمزيين . وهو في موقفه من الجمال ، يذكّرنا بالشعراء الفرنسيين البرناسيين . أصدر ثلاث مجموعات شعرية ، أشهرها (رندلي) كما أصدر قصيدة طويلة بأسلوب سردي أسماها (المجدلية) ومسرحيتين شعريتين هما (بنت يفتاح) و(قدموس) .

شام ياذا السيف

شامُ ، ياذا السيفُ لم يَغِبِ،
ياكلامَ المجدِ في الكُتُبِ !
قبلَكِ التاريخُ في ظُلَمٍ ،
بعدك استولى على الشُهُبِ
سَكرةٌ يومُكِ، ما الكأسُ
بالكأس دُقّتْ؟ما ابنةُ العِنَبِ؟
لي ربيعٌ فيكِ خبّأتُه
ملءَ دنيا قلبيَ التّعبِ ،
يومَ عيناها بساطُ السَّما،
والرّماحُ السُّودُ في الهُدُبِ،
تلتوي خصراً فأومي إلى
نغمةِ الناي: ألا انتحِبي !
أنا في ظلّكَ،يا، هُدْبَها،

أحســـــبُ الأَنجُمَ في لُعَبـــــي

****

طـــابتِ الذّكـــرى ، فمَـــن راجـــعٌ

بـــي كمـــا العـــودُ إلى الطَّـــرَب ؟

شـــامُ، أَهلـــوك إذا هُـــمْ علـــى

نُـــوَب قلـــبي علـــى نُـــوَب

أَنـــا أَحبـــابـــيَ شِـــعري لهـــم

مِثْلُمَـــا ســـيفي وســـيف أَبي

****

أَنـــا صـــوتي منـــكَ، يـــابردى،

مثلمـــا نبعُـــكَ مِـــن سُـــحُبي .

ثَـــلْجُ حَـــرْمونَ غـــذانا معـــاً،

شـــامخاً كالعِـــزِّ في القُبَـــب.

وحَّـــدَ الدنيـــا غـــداً جبـــلٌ

لاعـــبٌ بالريـــح والحِقَـــب !

غنّيت مكَّةَ

غنَّيـــتُ مكَّـــةَ أَهلَـــها الصِّيـــدا،

والعيـــدُ يمـــلأُ أَضلعـــي عيـــدا .

فَرحـــوا، فَلأْلأَ، تحـــت كـــلِّ سَـــماً ،

بيـــتٌ على بيـــتِ الهُـــدى زيـــدا .

وعلى اســـم ربِّ العـــالَمينَ عَـــلا

بُنيـــانُهم كالشُّـــهب ممـــدودا .

ياقـــارئَ القُـــرْآن صـــلّ لهـــم،

أهلـــي، هنـــاكَ ، وطيِّـــبِ البِيـــدا .

****

مَـــن راكـــعٌ ويـــداهُ آنَسَـــتا

أنْ ليـــس يبقـــى البـــابُ موصـــودا

أنا أينَـــما صـــلّى الأنـــامُ رأتْ

عيـــنِ السَّـــماءَ تفتَّـــحتْ جُـــودا

لو رملـــةٌ هتفـــتْ بمبدِعِـــها

شَـــجْواً لكنـــتُ لشـــجوها عُـــودا

ضـــجَّ الحجيـــجُ هنـــاكَ فاشـــتِكي

بفـــمي هُنـــا يـــاوُرْقُ تغريـــدا

وأعِـــزَّ ربِّـــي النـــاسَ كلَّـــهُمُ

بيضـــاً فـــلا فرَّقْـــتَ أو ســـودا

لا قفـــرةٌ إلاّ وتُخصِـــبُها ،

إلاّ ويُعـــطى العِطـــرَ ،لا عـــودا

الأرضُ ،ربِّـــي، وردةٌ وُعِـــدتْ

بكَ أنتَ تقطِـــفُ ، فَـــارْو موعـــودا

وجمـــالُ وجـــهكَ لايـــزالُ رَجـــاً

يُرجـــى، وكُـــلُّ سِـــواهُ مـــردودا

مُرَّبي

مُـــرَّ بي ، يـــاواعداً وعَـــــدا ،
مثلمـــا النَّســـمةُ مـــن بَـــردى
تحمِـــلُ العمـــــرَ ، تُبـــــدِّدُه،
آه مـــــا أَطيبَـــــهُ بَـــــدَدَا !
رُبَّ أَرض مـــن شـــذاً ونـــدىً
وجراحـــات بقلـــب عِـــــدا
ســـكتتْ يومـــاً ، فـــهل ســـكتت؟
أجمـــلُ التـــاريخ كـــان غـــدا!
واعِدي ، لا كنـــتَ مـــن غضـــب ،
أعـــرفُ الحـــبَّ ســـنىً وهُـــدى ،
الهـــــوى لَحْـــــظُ شـــــآميَّةٍ
رقَّ حتّـــى قلتَـــــه نَفـــــدا ،
هكـــذا الســـيفُ ! ألا انغمـــدت
ضربـــةٌ والســـيفُ مـــا انغمـــدا
واعِـــدي ، الشـــمسُ لنـــا كُـــرَةٌ ،
إنْ يـــدٌ تتعـــبْ فنـــادِ يـــدا ...
أنـــا حُبِّـــي دمعـــةٌ هجَـــرتْ
إنْ تَعُـــدْ لي أَشـــعلتْ بَـــردى ...

هذه ثلاث قصائد قصيرة للشاعر سعيد عقل اثنتان منهما في دمشق والثالثـــة في مكة المكرمة، وله قصائد أخرى تنحو هذا المنحى في غناء الأرض والوطن وليته بقـــي يصدح بهذه الموسيقى الرائعة . ولكن ....

ويمكن للمدرس أن يطلب من طلبته أن يكتبوا مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه كل قصيدة وتجاه الصور التي تكونها ، كما يمكنه أن يسأل الأسئلة التالية حول القصيدة الأولى :

١ – في الشطر الأول من البيت الأول منادى وهو "شام " حذفت قبله أداة النداء "يا "، ثمّ كرر النداء مرتين فما غاية هذا النداء ؟ وما إعراب المنادى " كلام المجد".

٢ – في البيت الثاني مقابلة بين ما قبل الشام ومابعدها فهي الواسطة بين زمنـــين ، زمن الظلمة والجهل والسواد وزمن النور والضياء ، تحدّث عن غرض الشاعر في إيراده هذه المقارنة .

٣ – أعرب اسم الاستفهام في البيت الثالث ، وتحدّث عن معنى هذا الاستفهام .

٤ – ما إعراب كلمة " ملء " ؟ وما قاعدة كتابة الهمزة في هذه الكلمة ؟ .

٥ – في البيت السادس سهّل الشاعر الهمزة في كلمة "فأومي " لماذا ؟ وما إعـــراب الأداة " ألا " وما إعراب " انتحبي "؟

٦ – بمَ يوحي البيت الثامن ؟ تحدّث عن صياغته ، وعن أركان الكلام فيه ، وابحث عن المحذوف .

٧ – في البيت التاسع جملة شرطية،حدِّد الأداة وجملة الشرط وجملة جواب الشرط ، ودلّ على المحذوف .

٨ – اكتب موضوعاً مستوحى من المشاعر التي أثارتها هذه القصيدة .

أما القصيدتان الثانية والثالثة فيترك أمر اختيار الأسئلة لمدرس المقرر .

النص السابع
الحديث الشريف
تحريم الشفاعة في الحدود

«عن عائشة رضي الله عنها أنّ قريشاً أهمّهم شأنُ المرأة المخزوميّة التي سرقت،فقالوا: مَنْ يكلّم فيها رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلّم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامةُ بنُ زيد حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلّمه أسامةُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشفع في حَدٍّ من حدود الله ؟! " ثم قام فاختطب ، ثم قال : «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحَدّ ؛ وايمُ اللهِ لو أنّ فاطمةَ بنتَ محمّدٍ سرقَتْ لقطعتُ يدها!» "متفق عليه ".وفي رواية : "فتلَوّن وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم" فقال: " أتشفع في حَدٍّ من حدود الله !؟ فقال أسامة استغفر ْ لي يارسول الله ، قال ثمّ أَمَرَ بتلك المرأة فقُطِعت يدها» .

الرسول يوم حُنَين

«عن أبي الفضل العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم حُنَين ، فلزمتُ أنا وأبو سفيان بنُ الحارث بنِ عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والمشركون ولّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يُركض بغلته قِبَل الكفار ، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لاتسرع ، وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أي عباسُ،نادِ أصحاب السَّمُرَةِ)قال العباس – وكان رجلاً صيِّتاً-: فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرةِ ؟ فو اللهِ لكأنّ عطفتَهم حين سمعوا صوتي عطفةُ البقر على أولادها ،

فقالوا يالبيك يالبيك فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة في الأنصار ، يقولـــون يامعشـــر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقـــال :

(هذا حين حَمِيَ الوطيس) ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَصَيَاتٍ فرمـــى بهن وجوه الكفار،ثم قال :(انهزموا وربِّ محمدٍ) فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئتـــه فيما أرى ، فوالله ماهو إلا أن رماهم بحَصَيَاته ، فما زلت أرى حدهم كليلاً ، وأمرهـم مدبراً ". رواه مسلم.

الوطيس : التّنّور . ومعناه اشتدت الحرب .

حدّهم : بأسهم .

الأسئلة المتعلقة بالحديث الأول : « تحريم الشفاعة في الحدود»

١ - حدّد الجمل التي وردت فيها الأساليب النحوية التالية :

آ - أسلوب الاستفهام،واذكر المعاني التي دلّ عليها هذا الأسلوب في كل جملة .

ب - أسلوب القسم وأعرب جملة القسم وجملة جواب القسم .

ج - أسلوب الشرط، واذكر أداته ومعناها، وبيِّن فعل الشرط وجواب الشرط .

د - أسلوب الأمر،وبيِّن معناه، وأسلوب النداء، واذكر خمساً من أدوات النداء.

٢ - هات جملة استخدمت فيها"كان"الناقصة أو إحدى أخواتها،واذكر اسمها وخبرها .

٣ - هات جملة استخدمت فيها " أنّ" واذكر اسمها وخبرها .

٤ - استخرج اسم إشارة وأعربه .

٥ - استخرج الأسماء الموصولة وحدد جملة الصلة لكل اسم موصول وعائد الصلة .

٦ - اذكر قاعدة كتابة كلمة "ابن" متى تكتب همزة الوصل قبلها ، ومتى تحذف ؟

٧ - اكتب موضوعاً مستمّداً من فكرة الحديث النبوي الشريف .

الأسئلة المتعلقة بالحديث الثاني: « الرسول يوم حنين »

استخرج من النص ما يلي :

١ - أفعال الأمر وأعربها .

٢ - أساليب الاستفهام وبيِّن معانيها .

٣ - أساليب النداء وبيِّن أنواعها وأدواتها .

٤ - أساليب القسم وأعربها .

٥ - الأفعال الخمسة ، وأعربها .

٦ - الأسماء التي جاءت على صيغة الجمع المذكر السالم وأعربها .

٧ - أسلوب شرطٍ وأعربه .

النص الثامن
أبو فراس الحمداني
الحارث بن سعيد الحمداني
نحو (٣٢٠ هـ - ٣٥٧ هـ)
(٩٣٢ م - ٩٦٨ م)

ولد أبو فراس في الموصل من أسرة كريمة المحتد،وقتل أبوه وهو ما يزال طفلاً... فنشأ في بلاط ابن عمه سيف الدولة، وحظي بثقافة جيدة، وتدرب على أساليب الفروسية . ثم ولاه سيف الدولة على مَنْبِج وحرَّان . وقد أسره الروم مرتين . وحملوه في المرة الثانية إلى القسطنطينية . وطال به الأسر ، فكتب إلى سيف الدولة في أمر افتدائه ، وظل يمهله حتى كانت سنة ٩٦٦م، فقدم فديته ، وبعد سنة توفي سيف الدولة، فرغب أبو فراس في توسيع مقاطعته ، فحاربه أبو المعالي بن سيف الدولة، وأرسل له كبير خِصيانِهِ ، فسقط في ميدان القتال وهو في ريعان الشباب .

شعر أبي فراس شعر العاطفة الصادقة، والفروسية العربية، والحنين إلى الوطن .

أراك عصي الدّمع

١ - أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمعِ شِيمَتُكَ الصَّبرُ ، أَمَا لِلهَوَى نَهيٌ عَلَيكَ ولاَ أَمرُ؟

٢ - بَلَى ، أَنا مُشتَاقٌ ، وَعِندِيَ لَوعَةٌ وَلَكِنَّ مِثلِي لاَ يُذَاعُ لَهُ سِرُّ !

٣ - إِذَا اللَّيلُ أَضوَانِي[1] بَسَطتُ يَدَ الهَوَى وأَذلَلتُ دَمْعاً مِن خَلاَئِقِهِ الكِبرُ

٤ - تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ بَينَ جَوَانِحِي إِذَا هِيَ أَذكَتها الصَّبَابَةُ وَالفِكرُ

٥ - مُعلّلَتي بالوَصلِ ، وَالمَوتُ دُونَهُ ، إِذَا مِتُّ ظَمآناً فَلاَ نَزَلَ القَطرُ

٦ - حَفِظتُ وَضَيَّعتِ المَوَدَّةَ بَينَنَا وَأَحسَنُ من بَعضِ الوَفَاءِ لَكِ العُذرُ

٧ - وَحَارَبتُ قَومِي فِي هَوَاكِ ، وإِنَّهُم وإِيَّايَ ، لَولاَ حُبُّكِ ، المَاءُ والخَمرُ

---

(١) - أضواني : ألجأني ، أضعفني .

٨ - وَفَيتُ ، وَفي بَعضِ الوَفَاءِ مَذَلّـةٌ ، لإِنسَانَةٍ في الحَـيّ شـيمَتُهَا الغَـدرُ

٩ - تُسَائِلُني : مَن أَنتَ ؟ وَهْي عَليمةٌ ، وَهَل بِفَتىً مِثلي عَلَى حَالِـهِ نُكـرُ ؟

١٠ - فَقُلتُ كَمَا شَاءَت وشَاءَ لَها الهَـوَى: قَتِيلُكِ! قَـالَت: أَيُّـهُم؟ فَـهُمُ كُـثرُ

١١ - فَقَالَت : لَقَد أَزرَى بِكَ الدَّهرُ بَعدَنَا؛ فَقُلتُ : مَعَاذَ اللهِ بَل أَنـتِ لاَ الدَّهـرُ

١٢ - فَلا تُنكِرِيني ، يابنَـةَ العَـمِ ، إِنَّـهُ لَيَعرِفُ مَن أَنكَرتِهِ البَـدوُ والحَضَـرُ

١٣ - وَلاَتُنكِرِيـني ، إِنَّـني غَـيرُ مُنكَـرٍ إِذَا زَلَّتِ الأَقدَامُ ، واسـتُنزِلَ النَّصـرُ

١٤ - وَإِني لَجَـرَّارٌ لِكُـلِ كَتِيبَـةٍ مُعَـوَّدَةٍ أَن لاَ يُخِـلَّ بِـهَا النَّصـرُ

١٥ - وَإِني لَـنَزَّالٌ بِكُـلِّ مَخُوفَـةٍ كَثِيرٍ إِلَـى نُزَّالِـها النَّظَـرُ الشَّـزرُ

١٦ - فَأَظمَأُ حَتَّى تَرتَوي البِيـضُ وَالقَنَـا وَأَسغَبُ حَتَّى يَشبَعَ الذِئـبُ وَالنَّسـرُ

١٧ - أُسِرتُ وَما صَحبي بِعُزَّلٍ لَدَى الوَغى، وَلاَ فَرَسِي مُهرٌ ، وَلاَرَبُّـه غُمـرُ[1]

١٨ - وَلَكِن إِذَا حُمَّ القَضَاءُ عَلَى امـرئٍ فَلَيـسَ لَـهُ بَـرٌّ يَقِيـهِ ، وَلا بَحـرُ

١٩ - وَقَالَ أُصَيحَابي: الفِرَارُ أَو الـرَّدَى ؟ فَقُلتُ : هُمَا أَمرَانِ ؛ أَحلاَهُمَـا مُـرُّ

٢٠ - وَلَكِنَّني أَمضِي لِمَـا لاَيَعِيبُـني ، وَحَسبُكَ مِن أَمرَينِ خَيرُهُمَـا الأَسـرُ

٢١ - يَمُنُّونَ أَن خَلَّوا ثِيَـابي ؛ وَإِنَّمَـا عَلَيَّ ثِيَـابٌ ، مِـن دِمَائِـهِمُ حُمـرُ

٢٢ - سَيَذكُرني قَومي إِذَا جَدَّ جِدُّهُـم ، وَفي اللَّيلَـةِ الظَّلمَـاءِ يُفتَقَـدُ البَـدرُ

٢٣ - فَإِن عِشتُ فَالطَّعنُ الَّذِي يَعرِفُونَـهُ وَتِلكَ القَنَا والبِيضُ وَالصُّمَّـرُ الشُّـقرُ

٢٤ - وَإِن مُتُّ فَالإِنسَانُ لاَبُـدَّ مَيِّـتٌ وَإِن طَالَتِ الأَيَّامُ ، وَانفسَـحَ العُمـرُ

٢٥ - وَنَحنُ أُنَاسٌ ، لاَتَوسُّطَ عِندَنَـا ، لَنَا الصَّـدرُ دُونَ العَـالَمِينَ أَو القَـبرُ

٢٦ - تَهُونُ عَلَينَا في المَعَـالي نفُوسُـنَا ، وَمَن خَطَبَ الحَسنَاءَ لم يُغلِـهَا المَـهرُ

٢٧ - أَعَزُّبَنِي الدُّنيَا وأَعلَى ذَوِي العُـلاَ ، وأَكرمُ مَن فَـوقَ الـتُّرَابِ وَلاَفَخـرُ

إضاءة النص :

الشاعر أمير فارس عاشق أسير ، والأسر تجربة مرّة يعاني فيها الأسير ، فتصطرع

---

(١) - غمـر : غير مجرب .

داخله عواطف الحنين والحب والحرية ، ويتذكر المعارك والانتصارات والفروسية، ويتشوق إلى الإمارة والبلاط ومن حوله من أركان الإمارة فينبثق الشعر معبراً عن هذه المعاني جميعاً ، فالشاعر يقيم حواراً بينه وبين المرأة التي يحبها ، ويظهر التناقض بينها وبينه، فهو المحب الوفي، وهي الحبيبة التي طغى عليها جو الأسر والسجن فإذا بها لعوب تتجاهل من تحب وتنكره ، وتغدر به ، فيذكرها بأنه الفارس المعروف، والبطل المغوار الذي تهفو إليه القلوب ، وتبدو صورة سيف الدولة من خلال هذه المرأة ، فهو يريد مخاطبة سيف الدولة من خلال هذا الحوار. ومن المعروف أنه كان عاتباً على سيف الدولة الذي قصرّ في فكاكه من الأسر . ثم يعود إلى المعركة التي أسر بها، فتعود إليه فروسيته وإمارته فيفتخر ببطولاته وقومه .

يفتتح الشاعر قصيدته بحوار وتساؤل وجواب بينه وبين من يحب . فهو عصي الدمع على الرغم من السجن والأسر ، وهو صابر لم يبد ضعفاً ولا ذلاً، فتسائله مستنكرة عليه هذا الموقف الصلب الذي لا يصدر إلا ممن لم يذق طعم الهوى، وهذا التساؤل فجَّر عواطف إنسانية مكبوتة لديه ، فهو مشتاق بلغ الاشتياق به حد اللوعة، ولكنه لايذيع الأسرار، ويفضل أن تبقى تصطرع في داخله ، وهو - وإن كان فارساً شجاعاً مقداماً - له قلب يتفطر ألماً على فراق الأحبة، والليل ستار كما يقال ، ففيه ينبجس ما انحبس من البكاء ، ولكنّ دمعه دمع الكبرياء، دمع الفارس الأمير ، وفي الليل تتأجج النار بين جوانحه، فتكاد تضيء ، وتبلغ أنانية المحب ذروتها ، فيصرخ أنه إذا قضى نحبه ظمآنَ فلانزل المطر، ولاسُقِي أحد من بعده. ويفصح الشاعر عن التناقض بينه وبين من يحب، فقد حفظ المودة، وضيعها من أحب، ولكنه يحاول أن يجد عذراً لتصرف الحبيب . ويبين أن حبّه بلغ حداً جعله يحارب قومه من أجل من يحب ، وكان وفياً لحبه، لكن من أحبه كان غداراً . وتمضي الأبيات في حوار بينه وبين من يحب، ويقدم الحوار صوراً من وفاء الشاعر، ونكران الحبيب ، ويكاد يفصح الشاعر بأن هذا الحبيب ما هو إلا سيف الدولة الذي نسيه أو تناساه ، وأبقاه أسيراً ، ويذكّر الشاعر بماضيه البطولي ، وبفروسيته وقيادته للجيوش المنتصرة .ويحدثنا عن أسره مبيِّناً

أنّ أسره لم يكن لضعف اعتراه،ولكنه قضاء الله وقدره ، ويقرن الأسر بالموت فيرى أن الأسر خير من الموت ، وما يعزيه أنه نال من أعدائه ، فثيابه حمر من دمائهم ، وبطولته على كل لسان من قومه، فهم سيذكرونه في المعارك، وحين تدور رحى الحرب ، ويعدهم بالعودة إلى المعارك إن بقي سالماً ، وإن مات فالموت حق على الإنسان .

ويختتم القصيدة بالفخر الذي يردّ إليه كبرياءه الذي يمكن أن ينال منه العتاب أو الحوار بينه وبين من يحب ، فهو من بيت سيادة، ولقومه الصدر أو القبر، ونفوسهم تهون عليهم في طلب المعالي ،وهم أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا، وهم أكرم من فوق التراب. وهذه الشيم والخصال والطباع معروفة، وأصحابها لا يحتاجون إلى أن يفتخروا بها .

جمال هذه القصيدة يأتي من اتجاهات عدة فهي ترينا من البداية صورة الفارس الحزين الذي يغالب الواقع بالكبرياء ، فإذا ما ستره الليل بكى بكاءً مراً واشتعلت جوانحه حزناً .

ومن الصور الجميلة ذلك الحوار بينه وبين سيف الدولة والذي أجراه على صورة حبيب وفيٍّ وحبيبةٍ غادرة، والصورة الثالثة صورة الفارس الأسير الذي يأبى الذل ويتوعد الأعداء بأنه سيعود إلى قتالهم ، ثمّ صورة الأمير الذي يبالغ في الفخر ليجبر الانكسار الذي هو فيه .

الجانب اللغوي :

سندرس في هذه القصيدة أسلوباً واحداً هو أسلوب الشرط ، وأسلوب الشرط يتكون من أداة الشرط وجملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط ، وحكمه أنّ هناك علاقة بين فعلين أو جملتين ، ترتبط إحداهما بالأخرى ، وهذه العلاقة علاقة سببية فالبيت الثالث هو :

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

لدينا الأداة " إذا "وفعل الشرط هو الفعل " أضواني "المحذوف ، وجواب الشرط " بسطت يد الهوى" وما عطف على جواب الشرط " وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر " الأداة "إذا " تدل على الزمن فهي بمعنى "حين " فهي ظرفية تضمنت معنى الشرط لأنها تحتاج إلى جواب الشرط .

وأدوات الشرط عند النحويين عدا " لولا" لاتدخل إلا على جملة فعلية، ولذلك فإن كلمة " الليل " التي جاءت بعد "إذا " هي فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور الذي جاء بعد الاسم المرفوع . في البيت الرابع :

تكاد تضيءُ النارُ بينَ جوانحي إذا هي أذكتها الصبابةُ والفِكْرُ

فالأداة " إذا " جاء بعدها فعل الشرط " أذكتها " ولم يأت الجواب ، وفي عرف النحويين أن "إذا" تفقد معنى الشرط إذا لم يأت جوابها بعدها فهي في البيت ظرفية ، والضمير بعدها فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور . في البيت الخامس :

معللتي بالوصل والموت دونه إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر

نجد أن "إذا" ربطت بين جملتين هما "مت ظمآناً"و"فلانزل القطر".. الأولى : هي جملة الشرط ، والثانية جملة جواب الشرط ، وقد اقترنت جملة جواب الشرط بالفاء لأنها جملة مسبوقة بـ "لا " النافية التي تدل على الدعاء فالأسلوب طلبي ، وإذا كانت جملة جواب الشرط تدل على الطلب فلابد من اقترانها بالفاء .في البيت السابع عشر:

فقلت لها : لو شئت لم تتعنتي ولم تسألي عني وعندك بي خبر

فالأداة "لو" أداة شرطية تربط بين فعل الشرط "شئت" وجواب الشرط "لم تتعنتي" وكلاهما ممتنع ، امتنعت المشيئة فامتنع عدم التعنت، ولذلك تسمى "لو"أداة امتناع لامتناع ، فهي أداة يمتنع جوابها لامتناع فعل الشرط الذي بعدها .

- في البيت الثالث عشر

ولاتنكريني إنني غير منكر إذا زلت الأقدام واستنزل النصر

فالأداة "إذا" فقدت معنى الشرط لأنه لم يأت الجواب بعدها، وبقي لها معنى الظرف فهي بمعنى "حين" وجوابها تقدم عليها . في البيت ٣٩ :

ولكن إذا حُمّ القضاء على امرئ فليس له برٌّ يقيه ولابحر

"إذا" ظرفية شرطية لأنها ربطت جواب الشرط بفعل الشرط ، ففعل الشرط "حم القضاء" وجواب الشرط "فليس له برٌّيقيه" والجواب اقترن بالفاء وهو واجب الاقتران بها لأن فعل الشرط هو الفعل الناقص "ليس" وهو فعل جامد ، فإذا كان جواب

الشرط جملة فعلية فعلها جامد فلابد من دخول الفاء الرابطة – التي تربط بين فعل الشرط وجوابه. في البيت ٢٣:

فإن عشت فالطّعن الذي يعرفونه وتلك القنا والبيض والضُّمَّرُ الشقر

أداة الشرط"إن"هي أم أدوات الشرط الجازمة ، وهي تجزم فعلين مضارعين إن جاءا بعدها، فإن جاء بعدها الفعل الماضي وجاء جوابها جملة فعلية فعلها ماض لاتجزم . وإن كان جوابها جملة اسمية أو طلبية أو مسبوقة بـ "ما" أو "قد" أو"لن"أو"السين" أو "سوف"أو إن كان الفعل جامداً فلابد من اقتران الجواب بالفاء الرابطة لجواب الشرط .

وفعل الشرط في البيت السابق فعل ماض وهو الفعل "عشت" والجواب جملة اسمية هي " فالطعن الذي يعرفونه ".

فالمبتدأ "الطعن" والخبر محذوف تقديره "لهم" واقترنت جملة جواب الشرط بالفاء لأن الجملة اسمية .نعرب البيت التالي :

وإنْ متُّ فالإنسانُ لابدَّ ميّتٌ وإن طالتِ الأيامُ وانفسحَ العمرُ

إنْ : حرف شرط جازم .

متُّ : هذا فعل وفاعل ، مات :حذفت ألفه حين بني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل ، فقد التقى ساكنان فحذفت الألف لذلك . والإعراب : مات : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بتاء الفاعل والتاء ضمير متصل في محل رفع، فاعل .

فالإنسانُ : الفاء : رابطة لجواب الشرط .الإنسانُ : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

لا : نافية للجنس .

بدَّ : اسم "لا" مبني على الفتح في محل نصب ، والخبر محذوف تقديره "من ذلك" أي لابد من ذلك.

ميتٌ : خبر مرفوع للمبتدأ " الإنسان ".

وإنْ : الواو : حالية ، إنْ : شرطية جازمة .

طالَتْ : فعل ماض مبني على الفتح لاتصاله بتاء التأنيث، وتاء التأنيث الساكنة لامحل لها ، وحركت بالكسر لالتقاء الساكنين .

الأيامُ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

وانفسح : الواو حرف عطف انفسح : فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة .

العمرُ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة .

وهذا ملخص نحوي لأسلوب الشرط.

الشـــرط

يَتكون أسلوب الشرط من جملتين تربط بينهما أداة الشـــرط،وجملتـــا الشـــرط مرتبطتان ارتباط العلّة بالمعلول، أو ارتباطاً عامّاً .

أدوات الشرط الجازمة :

إذا جاء بعدها فعلان مضارعان جُزِما ، وقد يأتي بعدها فعلان ماضيان وقد يـأتي بعدها فعلان أحدهما ماض والآخر مضارع ، وقد يأتي جوابها جملة اسمية أو طلبيـــة أو مسبوقة بالسين وسوف .... فيقترن بـــ "الفاء" الرابطة لجواب الشرط .

إنْ : حرف ، تقول : " إن تعمل بجدّ تلقَ نجاحاً ".

مَنْ : أسم يدلُّ على العاقل: " مَنْ يَسِرْ في ركاب الرجعية يلفِظْه الشعب ".

ماومهما : يدلان على غير العاقل ، تقول : " ما يفعلْه أعداء الشعب من تـــآمر فسينالون عليه غضب الشعب الذي لايرحم " .وقال الشاعر :

ومَهْمَا تَكُنْ عندَ امرئٍ مِنْ خَلِيْقَـــةٍ وَإنْ خَالها تَخْفَى على النّاس **تُعْلَـــمِ**

متى : للزمان ، تقول :" متى **تحصِّنِ** الفكر بالعروبة **تَأْمَنِ** الانـــزلاق في مَـــهاوي الإقليميّة ".

أينما وحيثما : للمكان ، تقول : أينما تَسِرْ في البلاد تَرَ نهضة اقتصاديـــة ، وحيثمـــا تقابل الشباب في الوطن العربي تجدْ نفوساً متعطّشة إلى الوحدة ".

أيّ : اسم مبهم معرب مضاف ، والمضاف إليه يُحدِّد معناه ، فقد يكـــون

للعاقل وغيره وللزمان والمكان ، وقد يحذف المضاف إليه، فينّون ، تقول :" أيُّ ثائرٍ تصاحبْه يُفدْك ، وأيٌّ حين يَجِدِ المتآمرون الفرصة سانِحةً يَعْبثوا ، وأيّاً من الأماكنِ الأثرية تَزُرْ تتَّعِظْ ".

أدوات الشرط غير الجازمة :

إذا : اسم يدلُّ على الزمان المستقبل ، تقول :" إذا أردْتَ عظيمَ الأمور فأعدِدْ الهمة الكبيرة ".

لّما : اسم يدل على الزمان الماضي،تقول:" **لّما قامت** الثورة **هتكتْ** أسداف الظلام".

لو : حرف امتناع لامتناع غالباً،تقول:"**لوتحقّقت** الوحدة العربية لكنّا القوّة الكبرى ".

لولا : حرف امتناع لوجود غالباً ، تقول : "**لولا الأملُ لَبطلَ العمل** ".

دخول الفاء على جواب الشرط :

إذا كان جواب الشرط الجازم أو جواب "إذا " جملة اسمية أو طلبية أو فعلها جامداً ، أو مسبوقة بالسين أو سوف أو قد أو ما ، أو لن أو أداة لها الصدارة .... فلابدّ من أن يقترن بالفاء ، تقول :" من يستشهد في سبيل الوطن **فهو** من الخالدين ، وإن أردت العلا **فلا تقصِّر** في الكفاح ، وإن نخسرْ معركة **فعسى** أن نربح القضية التي نناضل في سبيلها ..."

جواب الطلب :

هو في الأصل جواب شرط جازم، وقد حذفت أداة الشرط وفعل الشرط ، وبين الطلب وجوابه ارتباط كالارتباط بين الشرط والجواب تقول : دافِعْ عن وطنك تعِشْ عزيزاً ، ولاتهادنِ الرجعيّة تُحقّقْ تقدّماً .

النص التاسع
جورج جرداق

من كتّاب لبنان الشقيق وشعرائه البارزين . عرفه عالم الأدب والصحافة قلماً مجدداً ، وأسلوباً عربياً يجمع بين أصالة التراث وجمال المعاصرة والتجديد .

له العديد من الكتب المؤلفة والأبحاث والدراسات الأدبية . وقد عرف شعره بالغنائية الرومانسية العذبة حتى غدا نشيداً مطرباً في حنجرة كبار المطربين في العالم العربي .

هذه ليلتي

١ - هَذِهِ لَيلَتِي وَحُلمُ حَيَاتي ... بَينَ مَاضٍ مِنَ الزَّمَانِ وَآتِ

٢ - الهَوَى أَنتَ كُلُّهُ وَالأَمَاني ... فَاملأِ الكَأسَ بِالغَرَامِ وَهَاتِ

٣ - بَعدَ حِينٍ يُبَدِّلُ الحُبُّ دَارَا ... وَالعَصَافِيرُ تَهجُرُ الأَوكَارَا

٤ - وَدِيارٌ كَانَت قَدِيماً دِيَارَا ... سَتَرَانَا ، كَمَا نَرَاهَا ، قِفَارَا

٥ - سَوفَ تَلهُو بِنَا الحَيَاةُ وَتَسخَرْ ... فَتَعَالَ أُحِبُّكَ الآنَ أَكثَرْ

*****

٦ - وَالمَسَاءُ الَّذِي تَهَادَى إِلَينَا ... ثُمَّ أَصغَى وَالحُبُّ فِي مُقلَتَينَا

٧ - لِسُؤَالٍ عَنِ الهَوَى وَجَوَابٍ ... وَحَدِيثٍ يَذُوبُ فِي شَفَتَينَا

٨ - قَد أَطَالَ الوُقُوفَ حِينَ دَعَانِي ... لِيَلُمَّ الأَشوَاقَ عَن أَجفَانِي

٩ - فَادنُ مِنِّي وَخُذ إِلَيكَ حَنَانِي ... ثُمَّ أَغمِض عَينَيكَ حَتَّى تَرَانِي

١٠ - وَلْيَكُن لَيلُنَا طَوِيلاً طَوِيلا ... فَكَثِيرُ اللِّقَاءِ كَانَ قَلِيلاَ

١١ - سَوفَ تَلهُو بِنَا الحَيَاةُ وَتَسخَرْ ... فَتَعَالَ أُحِبُّكَ الآنَ أَكثَرْ

*****

١٢ - يَاحَبِيبِي طَابَ الهَوَى مَا عَلَينَا ... لَو حَمَلنَا الأَيَّامَ فِي رَاحَتَينَا

١٣ - صُدفَةٌ أَهدَتِ الوُجُودَ إِلَينَا ... وَأَتَاحَت لِقَاءَنَا فَالتَقَينَا

١٤- فِي بِحارٍ تَئِنُّ فِيهَا الرِيَاحُ ضَاعَ فِيهَا المِجدَافُ والمَلاَّحُ

١٥- كَم أذَلَّ الفِرَاقَ مِنَّا لِقَاءٌ كُلُّ لَيلٍ إذَا التَقَينَا صَبَاحُ

١٦- يَاحَبِيباً قَد طَالَ فِيهِ سُهَادِي وَغَرِيباً مُسَافِراً بِفُؤَادِي

١٧- سَوفَ تَلهُو بِنَا الحَيَاةُ وَتَسخَر فَتَعَالَ أُحِبُّكَ الآنَ أَكثَر

*****

١٨- سَهَرُ الشَّوقِ فِي العُيُونِ الجَمِيلَه حُلُمٌ آثَرَ الهَوَى أَن يُطِيلَه

١٩- وَحَدِيثٍ فِي الحُبِ إن لَم نَقُلهُ أَوشَكَ الصَّمتُ حَولَنَا أَن يَقُولَه

٢٠- يَاحَبِيبِي وَأَنتَ خَمرِي وَكَأسِي وَشِرَاعِي فَوقَ البِحَارِ وَشَمسِي

٢١- فِيكَ صَمتِي وَفِيكَ نُطقِي وَهمسِي وَغَدِي فِي هَوَاكَ يَسبِقُ أَمسِي

٢٢- كَانَ عُمرِي إلى هَوَاكَ دَلِيلا وَاللَّيَالِي كَانَت إلَيكَ سَبِيلاَ

٢٣- سَوفَ تَلهُو بِنَا الحَيَاةُ وَتَسخَر فَتَعَالَ أُحِبُّكَ الآنَ أَكثَر

*****

٢٤- هَلَّ فِي لَيلَتِي خَيَالُ النَّدَامَى وَالنُّوَاسِيُّ عَانَقَ الخَيَّامَا

٢٥- وَتَسَاقَوا مِن خَاطِرِي الأَحلاَمَا وَأَحَبُّوا وأَسكَرُوا الأَيَّامَا

٢٦- رَبِّ من أَينَ لِلزَّمَان صِبَاهُ إن صَحَونَا ، وَفَجرُهُ وَمَسَاهُ

٢٧- لَن يَرَى الحُبُّ بَعدَنَا مَن هَوَاهُ نَحنُ لَيلُ الهَوَى وَنَحنُ ضُحَاهُ

٢٨- مِلءُ قَلبِي شَوقٌ وَمِلءُ كَيَانِي هَذِهِ لَيلَتِي فَقِف يَازَمَانِي

٢٩- سَوفَ تَلهُو بِنَا الحَيَاةُ وَتَسخَر فَتَعَالَ أُحِبُّكَ الآنَ أَكثَر

إضاءة موسيقية عروضية :

هذه قصيدة من الشعر الحديث، منظومة على بحر من بحور الشعر العربي القديم "الشعر العمودي"وهو البحر الخفيف ، وتفعيلاته " فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن "ولكنها بنيت بناءً حديثاً تصرف في بنائها الشاعر بحسب الموجة الموسيقية التي يطرب إليها ،

فجعلها على خمسة مقاطع، يتألف كل مقطع من خمسة أبيات : البيتان الأول والثاني ينتهيان بروي واحد،والبيتان الثالث والرابع ينتهيان بروي آخر والبيت الخامس له روي مخالف ،وقد كرر البيت الخامس الذي ورد في المقطع الأول في نهاية المقاطع الأخرى ، فجعله سادساً وجعل أكثر الأبيات مصرّعة فجعل في الغالب روي العروض " نهاية الشطر الاول " والضرب " نهاية الشطر الثاني[1] " متحدين، وهذا التنوع والتوحد في الروي ، إضافة إلى تكرار البيت الذي جاء في نهاية المقطع الأول كل ذلك أعطى القصيدة موسيقا تحفل بالطرب، ولذلك غنت أم كلثوم هذه القصيدة فخلدها .

الأسئلة:

- في البيت الأول اسم إشارة للمؤنث فاذكر أسماء الإشارة الأخرى ، وأعرب اسم الإشارة ، واذكر الركن الثاني لهذه الجملة .
- في البيت الثاني مبتدأ حَدِّده وحدِّد خبره ، وفيه أسلوب أمر مؤلف من جملتين متعاطفتين حدّدهما .
- في البيت الثالث مفعول فيه ظرف زمان حدّده، واذكر ظروف الزمان التي وردت في النص .
- في البيت الخامس سكن الشاعر الفعل المضارع "تسخر" لضرورة الشعر. اذكر الضرورات الشعرية التي جاءت في هذه القصيدة .
- في البيت السادس مبتدأ أين خبره ؟ وما إعراب الاسم الموصول " الذي "؟ ، واستخرج من النص الأسماء الموصولة التي وردت فيه .
- في البيت السابع جملة فعلية وقعت صفة، حدد الاسم الموصوف ومحل الجملة من الإعراب .
- في البيت الثامن فعل مضارع منصوب، أعربه مبيناً الناصب له ، وأعرب البيت التاسع إعراباً كاملاً .

---

[1] – يسمّي العرضيون الشطر الأول : صدر البيت ، والشطر الثاني : عجز البيت.

- في البيت العاشر فعل مضارع ناقص مجزوم بيّن ما الذي جزمه؟ وحدّد اسمه وخبره.
- استخرج من النص أسلوب نداء والأسماء التي وقعت منادى، و بيِّن أداة النـــــداء وأعرب المنادى .
- في البيت الثالث عشر وردت كلمة "صدفة" وهي من الأخطاء الشائعة والصحيح " مصادفة " لأن الفعل "صادف" مصدره مصادفة ،ومعناها حدث الأمر من غـير تدبير أو ترتيب. أمّا كلمة "صدفة" فهي مصدر لفعل "صدف" بمعـــــنى تـــرك ، وإعراب "صدفة" مبتدأ خبره الجملة التي بعده وهذا المبتدأ نكرة ، ولذلك يجب أن يوصف بصفة مقدرة ، فقدّر هذه الصفة .
- وردت في القصيدة مصادر مؤوّلة حدّدها ، وبيِّن إعرابها .
- في البيت الرابع والعشرين إشارة إلى شاعرين عاشا في العصر العباسي من همـــــا؟ وما صلتهما في البيتين الرابع والعشرين والخامس والعشرين .
- في البيت السابع والعشرين فعل مضارع منصوب بالأداة "لن". ما معـــــنى هـــذه الأداة ؟ وأين علامة النصب للفعل المضارع ؟
- اختر من النص خمسَ صور شعرية أثّرت فيك، وبيِّن العناصر المكونة لكل صـــورة من هذه الصور موضحاً صلتها بالمعنى الذي تؤكده.

النص العاشر

محمود درويش

شاعر فلسطيني ثائر ، من شعراء الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ ، ألهب بشعره مشاعر العرب وخاصة الفلسطينيين ، فأذكى شعره روح النضال. تولّى مناصب في القيادة الفلسطينية وفي منظمة التحرير ثمّ تركها ليخلص إلى قلمه وشعره .

من الشعراء المحدثين الذين كتبوا شعر التفعيلة ،إذ يُعدُّ في طليعة الذين أخلصوا لهذا اللون من الشعر ، ويتميز من غيره من الشعراء بأن شعره لاهو واضح جداً كما هو الأمر عند نزار قباني، ولا هو غامض غير شفاف كما هو الأمر عند أدونيس ، فهو يقع في المنطقة الوسطى ، مازال يصدح بشعر المقاومة الفلسطينية .

رسالة من المنفى

- ١ -

تحيةً وقبلةً

وليس عندي ما أقول بعدْ

من أين أبتدي؟ .... وأين أنتهي ؟.

ودورة الزمان دون حدْ

وكل ما في غربتي

زوّادةٌ فيها رغيفٌ يابسٌ ، وَوَجْدْ

ودفترٌ يحمل عنّي بعض ما حملت

بصقتُ في صفحاته ما ضاق بي من حقدْ

من أين أبتدي ؟

وكل ما قيل وما يقال بعد غدْ

لا ينتهي بضمةٍ ... أو لمسةٍ من يدْ
لا يُرجعُ الغريبَ للديار
لا يُترلُ الأمطار
لا يُنبتُ الريشَ على
جناح طير ضائع .. منهدّْ
من أين أبتدي
تحيةً ... وقبلةً ... وبعدْ

- ٢ -

أقول للمذياع ... قل لها أنا بخيرْ
أقول للعُصفورِ
إن صادفتها يا طيرْ
لا تنسني ، وقلْ : بخيرْ
أنا بخير
أنا بخير
ما زال في عيني بصر !
مازال في السَّما قمر !
وثوبي العتيق ، حتى الآن ، ما اندثر
تمزَّقت أطرافهُ
لكنني رتقتُه ... و لم يزل بخير
وصرت شاباً جاوز العشرين
تصوَّريني ... صرت في العشرين
وصرت كالشباب يا أُمَّاه
أُواجه الحياة
وأحمل العبءَ كما الرجال يحملون

وأشتغل
في مطعم ... وأغسلُ الصحون
وأصنع القهوة للزبون
وألصق البسمات فوق وجهي الحزين
ليفرح الزبون

- ٣ -

أنا بخير
قد صرت في العشرين
وصرت كالشباب يا أمَّاه
أُدخّن التبغ ، و أتّكي على الجدار
أقول للحلوة : آه
كما يقول الآخرون
" يا إخوتي ؛ ما أطيب البنات ،
تصوروا كم مُرَّة هي الحياة
بدونهن .. مُرَّة هي الحياة "
وقال صاحبي : " هل عندكم رغيف ؟
يا إخوتي ؛ ما قيمة الإنسان
إن نام كل ليلةٍ ... جوعان؟"
أنا بخير
أنا بخير
عندي رغيف أسمر
وسلة صغيرة من الخضار

- ٤ -

سمعت في المذياع

تحية المشردين ...للمشردين

قال الجميع : كلنا بخير

لا أحد حزين ؛

فكيف حال والدي ؟

ألم يزل كعهده ، يحب ذكر اللّه

والأبناء ... والتراب ... والزيتون ؟

وكيف حال إخوتي ؟

هل أصبحوا موظفين ؟

سمعت يوماً والدي يقول:

سيصبحون كلهم معلمين

سمعته يقول :

أجوع حتى أشتري لهم كتاب

لا أحد في قريتي يفك حرفاً في خطاب

وكيف حال أُختنا ؟

هل كبرت ... وجاءها خُطّاب ؟

وكيف حال جدتي ؟

ألم تزل كعهدها تقعد عند الباب ؟

تدعو لنا ...

بالخير ... والشباب ... والثواب !

وكيف حال بيتنا

والعتَبَةِ الملساء ... والوجاق ... والأبواب ؟

سمعت في المذياع

رسائل المشردين ... للمشردين

جميعهم بخير !

لكنني حزين ...
تكاد أن تأكلني الظنون
لم يحمل المذياع عنكم خبراً ...
ولو حزين
ولو حزين

- ٥ -

الليل - يا أمّاه - ذئبٌ جائعٌ سفّاح
يطارد الغريب أينما مضى ...
ويفتح الآفاق للأشباحْ
وغابةُ الصفصاف لم تزل تعانق الرياحْ
ماذا جنينا نحن يا أُمَّاه ؟
حتى نموت مرتين
فمرة نموت في الحياة
ومرة نموت عند الموت!
هل تعلمين ما الذي يملؤني بكاء؟
هَبي مرضتُ ليلةً ... وهدَّ جسمي الداء !
هل يذكر المساء
مهاجراً أتى هنا ... ولم يعد إلى الوطن ؟
هل يذكر المساء
مهاجراً مات بلا كفن ؟
ياغابة الصفصاف ! هل ستذكرين
أنَّ الذي رَمَوْه تحت ظلّك الحزين
- كأي شيء مَيِّتٍ - إنسان ؟
هل تذكرين أنّني إنسان
وتحفظين جثّتي من سطوة الغربان ؟

أمَّاه يا أمَّاه

لمن كتبت هذه الأوراق ؟

أيّ بريد ذاهب يحملها ؟

سُدَّت طريق البر والبحار والآفاق ...

وأنت يا أمَّاه

ووالدي ، وإخوتي ، والأهل ، والرفاق ...

لعلكم أحياء

لعلكم أموات

لعلكم مثلي بلا عنوان

ما قيمة الإنسان

بلا وطن

بلا عَلَمْ

ودونما عنوان

ما قيمة الإنسان ؟

أسئلة للمناقشة

١ - كيف تناول الشاعر الحدث العام :"الغربة" من خلال معاناته الشخصية ؟

٢ - نرى الشاعر في المقطع الأول لايعرف كيف يبتدئ رسالته ، بِمَ تعلل ذلك ؟

٣ - إلام رمز الشاعر بقوله :" دورة الزمان دون حد "؟

٤ - لِمَ لمْ يستطع الشاعر التزود بأكثر من الرغيف اليابس والوجد ؟

٥ - لم أكثر الشاعر من أسلوب النفي في المقطع الأول ؟

٦ ما سر تفاؤل الشاعر وإصراره على أنه بخير على الرغم من كل معاناته ؟

٧ - ما دلالة التساؤلات المتعاقبة في المقطع الرابع ؟

٨ - رمز الشاعر بالذئب الجائع إلى الليل، فما علاقة ذلك بالمشردين في المقطع الذي قبله ؟

٩ - لِمَ ركّز الشاعر على غابة الصفصاف ، وإلامَ ترمز ؟

١٠ – لِمَ يخاف الشاعر من المرض والموت في الغربة ؟

١١ – في المقطع الثالث يحمل الشاعر حسّاً إنسانياً سامياً تجاه الفقراء. تحدث عنه .

١٢ – لِمَ أكد الشاعر في المقطع الرابع على أن المشردين بخير كما ادّعوا ، وبم تعلل ذلك ؟

١٣ – في المقطع الأخير نلحظ تشاؤماً بيّناً في قوله :" لمن كتبت هذه الأوراق "....سدّت طريق البر والبحار والآفاق ... فهل يحق له أن يتشاءم ، في حين أنه كان متفائلاً في المقطعين الأول والثاني ؟

١٤ – تحدث الشاعر في نهاية المقطع الأخير عن قيمة الإنسان، والسؤال :كيف يكتسب الإنسان قيمته في هذا الوجود ؟

١٥ – لماذا حاول الشاعر لصق البسمات على وجهه الحزين ، وهل يستطيع ذلك ؟ علّل إجابتك .

١٦ – علّل سبب كتابة الهمزة في كل مما يلي :" العبء ، ذئب،جاءها ".

١٧ – أعرب المصدر المؤول في قوله :" هل تذكرين أنني إنسان " وأوّله بمفرد .

١٨ – ما الميزان الصرفي لكلمة:"الإنسان"؟وكيف نراها في معجم يأخذ بأواخر الكلمات ؟

١٩ – في المقطع الثاني :" أسلوب شرط "، حدّد أداته وجملة الشرط والجواب ، وبيِّن سبب مخالفة الشاعر للقاعدة النحوية المعروفة .

٢٠ – لِمَ فُتحت همزة"أنّ" في قوله:"هل ستذكرين أن الذي رموه تحت ظلك الحزين ..."؟

٢١ – استخرج من النص ما يلى :

– استخرج من المقطع الأول : اسم فاعل ، صفة مشبهة .

– استخرج من المقطع الثاني : ملحقاً بجمع المذكر السالم .

– استخرج من المقطع الثالث : أسلوب تعجب واشرحه مبيِّناً أداته ، وفعله .

٢٢ – أعرب التركيب التالي :

"تكاد أن تأكلني الظنون " وهل مجيء "أنْ" قبل الفعل "تأكلني"أحسن أو عدم مجيئها ؟ وما القاعدة ؟

٢٣ – لِمَ تقدم الخبر على المبتدأ في قوله :" عندي رغيف " ؟

النص الحادي عشر

نزار قباني

شاعر عربي سوري ، ولد في دمشق عام ١٩٢٣ ، وتخرج في الجامعة السورية "جامعة دمشق " عام ١٩٤٥ ونال شهادة الإجازة في الحقوق ، وعمل في السلك الدبلوماسي السوري في بيروت والقاهرة ولندن ومدريد، ثمَّ استقال من عمله، وأنشأ داراً للنشر في بيروت .

يعد من أحب الشعراء العرب في الوطن العربي ، وأكثرهم رواجاً ،أصدر مجموعات شعرية كثيرة أولها " قالت لي السمراء " في عام ١٩٤٤ والحبُّ والمرأة هما موضوعاه الرئيسان ، لكنّه اهتم بالسياسة بعد نكسة حزيران ١٩٦٧،فكتب قصائد سياسية هزّت وجدان الجماهير ، فأصبح الناس ينتظرون قصائده هذه ؛ لأنها تخاطب مشاعرهم وأحاسيسهم ، وتحكي نظراتهم وآراءهم . توفي في لندن عام ١٩٩٨ ، ودفن في مدينة دمشق التي وهبها أغلى قصائده .

القــدس

بكيتُ ... حتى انتهتِ الدموعْ
صلّيتُ ... حتى ذابت الشموعْ
ركعتُ ... حتى ملّني الركوعْ
سألتُ عن محمّدٍ ، فيكِ ، وعن يسوعْ
ياقُدْسُ ، يامدينةً تفوحُ أنبياءْ
ياأقصرَ الدروب ، بين الأرض والسماءْ

*****

ياقُدْسُ ، يامنارةَ الشرائعْ
ياطفلةً جميلةً محروقةَ الأصابعْ
حزينةٌ عيناكِ ، يامدينةَ البَتُولْ
ياواحةً ظليلةً مرَّ بها الرسولْ
حزينةٌ حجارةُ الشوارعْ
حزينةٌ مآذنُ الجوامعْ
ياقُدْسُ ، ياجميلةً ، تلتفُّ بالسوادْ
مَنْ يقرعُ الأجراسَ في كنيسة القيامَةْ
صبيحةَ الآحادْ ...؟
مَنْ يحمل الألعابَ للأولادْ
في ليلة الميلادْ ...؟

*****

ياقُدْسُ ، يامدينةَ الأحزانْ
يادمعةً كبيرةً تجولُ في الأجفانْ

مَنْ يوقفُ العدوانْ ؟
عليكِ ، يالؤلؤةَ الأديانْ
مَنْ يغسل الدماءَ عن حجارة الجدرانْ ؟
مَنْ يُنقذ الإنجيلْ ؟
مَنْ يُنقذ القرآنْ ؟
مَنْ ينقذ المسيحَ ممن قتلوا المسيحْ ؟
من ينقذ الإنسانْ ؟

*****

ياقدسُ ، يامدينتي
ياقدسُ ، ياحبيبتي
غداً .. غداً .. سيُزْهِرُ الليمونْ
وتفرحُ السنابلُ الخضراءُ والزيتونْ
وتضحكُ العيونْ ...
وترجعُ الحمائمُ المهاجرَةْ
إلى السُّقوف الطاهرَةْ
ويرجعُ الأطفالُ يلعبونْ
ويلتقي الآباءُ والبنونْ
على رباكِ الزاهرَةْ ...
يابَلَدي ...
يابَلَدَ السلام والزيتونْ

منشورات فدائية على جدران إسرائد

(١)

لَنْ تجعلوا من شعبنا
شعبَ هُنُودٍ حُمْرْ...
فنحن باقُونَ هنا ...
في هذه الأرض التي تلبس في معصمها
إسوارةً من زهرْ
فهذه بلادُنا ...
فيها وُجدنا منذ فجر العمرْ
فيها لعبنا ، وعشقنا ، وكتبنا الشِّعْرْ
مُشَرِّشُونَ نحنُ في خلجانها
مثل حشيش البحرْ ...
مُشَرِّشُونَ نحنُ في تاريخها
في خبزها المرقوق ، في زيتونها
في قمحها المُصْفَرّ
مُشَرِّشُونَ نحنُ في وجدانها
باقونَ في آذارِها
باقونَ في نَيْسَانِها
باقونَ كالحفر على صلبانِها
باقونَ في نبيِّها الكريم ، في قرآنِها ...
وفي الوصايا العَشْرْ ...

(٢)

لاتسكَرُوا بالنصرْ...

إذا قتلتمْ خالداً ... فسوف يأتي عَمْرو
وإنْ سحقتم وردةً ...
فسوفَ يبقى العطرْ ...

(٣)

لأنَّ موسى قُطِعَتْ يداهْ ...
و لم يَعُدْ يُتقن فنَّ السِّحْرْ...
لأنّ موسى كُسِرتْ عصاهْ
و لم يعُدْ بوسعه شَقّ مياه البحرْ
لأنّكُمْ لستم كأمْريكا ... ولسنا كالهنود الحُمْرْ
فسوفَ تهلكون عن آخركمْ
فوقَ صحارى مِصْرْ ...

(٤)

المسجدُ الأقصى شهيدٌ جديدْ
نُضيفُهُ إلى الحساب العتيقْ
وليستِ النارُ وليسَ الحريقْ
سوى قناديلَ تضيءُ الطريقْ

(٥)

مِنْ قَصَب الغاباتْ
نخرجُ كالجنّ لكمْ ... من قَصَب الغاباتْ
من رُزَم البريد ، من مقاعد الباصاتْ
من عُلَب الدخان ، من صفائح البنـــزين ، من شواهد الأمواتْ
من الطباشير ، من الألواح ، من ضفائر البناتْ
من خشب الصلبان ، من أوعية البخور ، من أغطية الصلاةْ
من وَرَق المصحف ، نأتيكم ...

من السطور ، والآياتْ ...
فنحنُ مبثوثونَ في الريح ، وفي الماءِ ، وفي النَّباتْ
ونحنُ معجونونَ بالألوان والأصواتْ...
لَنْ تُفلتوا ... لَنْ تُفلتوا ...
فكلُّ بيتٍ فيه بندقيةٌ
من ضفَّة النيل إلى الفُراتْ ...

(٦)

لن تستريحوا معنا...
كلُّ قتيلٍ عندنا
يموتُ آلافاً من المرّاتْ ...

(٧)

انتبهُـــوا ... انتبهُـــوا ...
أعمدةُ النور لها أظافرٌ
وللشبابيك عيونٌ عَشْرْ
والموتُ في انتظاركمْ في كلّ وجهٍ عابرٍ ...
أو لَفْتَةٍ ... أو خَصْرْ ...
الموتُ مخبوءٌ لكمْ ، في مِشْط كلّ امرأةٍ ...
وخُصْلَةٍ من شَعْرْ ...

*****

(٨)

ياآلَ إسرائيلَ ...لايأخذْكُمُ الغرورْ
عقاربُ الساعات إن توقّفَتْ ، لابُدَّ أن تدورْ ...
إنَّ اغتصابَ الأرض لايخيفُنا
فالرّيشُ قد يسقطُ عن أجنحةِ النسورْ

والعَطَشُ الطويلُ لايخيفُنا
فالماءُ يبقى دائماً في باطن الصخورْ
هزمتُمُ الجيوشَ ... إلاّ أنّكمْ لم تهزموا الشعورْ
قطعتُمُ الأشجارَ من رؤوسها ... وظلّتِ الجذورْ .

(٩)

ننصحكُمْ أن تقرؤوا ما جاءَ في الزَّبورْ
ننصحكم أن تحملوا توراتكُمْ
وتتبعوا نبيَّكُمْ للطُورْ ...
فما لكُمْ خبزٌ هنا ... ولالكُمْ حضورْ
من باب كلِّ جامعٍ...
من خلف كلِّ منبرٍ مكسورْ
سيخرج الحجَّاجُ ذات ليلةٍ ... ويخرجُ المنصورْ .

(١٠)

انتظرونا دائماً ...
في كُلِّ ما لا يُنْتَظَرْ
فنحنُ في كلِّ المطاراتِ ، وفي كلِّ بطاقات السَّفَرْ
نطلعُ في روما ، وفي زوريخَ ، من تحت الحجَرْ
نطلعُ من خلف التماثيل ، وأحواض الزَّهَرْ ...
رجالُنا يأتونَ دونَ موعدٍ
في غَضَب الرعد ، وزخّات المَطَرْ
يأتونَ في عباءة الرسُولِ ، أو سيف عُمَرْ
نساؤنا ... يرسمنَ أحزانَ فلسطينَ على دمع الشَجرْ
يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ ، بوجدان البَشَرْ
يحملنَ أحجار فلسطينَ إلى أرض القَمَرْ ...

(١١)

لقد سرقتْم وطناً ...
فصفّقَ العالمُ للمُغامَرَهْ
صادرتُمُ الألوفَ من بيوتنا
وبعتُم الألوفَ من أطفالنا
فصفّقَ العالم للسماسِرَهْ ....
سرقتُمُ الزيتَ من الكنائسِ
سرقتُمُ المسيحَ من مترله في النَاصرَهْ
فصفّقَ العالمُ للمغامرَهْ
وتنصبونَ مأتماً ...
إذا خطفنا طائرَهْ ...

(١٢)

تذَكّروا . تَذَكّروا دائماً
بأنّ أمْريكا - على شأنِها -
ليستْ هي اللهَ العزيزَ القديرْ
وأنّ أمْريكا - على بأسِها -
لن تمنعَ الطيورَ من أن تطيرْ
قد تقتلُ الكبيرَ ... بارودةٌ
صغيرةٌ ... في يدِ طفلٍ صغيرْ

(١٣)

ما بينَنا ... وبينَكُمْ ... لاينتهي بعامْ
لاينتهي بخمسةٍ ... أو عشرةٍ ... ولا بألفِ عامْ
طويلةٌ معاركُ التحرير كالصيامْ
ونحنُ باقون على صدوركمْ

كالنقش في الرخامْ ...
باقونَ في صوت المزاريبِ ... وفي أجنحة الحَمَامْ
باقونَ في ذاكرة الشمسِ ، وفي دفاتر الأيامْ
باقونَ في شيطنة الأولاد ... في خربشة الأقلامْ
باقونَ في الخرائط الملوَّنَهْ
باقونَ في شعر امرئ القيس...
وفي شعر أبي تمّامْ ...
باقونَ في شفاه من نحبّهُمْ
باقونَ في مخارج الكلامْ ...

(١٤)

موعدُنا حين يجيء المغيبْ
موعدُنا القادمُ في تل أبيبْ
"نصرٌ من اللهِ ، وفَتْحٌ قريبْ ".

(١٥)

ليس حزيرانُ سوى يومٍ من الزمانْ
وأجملُ الورود ما ينبت في حديقة الأحزانْ ...

(١٦)

للحزن أولادٌ سيكبرونْ...
للوجع الطويل أولادٌ سيكبرونْ
للأرض ، للحارات ، للأبواب ، أولاد سيكبرونْ
وهؤلاء كلُّهُمْ ...
تجمّعوا منذ ثلاثين سَنَهْ
في غُرف التحقيق ، في مراكز البوليس ، في السجونْ
تجمّعوا كالدمع في العيونْ

وهؤلاء كلُّهُمْ
في أيّ ... أيّ لحظةٍ
من كلّ أبواب فلسطينَ سيدخلونْ ...

(١٧)

.. وجاءَ في كتابه تعالى :
بأنّكمْ من مصرَ تخرجونْ
وأنّكمْ في تيهها ، سوفَ تجوعونَ ، وتعطشونْ
وأنّكمْ ستعبدونَ العجلَ دونَ ربّكمْ
وأنّكمْ بنعمة الله عليكُمْ سوفَ تكفرونْ
وفي المناشير التي يحملها رجالُنا
زدنا على ماقاله تعالى
سَطْرينِ آخرَيْنْ :
ومن ذرى الجولان تخرجونْ
وضفّة الأردنّ تخرجونْ
بقوة السلاح تخرجونْ...

(١٨)

سوفَ يموتُ الأعورُ الدجّالْ
سوفَ يموتُ الأعورُ الدجّالْ
ونحنُ باقونَ هنا حدائقاً ، وعطرَ برتقالْ
باقونَ فيما رسمَ اللهُ على دفاتر الجبالْ
باقونَ في معاصر الزيت ... وفي الأنوالْ
في المدِّ ... في الجَزْرِ ... وفي الشروق والزوالْ
باقونَ في مراكب الصيد ، وفي الأصداف ، والرمالْ
باقونَ في قصائد الحُبّ ، وفي قصائد النضالْ

باقونَ في الشعر ، وفي الأزجالْ
باقونَ في عطر المناديل...
وفي (الدَّبكةِ) و(الموّال)...
في القصص الشعبيِّ ، والأمثالْ
باقونَ في الكوفية البيضاء ، والعُقالْ .
باقونَ في مروءة الخيل ، وفي مروءة الخيَّالْ
باقونَ في (المهباج) والبُنّ ، وفي تحيّة الرجال للرجالْ
باقونَ في معاطف الجنود ، في الجراح ، في السُّعالْ
باقونَ في سنابل القمح ، وفي نسائم الشمالْ
باقونَ في الصليبْ...
باقونَ في الهلالْ ....
في ثورة الطُلاّب ، باقونَ ، وفي معاول العُمّالْ
باقونَ في خواتم الخطبة ، في أسِرَّة الأطفالْ
باقونَ في الدموعْ ...
باقونَ في الآمال ...

(١٩)

تسعونَ مليوناً من الأعراب خلفَ الأُفْق غاضبونْ
ياويلَكُمْ من ثأرهمْ ...
يومَ من القمقم يطلعونْ ...

(٢٠)

لأنَّ هارونَ الرشيدَ ماتَ من زمانْ
و لم يعُدْ في القصر غلمانٌ ، ولاخصيانْ
لأننا نحنُ قتلناهُ ، وأطعمناهُ للحيتانْ
لأنَّ هارونَ الرشيدَ لم يعُدْ إنسانْ

لأنّه في تخته الوثير لايعرفُ ما القدسُ ... وما بيسانْ
فقد قطعنا رأسه ، أمس ، وعلّقناهُ في بيسانْ
لأنَّ هارونَ الرشيدَ أرنبٌ جبانْ
فقد جعلنا قصرَهُ قيادةَ الأركانْ ...

(٢١)

ظَلَّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبوابْ...
يشحذ خبزَ العدل من موائد الذئابْ.
ويشتكي عذابَهُ للخالق التوَّابْ
وعندما ... أخرجَ من إسطبله حصانَهُ
وزيَّتَ البارودةَ الملقاةَ في السردابْ
أصبحَ في مقدوره أن يبدأ الحسابْ ...

(٢٢)

نحنُ الذينَ نرسُمُ الخريطَهْ
ونرسُمُ السفوحَ والهضابْ ...
نحنُ الذينَ نبدأ المحاكمَهْ
ونفرضُ الثوابَ والعقابْ ...

(٢٣)

العَرَبُ الذين كانوا عندكُمْ مُصَدّري أحلامْ
تحوّلوا بعد حزيرانَ إلى حقلٍ من الألغامْ
وانتقلتْ (هانوي) من مكانها...
وانتقلتْ فيتنامْ ...

(٢٤)

حدائقُ التاريخ دوماً تُزْهِرُ ...
ففي ذُرى الأوراس قد ماج الشقيقُ الأحمرُ

وفي صحاري ليبيا... أورقَ غصنٌ أخضرُ...
والعربُ الذين قلتمْ عَنْهُمُ : تحجّروا
تغيَّـــــروا...
تغيَّـــــروا...

(٢٥)

أنا الفلسطيني بعد رحلة الضَياع والسرابْ
أَطلعُ كالعشب من الخرابْ
أُضيءُ كالبرق على وجوهكمْ
أهطُلُ كالسحابْ
أطلعُ كلَّ ليلةٍ
من فسحة الدار ، ومن مقابض الأبوابْ.
من ورق التُوت ، ومن شجيرة اللبلابْ
من بِرْكة الدار ، ومن ثرثرة المزرابْ
أطلعُ من صوت أبي ...
من وجه أُمّي الطيّب الجذّابْ
أطلعُ من كلّ العيون السود والأهدابْ
ومن شبابيكِ الحبيبات ، ومن رسائل الأحبابْ
أَفتحُ بابَ مترلي
أَدخلُهُ من غير أن أنتظرَ الجوابْ
لأنّني أنا السؤالُ والجوابْ ...

(٢٦)

محاصرونَ أنتُمُ بالحقد والكراهيّهْ
فمن هنا جيشُ أبي عُبَيْدَةٍ
ومن هُنا معاويَهْ

سلامُكُمْ ممزَّقٌ ...
وبيتكُمْ مطوّقٌ
كبيتِ أيٍّ زانيَهْ

(٢٧)

نأتي بكوفيّاتنا البيضاءِ والسوداءْ
نرسُمُ فوق جلدكمْ إشارةَ الفداءْ
من رَحِم الأيّام نأتي كانبثاق الماءْ
من خيمة الذُلّ التي يعلكها الهواءْ
من وَجَع الحسين نأتي ... من أسى فاطمة الزهراءْ
من أُحُدٍ نأتي ... ومن بدرٍ ... ومن أحزان كربلاءْ
نأتي لكي نصحّحَ التاريخَ والأشياءْ ...
ونطمسَ الحروفَ...
في الشوارع العبريَّةِ الأسماءْ ...

النص الثاني عشر

أَمَل دُنقُــل

بدأ ينظم الشعر العمودي في وقت مبكر متأثراً بالشاعر محمود حسن إسماعيل .

اتجه نحو كتابة الشعر الحديث بعد تأثره بالشاعر عبد الرحمن الشرقاوي ، والشاعر صلاح عبد الصبور منذ عام ١٩٥٦ م .

بقي قلقاً بين الحفاظ على التراث والتجديد فترة حتى التقى بالشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، فتأثر بروحه الشعرية ، وهو الذي فتح عينيه على الشاعر بدر شاكر السياب .

نشر أولى قصائده في جريدة الأهرام (بطاقة كانت هنا) عام ١٩٦١ .

نشر بعدها ثلاث قصائد في الأهرام ومجلة المجلة .

عام ١٩٦٢ حصل على جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب للشعراء الشباب .

انقطع عن كتابة الشعر وعاد إليه عام ١٩٦٦ فنشر في مجلة روز اليوسف ومجلـــة الكاتب وجريدتي الأهرام والجمهورية . ثم نشر بعدها في الآداب اللبنانية .

صدر ديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) عام ١٩٦٩، ثم صـــدر لـــه (تعليق على ماحدث) و(مقتل القمر) بعد حرب ١٩٧٣ ثم (العهد الآتي) عام ١٩٧٥ .

وفي قصيدته "مقتل كليب" أكثر من إيقاع ، ومناقلة بين الأوزان ، أو تخّفف منها ، ومزيج من شعر ونثر .

مقتل كليب والوصايا العشر

- ١ -

لاَ تُصَالِحْ ...
وَلَو قَلّدُوكَ الذّهَب .
أَترى : حينَ أَفقَـــأُ عَينَيكَ ، ثم أُثبِتُ جَوهَرتَين مَكانَهُمَـــا ...
هَل تَـــرَى؟
هيَ أشـــيَاءُ لاتُشتَرى :
ذِكرَيـــاتُ الطّفُولة بَين أَخيكَ وَبَينَكَ ،
حِسُّكما فَجـــأَةً بالرّجُولةِ،
هـــذَا الحَيَاءُ الّذي يَكبتُ الشّـــوقَ حينَ تُعَـــانِقُه ،
الصّمتَ - مُبتسمين - لِتأنيب أُمِكمَـــا ،
(وَكأَنكمَا مَا تَزالاَن طِفـــلَين !)
هذِي الطّمَـــأنينَةُ الأَبَدِيَّـــةُ بَينَكمَا :
أَنّ سَيفَـــانِ سَيفَك
صَوتَـــان صَـــوتَكَ
أَنّـــكَ إن مُتَّ ... لِلبَيتِ رَبٌّ
وَللطِفـــل أَبٌ
هَل يَصـــيرُ دَمي بَين عَينَيكَ مَـــاءً ؟
أَتنسى ردَائي الملّطَـــخَ؟
تلبَسُ فوقَ دمَائي ثيَـــاباً مُطـــرَّزَةً بالقَصَب؟
إِنَّها الحَربُ ، قد تُثقِلُ القَلبَ ، لكِنَّ خَلْفَكَ عَارَ العَرَب
لاتُصَالِح...
وَلاَتَتوخَّ الهَرَب

- ٢ -

لاتُصَالِح عَلَى الدَّمِ ... حَتّى بِدَم .
لاتُصَالِح ، وَلَوقيلَ رَأسٌ بَرأس،
أَكُلُّ الرُّؤوسِ سَوَاءٌ ؟
أَقَلبُ الغَريبِ كقَلبِ أَخيكَ ؟
أَعَيْنَاهُ عَيْنَاه ؟
هَل تَتسَاوى يَدٌ سَيفُهَا كَانَ لَك
بيَدٍ سَيفُهَا أَتكَلَك ؟
سَيَقُولونَ : جِئنَاكَ كي تَحقِنَ الدَّم ...
جِئنَاكَ ، كُن - ياأَميرُ - الحَكَم
سَيَقُولونَ : هَا نَحنُ أبنَاءُ عَم .
قُل لَهُم إنّهُم لم يُراعُوا العُمُومَةَ فيمَن هَلَك
وَاغرِسِ السَّيفَ في جَبهةِ الصَّحرَاء إلى أَن يُجيبَ العَدَم
إنَّني كُنتُ لَك :
فَارســـــاً ...
وَأَخـــــاً ...
وَأَبـــــاً ...
وَمَلَـــك...

- ٣ -

لاتُصَالِح ، وَلو حَرَمتكَ الرُّقَـــاد
صَرخاتُ النَّدَامَة
وَتَذَكَّر - إذَا لاَنَ قلبُكَ لِلنّسوَة اللاّبسَاتِ السَّواد
وَلأَطفَالِهنَّ الّذينَ تُخَاصِمُهُمُ الابتسَامَة -
أَنَّ بنتَ أَخِيكَ " اليَمَامَة "
زَهرَةٌ تتسَربَلُ - في سَنَواتِ الصِبَا - بثِيابِ الحِدَاد

كُنْتُ - إن عُدتُ - تعدُو عَلَى دَرَج القَصرِ ،
تُمسكُ سَاقيَّ عِندَ نزُولي ،
فَأَرفَعُهَا وَهيَ ضَاحِكةٌ ... فَوق ظَهر الجَوَاد
هَاهيَ الآنَ صَامِتَة ،
حَرَمَتها يَدُ الغَدر من كَلِمَاتِ أَبيهَا ،
ارتدَاءِ الثِياب الجَديدَة
مِن أَن يَكونَ لَهَا ذَاتَ يومٍ أَخٌ ،
مِن أَب يتبَسَّمُ في عُرسهَا ...
وَتَعُودُ إِلَيهِ إِذَا الزَّوجُ أغضَبَهَا ،
وَإِذَا زَارَهَا ...يَتسَابَقُ أحفادُه نحوَ أَحضَانِه ...
لِيَنَـــالُوا الهَـــدَايَا ...
وَيَلهُوا بلحيَتِه ... وَهُو مُستَسلِمٌ
وَيَشُدُّوا العِمَامَه ...
لاَ تُصَالِح ، فمَا ذَنبُ تِلكَ اليَمَامَه
لِتَرى العُشَّ مُحتَرِقاً ... فَجأَةً ،
وَهيَ تَجلِسُ فَوقَ الرَّمَاد .

- ٤ -

لاَ تُصَالِح ، وَلو كَلَّلُـوكَ بتَـاج الإِمَـارَة .
كيفَ تَخطوُ عَلى جُثَّـةِ ابنِ أَبيكَ ؟
وكيفَ تَصيُر المَـليكَ ... على أوجُـهِ البَهجةِ المُستعارَه ؟
كيفَ تَنظُرُ في يَـدِ مَن بَايَعُوكَ... فَلا تُبصِرُ الدَّمَ في كلِ كف ؟
إِن سَهماً أَتَـاني مِنَ الخلف ...
سَوفَ يَجيئُكَ مِن أَلفِ خَلف .
فَالدّمُ الآن صَارَ وِسَـاماً وَشَـارَه

لاَ تُصَالِح ، وَلَو قَلَّـدُوكَ الإِمَـارَه
إنّ عَرشَـكَ سَيف ...
وَسَـيفٌ زَيـفٌ ...
إذَا لم تَزِن - بذُؤابتِـهِ - لَحَظاتِ الشَّرَف
وَاستَطبتَ التَّـرَف .

- ٥ -

لاَ تُصَالِح ، وَلَو قال مَن مَـالَ عندَ الصِدَام :
" مَـا بنَـا طَاقَـةٌ لِلحُسَام "
عِندَمَا يَملأُ الحَقُّ قَلبَكَ : تندَلِـعُ النّارُ إن تَتنفَّـس
وَلسَانُ الجَرِيمَـةِ أَخـرَس .
لاَ تُصَالِح ، وَلَو قيـلَ مِن كَلِمَاتِ السَّلاَم
كيفَ تَستَنشِقُ الرئتَانِ نسيمَ السَّلامِ المدَنّس ؟
كيفَ تَنظُـرُ في عَينَي إمـرَأةٍ...
أنتَ تَعرفُ أَنّكَ لاتَستَطِيعُ حِمَايتَهَا في الظّلاَم ؟
كيفَ تَـرجُـو غَـداً لِصَبيّ يَنَام
وَهو يَكبرُ - بَين يَدَيكَ بقَلبٍ مُنَكَّس
لاَ تُصَالِح ، وَلاَ تقتَسِم مَعَ مَن قتَـلُوكَ الطّعَـام
وَأَروِ قَلبَـكَ بالدّم ...
وَأَروِ التّرابَ المُقدَّس
وَأَروِ أَسـلاَفَكَ الرّاقِدينَ ... إلى أَن تُجيبَ العِظَـام .

- ٦ -

لاَ تُصَالِح ، وَلَو ناشَـدَتكَ القَبيـلَة
باسمِ حُـزنِ (الجَليـلَه)
أَن تَسُوقَ الدَّهَـاءَ ، وَتُبدِي لِنَ قَصَدُوكَ القَبول .

سَيَقُولُون : هَـــأَنتَ تَطلبُ ثَأراً يَطُول .
خُذِ الآن مَا تَستَطيعُ : قَليلاً مِنَ الحَقّ ...
في هذِه السَّنَوات القَليـــلَه
وَغَداً سَوف يُولَد مَن يَلبَسُ الدِرعَ كَامِلَةً
يُوقِدُ النَّـــارَ شَـــامِلةً ،
يَطلُبُ الثَّـــــأر ...
يَستَولِدُ الحَقّ مِن أَضلُعِ المُستَحيل !
لاَ تُصَالِح ، ولَـــو قيلَ إنّ التّصَـــالُحَ حِيلَه
إِنَّـــهُ الثَّـــأرُ : تَبهَتُ شُعلَتُهُ في الضّلُوع ،
إِذَا مَا تَوَالَت عَلَيهَـــا الفُصُول
ثم تَبقى يَدُ العَـــارُ مَرسُومَةً بأَصَابِعِهَا الخَمس ...
فوقَ الخِيَـــام الذّليـــلَه .

- ٧ -

لاَ تُصَالِح ، وَلَو حَذّرتكَ النّجُوم
وَرَمى لَكَ كُهَّانُها بالنّـــبَأ .
كنتُ أَغفِرُ لَو أَنّني مُتُّ ما بَين خَيطِ الصَّوَاب وخَيطِ الخَطأ .
لَـــم أكُـــن غَازيـــاً ،
لَـــم أكُـــن أَتسَلَّلُ بَينَ مَضَارِبِهِم
أَو أَحُومُ وَرَاءَ التُّخُوم
لَـــم أَمُدَّ يَـــداً لِثِـــمار الكُرُوم
أَرضَ بُستَانِهم لَـــم أَطَـــأ
لَـــم يَصِح قَاتِـــلي بي : انتَبِـــه ...
كَـــانَ يَمشي مَعِي ...
ثُـــمَّ صَافَحَني ...

ثُـــمَّ سَارَ قَليـــلاً ...
وَلكِنَّهُ في الغُصُون احتَبَـــأ .
فَجأةً : ثَقبَتني قُشَعريرَةٌ بَين ضِلعَين ،
وَاهتَـــزّ قَلبي كفُقاعةٍ... وَانفَئَأ
وَتَحامَلتُ ... حَتّى ارتَكَزتُ عَلى سَاعِدي ،
فَرأيتُ ابنَ عَمِي الزّنيم
وَاقفاً يتشَفّى بوَجـــهٍ لئِيـــم
لَـــم يَكن في يَـــدي حَربَـــةٌ أو سِلاَحٌ قَـــديم
لَـــم يَكُن غَيرُ غَيظي الّذِي يَتَشَكّى الظّمَـــأ!

- ٨ -

لاَ تُصَالِح ، إلَى أن يَعُودَ الوُجُودُ لدَورَتِهِ الدَّائِرة
النّجُومُ لميقَـــــاتِـــهَا ...
وَالطّيُور لأَصوَاتِهـــــا ...
وَالرّمَـــالُ لِذرّاتِهَـــــا ...
وَالصَّـــبَايا لزينَاتِهَـــا ...
وَالقَتِـــيلُ ... لِطِفلَتِـــهِ النّـــاظِره .
كلُّ شَيءٍ تَحطّـــمَ في لَحظَـــةٍ عابِـــرَه :
الصِّبـــــا ...
بَهجَـــةُ الأهـــل ...
صَوتُ الحِصَان ...
التّعَرُّف بالضّيف ...
حُزنُكَ حِينَ تَرى بُرعُماً في الحَدِيقَـــةِ يَذوي ...
الصَّـــلاةُ لِكي يَنـــزِلَ المَطَـــر ...
اللّحَظَاتُ المرَيـــرَةُ حينَ تَرى طَـــائِرَ المَوتِ ،

وَهوَ يُرَفرفُ فَوقَ المبَارزَةِ الكاسِرَه
كُلُّ شيءٍ تَحَطَّمَ في نَزوَةٍ فَاجِرَه
الَّذي اغتَـــالَني : لَيسَ ربّاً ... لَيقتُلَني بمَشيئَتِه ،
لَيسَ أَنبَلَ منّي ... ليَقتُلني بسكِينَته ،
ليسَ أمهَرَ منّي ...ليَقتُلني باستِدَارَته الماكِرَه .
لاَ تُصَالِح ، فَمَا الصُّلحُ إلا مُعَاهَدَةٌ بَين نِدَّين
(في شَرَف القَلب) لا تُنتَقَص
وَالَّذِي اغتَـــالَني مَحضُ لِصّ
سَرَقَ الأَرضَ مِن بَين عَينَيّ ...
والصَّمتُ يُطلِقُ ضِحكَتَهُ السَّاخِرَه

العـــدد وكناياته

العدد نوعان :

الأول :العدد الصريح ، وهو الأعداد المعروفة .

الثاني : العدد المبهم ، وهو الذي يُدَلُّ عليه بكنايات العدد : كم ، كأيِّن ،كذا.

الأعداد الصريحة هي :

آ – من الواحد إلى العشرة .

ب – ألفاظ العقود : عشرون ، ثلاثون ... إلى التسعين .

ج – المئة والألف ومثناهما ، وجمعهما ، وماجرى مجراهما، كـــالمليون والمليـــار .

وهذه الأعداد تستعمل في العربية على ثلاث صور :

١ – **مفردة** : وهي الأعداد من الواحد إلى العشرة ، وألفاظ العقود من عشـــرين إلى تسعين ، والمئة والألف ، وما جرى مجراهما كالمليون والمليار .

٢ – **مركبة** :الأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر .

٣ – **متعاطفة**:وهي من واحد وعشرين إلى تسعة وتسعين ، ماعدا ألفاظ العقود .

والعَدَدُ يحتاج إلى ما يفسِّرُه ويوضِّحُه ، ويسمّى المعدود أو المبيِّن ، وللأعداد مـــع معدودها من حيث المطابقةُ في التذكير والتأنيث أو عدمها أحكام . والمعدود يكـــون مجروراً بالإضافة تارة ، وتمييزاً منصوباً تارةً أُخرى ، ومُفْرَداً تارةً ، ومجموعـــاً تـــارة أخرى ، والعدد قد يُحَلّى بـــ ال هو أو المعدود ، ويُوصَفُ بالعدد ، فيصبح على وزن فاعل ... وسنوضِّح ذلك كله .

المطابقة بين العدد والمعدود :

١ – العددان واحد واثنان :

يوافقان المعدود دائماً ، فيذكّران مع المذكّر ويؤنّثان مع المؤنّث[1]، سواءٌ أكانـــا

---

(١) – مؤنث واحد واحدة ، ومؤنث أحد إحدى ومؤنث حادي حادية .
جاء رجل واحد ، وامرأة واحدة ، اشتريت أحد عشر كتاباً وإحدى عشرة مجموعة شعرية، هذا هو اليـــوم الحادي عشر من زيارتي للجزائر ، وسنقضي الليلة الحادية عشرة في مدينة تلمسان . جاء إلى الاحتفال واحد وعشرون رجلا ، وإحدى وعشرون امرأة.

مفردَيْن أم غيرَ ذلك ، تقول :" عندي كتابٌ **واحد** ، واشتريت كتابين **اثنين** ومحفظة **واحدة** وقدَّمْتُ للمتفوِّقين هديّتين **اثنتين** " فقد جاء العددان واحد واثنان مطابقين لموصوفهما ، والموصوف هنا هو المعدود .

وتقول:"المتسابقون **أحدَ عَشَرَ** سبَّاحاً ، والمتسابقات **إحْدى عَشْرَة** سبّاحَةً، والسنة اثنا عشَرَ شهراً، والنهار **اثنتا عشْرة** ساعةً "،جاء العددان واحد واثنان يطابقان المعدود في التأنيث والتذكير وهما مركبان . وتقول " في القصر **اثنتان وأربعون** غرفةً لها **واحد وستون** باباً"، جاء العدد (اثنتان) مؤنثاً ، لأن المعدود(غُرفة) مؤنث ، وجاء العدد (واحد) مذكراً ،لأن المعدود مذكر ، والعددان جاءا معطوفاً عليهما .

٢- الأعداد من ثلاثة إلى تسعة :

تخالف المعدود في صور استعمالاتها جميعاً ، فهي تؤنَّث مع المذكر ، وتذكِّرُ مع المؤنّث ، تقول :"في الحقل **ثلاثة رِجال،وخمسُ نساء** ، وعلى المكتب **سبعة كتب**[1] ، **وأربع مجموعات** ". خالف العدد معدوده والعدد مفرد . وتقول :" ذهب إلى الرحلة **سبعةَ عشرَ طالباً وخَمْسَ عَشْرَةَ طالبةً**،وقرأت في هذا الشهر **ستةَ عشَر** كتاباً **وأربعَ عشْرةَ** مقالة "، خالف العدد معدوده وهو مركّب .

وتقول : " علَّمَنَا أرسطو منذُ أَرْبَعَةٍ وعشرينَ قَرْناً أن الاندفاع أخصُّ خصائص الشباب "، خالف العدد معدوده وهو معطوف عليه .

وقد يُحْذَفُ المعدودُ إذا كانَ العددُ مفرَداً ، وكان المعنَى واضحاً ، فينوَّنُ العدد ، قال الشاعر :

لعمرُك ما أَدْري ، وإنْ كنْتُ دارياً بسبعٍ[2] رمينَ الجَمْرَ أم بِثَمان ؟

فالمعدود المحذوف هو كلمة "حُصَيَّات"وهو مؤنّث،ولذلك جاء العدد مذكّراً وحُذِفَ المعدود لأنه معروف .

---

(١) – المعوَّلُ في الحكم على تذكير المعدود وتأنيثه على المفرد، فكلمة "كُتُب" لفظُها مؤنّث ،ولكن مفردَها مذكر ، فعلى المفرد نعوِّل .

(٢) – المقصود : أبسبع . وقد حذف الشاعر همزة الاستفهام .

٣ ـ العدد عشرة :

يخالف معدودَه إن كان مفرداً ، ويوافقُه إن كان مركّباً من أحدَ عشَر إلى تسعةَ عشَر ، تقول :" اشتريت **عشْر** مجموعات شعرية، **وعَشَرة** كتب أدبية ، واشترك في الرحلة **عَشَرةُ** طلاب **وعَشْرُ** طالبات"، فقد خالف العدد (عَشَرة) معدودَه في التذكير والتأنيث لأنه جاء مفرداً .

وتقول :" لقد استطاعت إحدى وحداتنا المقاتلة أن تحطم للعدو **سبعَ عَشْرةَ** دبابة ، و**خمسَ عَشْرَةَ** مجترة ، و**أربعَ عَشْرَةَ** مصفحة ، ودمّرت له **ثلاثةَ عَشَرَ** مدفعاً ، وتمكنت من قتل **ستةَ عشَرَ** فرداً من أفراده ، وأسر **ثمانيةَ عشَرَ** فرداً آخرين " ، دبّابة ، ومجترة ، ومصفحة ، كلمات مؤنّثة ، ولذلك فإن العدد عشرة لما كان مركّباً وافق المعدود فجاء مؤنثاً ، وجاء العدد "عَشرة " مذكّراً حينما ذُكّر المعدود في قولنا :" ثلاثةَ عشَر مدفعاً ، وستةَ عشَر فرداً ، وثمانيةَ عشَر فرداً ". وقال القائد الخالد حافظ الأسد في ذكرى ثورة آذار المجيدة عام ١٩٨١ :" نلتقي اليوم وقد عبرنا **ثمانية عشر** عاماً من عمر الثورة كانت حافلة بالأعمال والآمال ". جاء العدد "عشرة" مذكراً لأن المعدود "عاما" مذكّر ، وهي مركبة غير مفردة . وتضبط الشين في العدد "عشرة " مفردة ومركبة بحركة الفتح إذا كان المعدود مذكراً ، وتسكن إذا كان مؤنثاً .

٤ ـ ألفاظ العقود :

يكون العدد بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث ، قال القائد الخالد حافظ الأسد عام ١٩٧٨ :" لقد حافظنا على مدى **ثلاثين عاماً** على هوية فلسطين ، ووقفنا في وجه كل الذين حاولوا طمسها "، وتقول :"زار قطرنا وفدٌ سياحي فيه **أربعون رجلاً وثلاثون امرأةً** ، وسيبقى الوفد عشرين يوماً أو ثلاثين ، فينعم بجمال الطبيعة ، ويتمتع برؤية الآثار ".

وقال الشاعر :

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ثمانين حولاً ـ لاأبا لك ـ يَسأَمِ

٥ ـ المئة والألف ومضاعفاتهما وما جرى مجراهما كالمليون والمليار :

يكون العدد بلفظٍ واحد للمذكّر والمؤنّث ، والمئة مؤنّثةٌ ، والألف والمليون والمليار مذكّرة ، تقول :" سجل في قسم اللغة الفرنسية **مئةُ** طالبٍ **وسبعون** طالبة، وسجل في كلية الآداب **ستمئة وأربعون طالباً وأربعمئة وثلاثون طالبة** ، وسجل هذا العام في جامعة حلب **أربعة آلاف طالبٍ** ، **وثلاثة آلاف طالبةٍ** ، وعدد الطلاّب في جامعة دمشق بلغ عام **ثلاثة وثمانين وتسعمئةٍ وألف** ما يقارب **سبعين ألف طالبٍ وطالبةٍ** . وبلغت ميزانية وزارة التعليم العالي مِئات **الملايين** من الليرات السورية " .

الوصف بالعدد "صوغ العدد على وزن فاعل أو فاعلة":

أخذَ العرب من الأعداد أوصافاً صاغوها على وزن "فاعل ، فاعلة " في كلّ الحالات؛ الإفراد والتركيب والعطف ، فقالوا" **اليومُ الرابعُ والليلة الخامسةُ** ". والعدد حينئذ يطابق موصوفه تذكيراً أو تأنيثاً . تقول :" في **اليوم الثامن** من آذار عام ثلاثة وستين وتسعمئة وألف قامت ثورة آذار المجيدة ، وفي **اليوم السابعَ عَشَرَ** من نيسان سنة ست وأربعين وتسعمئة وألف تحقّقَ الجلاء " وتقول " يغدو القمر بدراً في الليلة **الرابعَةَ عشْرَةَ** من كلّ شهر قمري " ، وتقول " انتهيت من قراءة الفصل السابع في **الساعة الثانيةَ عشرةَ** ، ووصلت إلى **الصفحة الثانيةِ والثمانين** بعد المئة ".

وقال القائد الخالد حافظ الأسد :" سيظلُّ لهذا **اليوم السادسِ** من تشرين هيبتُه ، ستظلُّ له عظمتُه ، سيظلُّ له عنفوانُه وخلوده " وجاء في وصف حرب تشرين :" لقد بدأت قوّاتنا المسلّحة ضربتها الأولى ، فشنّت هجومها في الساعة الثانية من بعد ظهر **اليوم العاشر** من رمضان ، **السادس** من تشرين الأوّل عام ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف بتمهيد مدفعي دام ساعة، اشترك فيه ما يُقارِب تسعمئة مدفع ، وانطلقت ثمانون طائرةً لتوجيه الضربة الجويّة إلى أهداف العدوّ ، وفي القِطَاع الشماليّ انطلقت **الفِرقةُ السابعة** لِتعبرَ الخندق ، وبعد قتال مرير دام ثلاث ساعات ونصفا ؛ تمكّنت من فتح عِدّة ثغرَاتٍ ، وفي القطاع الأوسط قامت **الفِرقةُ التاسعةُ** بالهجوم، وعبرت الخندق

المضادّ للدبّابات ، ونفّذت مهمتها ، أمّا الفرقة الخامسةُ فقد قامت باقتحام الخنـــدق المضادّ للدبّابات ، ونجحت في ذلك ".

ونلاحظ ما يلي :

١ - من أجل الوصف بالعدد يُصاغ وزن "فاعل أو فاعلة " من الأعداد المفردة مـن اثنين إلى عشرة : الثاني = الثانية ، الثالث = الثالثة ، العاشر = العاشرة ، أمّـا العدد " واحد " فهو أصلاً على وزن " فاعل " .

٢ - ويصاغ الوصف من الأعداد المركبة " ١١ - ١٩ " من الجزء الأوّل المطـابق لمعدوده ، ويطابق الجزء الثاني معدودهُ أيضاً تقول: "في اليوم السادسَ عَشَر من تشرين الثاني قامت الحركة التصحيحيّة بقيادة القائد الخالد حافظ الأسد ".

٣ - ويُصاغ من الأعداد المعطوف عليها " ٢١ - ٩٩ " من الجزء الأوّل المعطـوف عليه ، أمّا المعطوف فيبقى على حكمه السابق ، تقول : " تحتفـلُ سـورية بذكرى الوحدة في اليوم **الثاني والعشرين** من شهر شباط ".

٤ - تُستعمل ألفاظ العقود والمئة والألف ومثنّاها وما جرى مجراهمـا " مليـون ، مليار " في الوصف دون تغيير فيها نحو :" كرّ الجنودُ **المئةُ** على عدوّهم فقتلـوا الأعداءَ **المئةَ والأربعين**".

٥ - ما صيغ من الأعداد على صيغة فاعل أو فاعلة ، يطابق موصوفه في التذكـير والتأنيث في استعمالاته جميعاً .

٦ - إنْ جاء العدد المفرد من " ٣ - ١٠ " وصفاً نحو قولنا " زارني أربعـة رفـاق فأكرمت الرفاق الأربعة ، ونجحت خمس طالبات فهنّأت الطالبات الخمـس " جاز في العدد أن يخالف معدوده في التذكير والتأنيث وهو الأصل والأفضـل ، وجاز أنْ يطابقَه في التذكير والتأنيث؛لأنّ الصفة تطابق الموصـوف فنقـول: أكرمت الرفاق الأربع ، وهنأت الطالبات الخمسة ، وهو وجه غير مألوف .

تمييز العدد :

العدد في الأصل مبهم ، ولايُكْشَـفُ إبهامه ، ويتّضحُ جنسُه إلا بذكر المعدود أو

ما يدل عليه ، ولمبيِّن العدد أحكامٌ هي :

١ ـ العددان واحد واثنان :

يأتي كلٌّ منهما صفة لمعـــدوده الذي يسبقه ، تقول " في المقعد طالبةٌ واحدة ، أو طالبان اثنان " المعدود اسم موصوف ، والعدد جاء صفة .

٢ ـ الأعداد من الثلاثة إلى العشرة :

المعدود أو المبيّن يأتي جمعاً مجروراً بالإضافة إلى العـــدد ، تقـــول :" شـــارك في المهرجان الشعري **خمسة شعراء**، وأربع شاعرات ، وشارك في نقدهم أربعـــة نقـــاد ، **وثلاث ناقدات** ". المعدود جاء جمعاً مجروراً بالإضافة ، وقد يجر بحرف الجر " مـــن " تقول " زار القطر وفدُ نقابةِ المعلمين المؤلّف من **خمسةٍ من الرجال** ، **وثـــلاثٍ مـــن النساء** " . المعدود جاء مجروراً بحرف الجر "من".

٣ ـ الأعداد من أحد عشر إلى تسعة وتسعين :

تمييزها أو مبيّنها أو معدودها يأتي مفرداً منصوباً ، ويُعْرَب تمييزاً ، تقول :"أكـدت سورية خلال أربعة عشر عاماً أنها منيعة على التهديد ، حصينة من الضغط والابتزاز "، ونقول :"نجح في الامتحان **ستة وسبعون طالباً** ، **وخمس وأربعون طالبة** " المعدود جـاء مفرداً ، وهو تمييز منصوب .

٤ ـ المئة والألف ومثناهما وجمعهما وماجرى مجراهما :

تمييزها أو معدودها مفرد مجرور بالإضافة ، تقول :" حضر المحاضرة **مئة طـالبٍ** ، **ومئة طالبةٍ** ، وشارك في الاحتفال بعيد الثامن من آذار **خمسة آلاف طالبٍ** ، **وأربعـــة آلاف طالبة**"، المعدودُ مفردٌ مضافٌ إليه مجرور، ويجوز أن يجر بحرف الجر"من" فيكـون مجموعاً، تقول :" أمددنا الفرقة الثالثة **بألف من الجنود** المشاة ، **ومئة من المظليّين** ".

تعريف العدد :

إذا أُريد تعريف العدد أدخلنا " ال " التعريف على العـــدد أو على المعـــدود ،

ولاتدخل "ال" التعريف عليهما جميعاً لأنهما بمنـزلة شيء واحد ، أو هما كالكلمة الواحدة ، ولايُعَرَّفُ الشيءُ الواحد مرتين ، وإليك قواعد التعريف :

١ - إذا كان المعدود مجروراً بالإضافة[١] أُدخلت"ال"التعريف عليه،تقول: "أكرمت خمسة الطلاّب المتفوقين ، فوزّعتُ عليهم عشرة الكتب ، وكرمّت النقابة مئة العامل المجد ، فمنحت كل واحد منهم تسعَمئةِ الليرة " فقد عُرّفَ المعدود لأن العدد مضاف ، والمضاف لايتعرف بـ"أل".

٢ - إذا كان العددُ مركبّاً " من أحد عشر إلى تسعة عشر " أدخلت"أل" على الجزء الأول من التركيب نحو"دعوت الأحد عشر صديقاً إلى الاحتفال بنجاح ولدي، وقبض رجال الشرطة على الأربعة عشر مجرماً الذين فروا من السجن"، ومن ذلك قول القائد الخالد حافظ الأسد :" لقد أكدت سورية خلال الأحد عشر عاماً الماضية أنها منيعة على التهديد ، وقد قطعنا خلال الإحدى عشرة سنة الماضية أشواطاً واسعة على طريق البناء والتقدم".ومن الملاحظ أن الجزء الأول من العدد هو الذي دخلت عليه أداة التعريف "ال".

٣ - إذا كان العدد من ألفاظ العقود دخلت"ال"التعريف عليه مباشرة تقول: "وصل الخمسون متسابقاً والثلاثون متسابقة إلى قِمّة الجبل "، وتقول :"قاتل الخمسون جندياً السبعين عدواً ".

٤ - إذا كان العدد معطوفاً عليه فإن المعطوف والمعطوف عليه يُعَرّفان بـ "ال" تقول: "كتبت الثلاثَ والعشرين صفحة ، وقرأت الواحدَ والعشرين كتاباً ، واشترك في تمثيل المسرحية الخمسةُ والعشرون طالباً ، والثلاثُ والعشرون طالبة ".

إعراب العدد وبناؤه :

العدد من الأسماء ، والأصل في الاسم أن يكون معرباً ، ويخرج عن ذلك العدد

---

[١] يكون المعدود مجروراً بالإضافة إذا كان العدد من٣ -١٠،أو مئة أو ألفاً أو مثنييهما أو جمعهما،أو ماجرى مجراهما كالمليون والمليار .

المركب الذي استعمله العرب مبنياً على الفتح ، وهذه هي قواعد الإعراب والبناء:

١ ـ الأعداد من واحد إلى عشرة (ماعدا العدد اثنين):

معربة بالحركات الظاهرة ، أما العدد "اثنان أو اثنتان " فيلحق بالمثنى ، وعلامة رفعه الألف ، وعلامة نصبه وجره الياء ، تقول :"اثنان لايشبعان طالب علم وطالب مال"[اثنان : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى] وتقول :" إن في شهر نيسان مناسبتين اثنتين عزيزتين على جماهير شعبنا ، ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي،وذكرى الجلاء ، وقد احتفلت جماهيرنا بالمناسبتين الاثنتين"،"اثنتين" نعت[1] لاسم إن "مناسبتين"منصوب مثله وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بالمثنّى."الاثنتين" : نعت للاسم المجرور " المناسبتين " مجرور مثله وعلامة جره الياء لأنه ملحق بالمثنّى .

إذا استعملت هذه الأعداد معطوفاً عليها كانت لها القاعدة نفسها،تقول: " الحاضرون سبعة وثلاثون رجلاً وخمسٌ وعشرون امرأة " وتقول : " كرمت الجامعةُ اثنين وعشرين موظفاً مُجِدّاً " .

وقالت الشاعرة ترثي أخاها :

عَدَدْنا لهُ ستاً وعشرين حِجّةً فلما توفّاها استوى سيِّداً ضخماً

وتقول :"اختارت الكليّة خمسةً وثلاثين طالباً ، وثلاثاً وعشرين طالبة لتمثيلها في النشاط الرياضي ".

٢ ـ الأعداد المركبة من أحد عشر إلى تسعة عشر:

مبنية على فتح الجزأين ، ماعدا الجزء الأول من "اثنتي عشرة واثني عشر" فإنه يعرب إعراب المثنّى ويبقى الجزء الثاني مبنيّاً على الفتح .تقول: " المتسابقون **أحدَ عشرَ** سبَّاحاً ""**أحد عشر** "جزءان مبنيّان على الفتح في محل رفع خبر . وتقول: "أثنيت على **خمسةَ عشرَ** متفوقاً ""**خمسة عشر** " جزءان مبنيان على الفتح في محل جر بحرف الجر . وتقول :"دارت الطائرة **سبع عشرة** دورة " **سبع عشرة** " : جزءان مبنيان على الفتح

---

[1] ـ نعت : صفة

في محل نصب مفعول مطلق نائب عن المصدر .وتقول :"قضيت اثني عشر يوماً في فرنسا ، زرت فيها اثنتي عشْرة مدينة ،" اثني " مفعول فيه نائب عن ظرف الزمان منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بالمثنى ،" عشر" جزء متمم مبني على الفتح لامحل له من الإعراب،"اثنتي": مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بالمثنى ، و"عشرة" : جزء متمم مبني على الفتح . وتقول :" السنة اثنا عشر شهراً ""اثنا ": خبر مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى ."عشرة" جزء متمم مبني على الفتح .

٣ ـ الصفات المصوغة من الأعداد:

إذا جاءت مركبة من"الحادي عشر إلى التاسع عشر"كانت مبنيَّةً على فتح الجزأين ماعدا الجزء الأول من العددين **الحادي عشر والثاني عشر** ، فإنه يُبْنى على السكون ، تقول: وصل المتسابق **الخامسَ عشرَ** والمتسابقة **السابعةَ عشرةَ** وقد جرى السباق في الساعة **الحاديةَ عشرةَ** من اليومين **الحاديْ عشرَ والثانيْ عشرَ** من الشهر الخامس".

٤ ـ ألفاظ العقود " عشرون إلى تسعين ":

تعرب إعراب جمع المذكر السالم ، فعلامة الرفع الواو ، وعلامة النصب والجر الياء . قال القائد الخالد حافظ الأسد :" حافظنا على مدى **ثلاثين** عاماً على هوية فلسطين ، ووقفنا في وجه كل الذين حاولوا طمسها "ثلاثين" : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم .وتقول : "يدرّس في الكلية **خمسون** أستاذاً **وعشرون** محاضراً " "خمسون" : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم . وقضيت مدة الخدمة العسكرية **ثلاثين** شهراً ،" ثلاثين " حال منصوبة وعلامة نصبها الياء لأنها ملحقة بجمع المذكر السالم .

٥ ـ المئة والألف ، ومثناهما ، وجمعهما ، وما جرى مجراهما " المليون والمليار ":

كلها معربة تعرب بالحركات إلا إذا كانت بصيغة المثنّى ، فتكون الألفُ علامة الرفع والياءُ علامة النصب والجر ، تقول :"إن **مئة** جنديٍّ من جنودنا البواسل يغلبون

مئتين من جنود العدو ."مئة" اسم إن منصوب ،"مئتين" : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى ، وقال تعالى: ﴿إن يكنْ منكم ألفٌ يغلبوا ألفين﴾ [الأنفال ٦٦].

ملاحظات :

١ ـ اكتب همزة العدد " مئة" على النَّبْرة ، ولاتكتبها كما كانت تكتب قبل أن تنقط الحروف "مائة"، وإذا سبقت المئة بعدد مفرد وصلت بينهما في الكتابة ، فتقول :"أربعمئة ، وخمسمئة ، وسبعمئة" تمييزاً لها مما يدل على أجزاء المئة في قولنا : خُمْسِ مِئَةٍ ، وسُبْعِ مِئَةٍ.

٢ ـ تُستعمل مع الأعداد كلمة "نَيِّف " وتدل على مازاد على العقد إلى العقد الذي يليه ، فإن استُعملتْ كلمة نيّف في الكلام ذُكرتْ بعد ألفاظ العقود ، وكانت بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث ، تقول " جاء من الأصدقاء عشرون وَنَيِّفٌ ، وأنير من قرى محافظتنا ثلاثونَ وَنَيِّفٌ ".

٣ ـ وقد تُستعمل كلمتا " بضع وبضعة " فتدلاّن على الأعداد من الثلاثة إلى التسعة على الرأي الأرجح ، ولذا يخالفان المعدود في التذكير والتأنيث ، تقول " نجح **بضعةُ طلابٍ وبضعُ** طالبات".

٤ ـ تُقْرأ الأعداد كما يقرأ الكلام العربيّ ، أي من اليمين إلى اليسار ، فتقول : هذا عامُ **خمسةٍ وثمانين وتسْعمئةٍ وألف**"،وهذه هي الطريقة الصحيحة في القراءة ، وإن كانت القراءة الثانية ـ وهي القراءة من اليسار إلى اليمين ـ أصبحت مألوفة في عصرنا الحاضر ، فيقولون : هذا العام عامُ ألفٍ وتسعمئةٍ وخمسةٍ وثمانين".

٥ ـ الكسور في اللغة العربية مذكّرة تُطبّق عليها القواعد السابقة، فتقول :"خَمْسَةُ أسْدَاسٍ ، وسبعَةُ أثمانٍ ، وثلاثَةَ عَشر رُبْعاً...".

٦ ـ إذا جاء لفظ الثمانية بلفظ المذكر ثماني طالبات عومل معاملة الاسم المنقوص . فياؤه تحذف في حالتي الرفع والجر .وتثبت في حالة النصب. تقول:"جاءت

طالباتٌ ثمان،ومررت بقرى ثمانٍ وأكرمت ثماني طالبات.وقرأت صفحات ثمانياً"وإذا ركّبت مع العشرة ثبتت الياء ، فنقول : جاءت ثماني عشرة طالبةً ، وثمانية عشر طالباً .

كنايات العدد :

كنايات العدد ثلاث : كم ، كأيّن ، كذا .

كم : تقسم قسمين :خبريَّةٌ ، معناها التكثير ، واستفهامية ، يُستفهم بها عن عدد يراد تعيينه.

آ ـ الاستفهامية : تقول " كم كتاباً في مكتبتك ؟"[كم : اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، وكتاباً : تمييز وتمييزها مفرد منصوب نكرة].

ب ـ الخبرية : تقول :"كمْ شهيدٍ ضحى في سبيل الوطن!"[كم:خبرية للتكثير، مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ ، شهيد : مضاف إليه]:تمييزها مضاف إليه مجرور ، ويأتي مفرداً أو مجموعاً ، وقد يُجَرُّ بحرف الجر "من" تقول "كم كتبٍ اشتريت ، أو كم من كتابٍ قرأت "كم : خبرية للتكثير مبنية على السكون في محل نصب مفعول به . قال الشاعر :

كم ضنينٍ بنفسهِ رامَ منجى ... فتلقّوا جبينَه بالحُسَامِ

كم أخٍ قد رأى أخاه صريعاً ... تَرِبَ الخدِّ بينَ صرعى كرامِ

وتتفق الخبريّة والاستفهامية في أمورٍ أهمها بناؤهما على السكون ، ولهما الصدارة على الجملة ، ولابدّ لهما من مبيِّن يأتي بعدهما يكشِفُ إبهامَهما،ويبيِّنُ المقصودَ منهما ، ولهما محلٌّ من الإعراب بحسب الجملة .

وتختلفان في أمور ، أهمها : أن الاستفهاميّة تحتاجُ إلى جواب ، وتصلح للأزمنة كلِّها ، بينما الخبرية لاتحتاج إلى جواب ، ولاتصلح إلا للإخبار عن الماضي ، والأصل

في مبيّنِ الاستفهاميّةِ أن يكون تمييزاً مفرداً منصوباً ، وفي مبين الخبرية أن يكون مجـــوراً بالإضافة أو بمن ، قال جرير:

كَمْ بالمواسمِ مِنْ شـــــعثاءَ أرملـــةٍ ومن يتيمٍ ضعيفِ الصَوْتِ والنَّظَـــرِ

وقد يُحذَفُ مبيِّن "كم " الاستفهامية وكم الخبرية إذا كان في الكلام مـــا يـــدل عليه تقول :"كم عمرُك ؟" أي كم سنةً عمرُك ؟ وتقول :"كم أنفقت ؟" أي كم لـيرةً أنفقت ؟

وقال إبراهيم اليازجي يحثُّ أمته على النهوض:

كَمْ تُظْلَمُون ولستُمْ تَشْتَكُون،وكـم تُسْتَغْضَبون فلا يَبْدو لَكُمْ غَضَـــبُ

والتقدير : كم مرةٍ تظلمون ، وكم مرة تستغضبون ،! [كم : خبريـــة في محـــل نصب مفعول مطلق].

٢ - **كَأَيِّنْ** : معناها هو معنى "كم " الخبرية ، ولها خصائصها ، فلها الصـــدارة ، وتخبر عن الماضي، غيرَ أن تمييزها مجرورٌ بمن، تقول :"كأيِّن من مرة نصحتك"[كـأيِّنْ : خبرية في محل نصب مفعولٌ مطلق]، وكأيِّن من شهيدٍ ضحّى في سبيل الوطن ".[كأيِّن: خبرية في محل رفع مبتدأ].

كذا : كناية عن عدد، تقول : " اشتريت كذا كتاباً " وقد تكون كناية عن جملـة نحو " سمعت كذا حديثاً".تمييزها مفرد منصوب نكرة،وليست لها الصدارة في جملتـها ، وتستعمل مفردة ، أو مكررة ، أو معطوفاً عليها ، تقول :"زرت كذا مدينة " كـــذا : اسم مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، وتقول :"كذا أســـتاذاً زار كليَّـــةَ الآداب "كذا اسم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ، وتقول "استشرتُ كذا وكذا طبيباً ، أو استشرتُ كذا كذا طبيباً " فقد عُطِف عليها مرة ، وكُرِّرت مرة أخـــرى ، وإذا كررت فالثانية توكيد لفظي للأولى.

جدول يلخص أحكام العدد

العدد	مطابقته للمعدود	حكم معدوده مميزه	إعرابــه	صوغه على وزن فاعل	تعريفه
١ – ٢	يطابقان المعــدود "قرأت كتاباً واحداً، وصحيفتين اثنتين "	يــأتي المعــدود قبلــهما فيكونان صفتين له .	العدد "واحد"يعرب بالحركــات،أمــا العدد "اثنان"فيعرب إعــراب الملحــق بالمثنى	العدد"واحد" مصوغ أصلاً علــى وزن فــاعل لكنه يبدل بلفظ "الأول" أو "الأولى"أما العــدد "اثنان فيصبح " الثــاني "أو "الثانيــة" قضيــة فلسطين هي القضية الأولى – نــال المتفــوق العلامة الثانية"	يتبعان ماقبلهما فإذا كان مُعَرَّفاً عُرِّفا "حاربنا العدو الواحــد ، وتجاوزنــا العقبتــين الاثنتين".
٣ – ١٠	تخالف المعدود "قــابلت أربــع فدائيات، وخمســة فدائيين "	يكون معدودها مجموعــاً مجروراً بالإضافة	تعرب بالحركات ويكــون إعرابهــا بحسب موقعها من الجملة .	تصاغ مباشرة على وزن فاعل فتكــون صفــة للمعدود قبلها . "هاجم الفيلق السابع مواقع العــدو وســارت الكتيبة السابعة خلفه ".	يُعَرَّف معدودها فقط قابلت أربع الفدائيــات وخمسة الفدائيين .
(١٠) مركبة	تطابق المعدود "تطوّع ستة عشــر ضابطاً في الجيش "	مميزها مع ما قبلها يكــون مفرداً منصوباً	جزء متمم مبني على الفتح لامحل لــه من الإعراب مع العدد "١٢"وتكــون مع بقية الأعداد هي وما قبلها جــزءان مبنيان على الفتــح يعربــان بحســب موقعهما من الجملة	لاتصاغ على وزن فاعل إذا كانت مركبة ومــا يصاغ هو الجزء الأول الذي يسبقها: "أكرمــت المتفوق الرابع عشر "	لاتعرف فالتعريف يكون للجزء الأول الذي يسبقها : "أسرت قواتنا الأحد عشر جندياً "
١١ – ١٢	يطابقان المعدود "أطلقت مدفعيتنا أحد عشر صاروخاً واثنتي عشرة قذيفة"	معدودهما مفرد منصوب	العدد "١١"مبني على فتح الجزأين أما العــدد "١٢" فيعــرب جزؤه الأول إعراب الملحق بالمثنى والثاني جزء متمم مبني على الفتح لامحل له من الإعراب .	يصاغ جزؤهما الأول على وزن فاعل : " قبضت قوات الأمن على المتهم الحادي عشــر ووضعوه في الزنزانة الثانيةَ عشرة".	يعرفان بإضافــة "ال" إلى الجزء الأول : أســرت قواتنا الأحد عشر جندياً إســرائيلياً وأســقطت الاثنتي عشرة طائرة"

جدول يلخص أحكام العدد

العدد	مطابقته للمعدود	حكم معدوده مميزه	إعرابه	صوغه على وزن فاعل	تعريفه
١٣ – ١٩	تخالف المعدود " نجح في الامتحان الأخير سبعة عشر طالباً ، وتسع عشرة طالبة.	معدودها مفرد منصوب	جزءان مبنيان على الفتح في محل .... بحسب موقعها من الجملة .	يصاغ الجزء الأول منها على وزن فاعل :"سقط الشهيد الثالثَ عشرَ دفاعاً عن أرض الوطن".	تعرف بإضافة "ال" التعريف إلى الجزء الأول منها : "شاهدت الخمس عشرة مباراة على شاشة التلفاز".
ألفاظ العقود من عشرين إلى تسعين	تكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث " تخرج في دورة المظليين الأخيرة سنون مظلياً وأربعون مظلية".	معدودها مفرد منصوب	تعرب إعراب الملحق بجمع المذكر السالم بحسب موقعها من الجملة .	لاتصاغ	تعرف بإضافة"ال" التعريف إليها مباشرة : "قرأ الطالب العشرين كتاباً "
المئة والألف	يكونان بلفظ واحد للمذكر والمؤنث " حضر الاحتفال مئة ضابط وألف جندي ".	معدودهما مفرد مجرور	يعربان بالحركات بحسب موقعهما من الجملة .	لايصاغان	يعرفان بإضافة "ال" إلى معدودهما ."زود الإصلاح الزراعي مئة الفلاح بالسماد الكيماوي ".

أخطاء شائعة

اللغة العربيّة عنوانُ أصالتنا ، وأساس وحدتنا وقوميّتنا ، قوتنا بقوتها ، وتقدّمُنا بتقدمها ، وقد حَمَلتْ راية حضارتنا فيما مضى ، وهي التي ستحمل تقدّمنا في عصرنا هذا ، من خلالها نثبت أسس هويتنا القومية ووجودنا المعاصر ودورنا العالمي ، فهي أداة التواصل الأرقى، وهي التي تحمل أفكارنا وهمومنا وأدبنا وعواطفنا وعلوم عصرنا ، فالاهتمام بها اهتمامٌ بحياتنا كلّها .

ولقد لقيت اللغة العربيّة عناية فائقة من الناطقين بها، فكان علماء اللغة الذين تتابعوا منذ القرن الأوّل للهجرة حتى يومنا هذا يريدون للّغة صفاءً ونقاءً لتبقى قويّةً ، وقد كانت قويّة يوم عبّرت عن مكوّنات الحضارة العربية ، ونحن نريد لها أن تستوعب حضارة العصر الذي نعيش فيه . ونقاء اللغة وصفاؤها ضرورة غايتها أن يستمر التواصل بين الماضي والحاضر .ومن هنا كان علماء اللغة يحرصون على ضبطِ اللغة وتقويم اعوجاج الألسن وتبيان الوجه الصحيح في كل ما يعرض من مسائل اللغة .

واللغة تتطوّر ، وتطوّرها سنةٌ لابدّ منها ، وقانون عام يشمل اللغات كلّها ، وما أساليبنا الحديثة إلا تطوّر لغوي ، ولو حاولنا إزالة هذا التطوّر لحكمنا على أغلب ما نكتب بأنه من الأخطاء الشائعة ، لذلك لابدّ من التفريق بين التطوّر الذي لابدّ منه والأخطاء الشائعة ، فالتطور اللغوي نؤمن به وندعو إليه ، لأن الحياة تتطوّر ، والتعبير عنها لابدّ من أن يتطوّر ، ولو أبقينا على معاني الكلمات كلّها كما كانت عليه لوقفنا عاجزين أمام التعبير عن مستجدات الحياة ، لأن اللغة صورة المرحلة الاجتماعية ولسانها، ولابد أن ينعكس فيها تطور المجتمع الذي يتداولها .

وبين التطور اللغوي والأخطاء الشائعة فرق ، فالتطور حقيقة لغويّة لابدّ منها ، والخطأ الشائع لا مسوِّغ له ، وفي اللغة ما يعبِّر عن المعنى المراد بطريقة تصل بين الماضي والحاضر ، وتوحِّد بين الناطقين باللغة .

فإصلاح الخطأ الشائع ضرورة لغوية عرفها القدماء، فلابدّ من الإشارة إلى الخطأ ،

حتّى تبقى اللغة صافية ، وحتّى يعبِّر الناطقون بها تعبيراً صحيحاً سليماً يجمع بينهم ، ويوحِّدهم ، ولولا الحفاظُ على اللغة ، ولولا الغيرة عليها لتفرّق الناطقون بها أُمماً كما حدث للناطقين بلغات أخرى .

تبقى ملاحظة أساسية ، وهي ألا نخلط بين التطوّر والخطأ ، وألا يقودَنا حبنا للغتنا إلى التزمُّت اللغوي ، فنحارب التطور تحت شعار محاربة الخطأ الشائع . إن اللغة العربية تتعرض للخطر على يد المتساهلين والمتهاونين والجاهلين من جهة ، وعلى أيدي الدساسين وأعداء العروبة من جهة أخرى ؛ ولكنها أيضاً تتعرض لخطر مماثل على أيدي المتزمتين الذين يحاولون أن يحرموها من فرصة التطور والمرونة والاستجابة لمتطلبات العصر .

ولكي تقوى اللغة على الحياة وتصمد في وجه التيارات المعادية وعوامل الانحدار الطبيعية كذلك،ينبغي أن يعمل أبناؤها على خدمتها ليلَ نهار ودون كلل. ومن أبرز جوانب خدمة العربية السهر على تقويم الأخطاء الشائعة،ومساعدة القارئ والكاتب والمتكلم على تبيُّن الوجه الصحيح للاستعمال،بشرط ألا يُمنع استخدام كلمة أو عبارة إلا بعد أن يقدم لها البديل الصحيح .

وفيما يلي مجموعة من نواحي الاستخدام اللغوي ابتعدت كثيراً أو قليلاً عن صفاء اللغة نؤثر أن نوردها وفق تصنيف محدد :

١ ـ الخطأ في استعمال الكلمة . ٢ ـ الخطأ في تصريف الكلمة .

٣ ـ الخطأ في تعدية الأفعال والمشتقات والمصادر .

٤ ـ الخطأ في تركيب الجملة وفي الحركة الإعرابية .

وسنبدأ دائماً بالإشارة إلى الوجه الصحيح حتى يثبت في النفس ثم نبيِّن بعد ذلك الوجه الخاطئ الذي شاع ، حتى يتحاماه القارئ وينبه من حوله إلى ذلك .

١ ـ في استخدام الكلمة لفظاً أو معنًى :

ـ تقول :"يعتقد الأنانيُّ أنْ لا عَلاقة له بهموم الآخرين" فكلمة علاقة يجب أن

تكون مفتوحة العين ، ويخطئ بعضهم فيقول :"لاعُلاقة "وليس ذا بصحيح . وجمعها عَلاقات وعَلائق .

- تقول : "روّى الشهداء أرض الوطن بدمائهم الزكيّة "ومعنى "الزكيّة" الطاهرة ، مشتقّةٌ من " الزكاة " وهي غير الذكيّة " بالذال التي تعني "الفِطنة" وهي مشتقّة من " الذكاء" ويخطئ من يقول :"روّى الشهداء أرض الوطن بدمائهم الذكية " لأنّه يستخدم الكلمة في غير مكانها .

- تقول :"حَمَل الخطيب في أثناء كلامه حملةً شعواء على الرجعيين أعداء الوطن " فكلمة "أثناء" تجرُّ بحرف الجرِّ "في" وتعني هذه الكلمة "بين الأجزاء" ولذلك يخطئ من يريد هذا المعنى ، فيقول :"في ثناياه "لأنّ الثنايا جمع ثنيّة ، وهي الطريق في الجبل ، ومنه قول الشاعر :

أنا ابن جلا وطلّاعُ الثنايا متى أضعِ العِمامةَ تعرفوني

- تقول لمن يقع في التناقض بين أفكاره وأعماله :"إنّ أعمالك وتصرفاتك لاتماشي مبادئك. ويخطئ بعضهم فيقول :"لاتتماشى "لأنّ معنى "تماشَوا" في اللغة العربية هو أن يمشيَ بعض الناس إلى بعض .

- تقول :"دهمنا هذا الصيف حَرٌّ شديد" . ويقول كثير من الكتّاب :"داهمنا " وليس في اللغة هذه الكلمة .

- تقول :" بلغ محمّدٌ سنَّ الأربعين و لم يَزَلْ عَزَبا". وأغلب الناس يعبِّر عن هذا المعنى بقوله: " و لم يزل أعزب " ولا وجود لهذه الكلمة في اللغة العربية . ومؤنثها "عَزَبَةٌ " والجمع "أعزاب".ويمكن أن تقول "عازباً " أيضاً.

- تقول :" يُشرف على تنفيذ مشروع سدِّ الفرات مهندسون سوريون أكفياء". ومعنى أكفياء قادرون ، ومفردها "كفيّ " ويخطئ أغلب الناس فيقول :"أكْفَاء" وهي جمع مفرده "كفء"ومعناه المساوي والموازي والمناظر ، قال تعالى:﴿ و لم يكن له كفواً أحد ﴾ [الإخلاص]. ويخطئ آخرون فيقولون "أكِفّاء" بتشديد

الفاء ، وهو جمع مفرده " كفيف" وهو الأعمى .

- تقول :"هذا رفات البطل الذي استُشْهِدَ مدافعاً عن عروبة بلده ". ويخطئ من يقول :"هذه رفات ..." لأنّ كلمة "رفات" مذكّرة ، وهي في معناها وفي وزنها مثل كلمة حطام ، وتشبهها أيضاً في التذكير وفي الكتابة كلمة : فتات المائدة .
- تقول :" خضع المستعمر لمطالب الثوّار وأذعن". وقد شاع في الاستعمال الخاطئ قولهم "رضخ..." ومعنى "رضخ " كسَر اليابسَ أو الصُّلبَ كالنوى والحصى .وشاع أيضاً قولهم :"انصاع ..." ومعنى "انصاع"انفتل راجعاً ومسرعاً .
- تقول :"نَفِدت نقودي " وتقول :" منح الرئيس بشار الأسد مستنفدي فرص النجاح أو الرسوب دورةً فصلية إضافية ". ويعبِّر الكثيرون عن ذلك فيقولون :"نفذَتْ ، ومستنفذ ، وليس ذا بصحيح لأنّ الفعل "نَفَذَ " معناه خرق أو اخترق ، تقول :نفذ السهم .
- تقول :" لن أقحم نفسي في هذا الموضوع إذْ لاصلة لي به". ويعبِّر بعضهم عن هذا المعنى مخطئاً فيقول : إذ لادخل لي به "ومعنى " الدخل " في اللغة العربية هو ما يعود على الإنسان من أجور ما يملك من أرض أو عقار .
- تقول :" إني مؤمِّلٌ النجاحَ في الامتحان". والكثيرون يخطئون، فيقولون :" إنني متأمِّل في النجاح في الامتحان "وفي هذه الجملة خطآن : الأوّل استعمال"متأمل" فالمتأمِّل هو من يعيد النظر في الشيء مرّة بعد مرّة ، والثاني : زيادة حرف الجرّ "في" من غير مسوِّغ.
- تقول :"قصدت اللاذقية كي أستحمَّ في مياه البحر"ويقول الكثيرون مخطئين "كي أتحمّم" ومعنى "أتحمّم" أصير أسود اللون ، بينما المعنى المراد هو السباحة أو الغطس في مياه البحر ، وكلمة "أستحمَّ" تؤدِّي هذا المعنى .
- تقول :"هذا كتاب ثخين" إذا كان عددُ صفحاته كبيراً ، ويعبِّر بعضهم عن هذا المعنى مخطئاً ، فيقول :"هذا كتاب سميك" ومعنى"سميك" مرتفع ، من الفعل

"سمك" أي رفع ، قال الشاعر :

إنّ الذي سمك السماء بـــنى لنـــا بيتـــاً دعائمـــه أعـــزُّ وأطـــول

- يجب أن نكتب العدد / ١٠٠ / هكذا "مِئة"، ومضاعفات المئة يجب أن تكتـــب متصلة بها نحو "أربعمئة وخمسمئة ". ويجب ألا نكتب العـــدد /١٠٠ /هكـــذا "مائة"لأنّ هذه الكتابة أدّت إلى الخطأ في اللفظ ؛ وهي استعمال قـــديم ســـابق لعهد التنقيط .
- تقول :"وافقت على طلباتكم عندما عرفت صدقَ نيّاتكم " ويخطئ من يقـــول "نواياكم"لأنها لم ترد في اللغة العربية ، قال عليه الصلاة والسلام :"إنّما الأعمال بالنيّات " و" النيّات" جمع "نيّة".
- تقول :"يجب علينا أن نعمل مخلصين لبناء سورية الحديثة". ويخطئ من يقـــول: "يتوجّب".
- تقول :" على الطلاب الحضور إلى ساحة الجامعة". ويخطئ من يقول: " علـــى الطلاب التواجد..."لأنّ التواجد هو إظهار الوجد والشوق.
- تقول :"وافق الوزير على قرار الإيفاد ، أو أقرّه ". ويخطئ من يقول :"صـــادق" لأن معنى "صادق" اتخذ له صديقاً ، ويمكن استخدام "صدّق الوزير القرار ".
- تقول :" قابلت رئيس الجامعة مصادفةً " ولايجوز أن تقول:"قابلته صدفة".
- تقول :"سعيد إنسان طيب ، وأنا أحبه، فهو مني بمترلة الأخ"ويخطئ من يقـــول: "بمثابة "لأنّ المثابة تعني المترل ، أو مجمع الناس. قال تعالى :"وإذ جعلنا البيـــتَ مثابةً للناس وأمنا".

٢ - في الصرف:

- تقول :" لم تَقُمْ بيني وبين فلان شَرِكةٌ قطُّ". ويخطئ بعضهم في كلمة "شَـــرِكة " فيقول:"شراكة"، وليس ذلك صحيحاً لأنّ الفعل "شَرِك"مصدره شَرِكةٌ وشَرِكٌ.
- تقول :"يجلس الناس على سطوح المنازل رغبة في الهواء النقيِّ " ويخطئ بعضـــهم

في جمع "سطح" فيقولون :"أسطحة " وجمع "سطح"هو "سُطُوح" على وزن"فُعُول".

- تقول:"يعيش أولئك الفوم في رفاهيَةٍ".ويخطئ بعضهم في كلمة"رفاهية" فيقولون: "رفاه"، وليس في لغتنا هذه الكلمة .
- تقول :" باب الحديقة مُقْفَل". وخطأ أن نقول :"مقفول "لأن "مقْفَل" اسم مفعول من الفعل "أُقفِلَ" ثلاثيٌّ مزيد بالهمزة للتعدية .
- تقول :"حار أخي في طلب الرزق،وحرت في أمور الكون". ويخطئ من يقول: "تحيّر ، وتحيّرت "لأنّه إذا كان الثلاثي مستخدماً فلا حاجة إلى المزيد إذا لم يؤد معنىً جديداً .
- تقول:"لاتَغْفُل عين العدالة عن المجرمين".فالفعل"تغفُل "مضارع مضموم العين وماضيه"غَفَل"مفتوح العين، ويخطئ بعضهم في لفظ المضارع فيقول: "لاتغفَل".
- تقول :"قرأت فِقْرةً من الكتاب ، فأعجبني أسلوبه ". ويخطئ الكثيرون في كلمة "فِقْرَة" فيقولون "فَقْرة" وأحياناً "فَقَرَة".
- تقول :"فلانٌ معوّقٌ عن العمل ،لأنّه مصاب بمرض أنهكه ، أو فلانُ مَعُوقٌ " فالفعل هو"عوّق أو عاق"ولايجوز أن نقول"مُعَاق"،لأن الفعل"أعاق"غير مستخدم.
- تقول :"حضر الاجتماع مديرو المدارس ومديرو المصارف والمؤسسات الأخرى ..." ويخطئ من يقول :مُدَراء"لأنّ "فُعَلاء" جمع لـ "فَعِيل"ووزن"مدير" هو "مُفْعِل".
- تقول :" استمتعت بحديث المحاضر فقد كان شائقاً". ويخطئ بعضهم في كلمة "شائق"فيقول"شيِّق"فالشائق هو المعْجِب،والشيِّق هو المشتاق وبين المعنيين فرق كبير.
- تقول :" شَمَل التطور قِطاعات كثيرة منها قِطَاع التربية ، وقِطَاع التعليم العالي وقِطَاع الخدمات..." ويخطئ الكثيرون في كلمة "قِطَاع" فيقولون :"قَطّاع "أو"قِطّاع "، والصحيح ما ذكرنا .

- تقول:"هذا موظف مندوب من وزارة التربية إلى وزارة التعليم العالي أو منتدب". ويخطئ من يقول "مُنْدَب"، لأن اسم الفاعل نادب واسم المفعول مندوب ، وهذا قياس في كل فعل ثلاثي .
- تقول :"رحمة الله على المتوفّى "فالمتوفّى "اسم مفعول" من الفعل المبني للمجهول "توفّي"ويخطئ من يعبّر عن هذا المعنى فيبني الفعل للمعلوم ويستخدم اسم الفاعل مكان اسم المفعول . يقولون :"توفّى فلان وهو المتوفّي" وهذا خطأ لأن الله هو الذي توفّاه أي هو المتوفّي.

٣ - في تعدية الأفعال:

- تقول :"سوّلت له نفسه المريضة خيانة أصدقائه ". ويخطئ من يقول:" سوّلت له نفسه المريضة بخيانة أصدقائه ". فالفعل "سوّل " متعدٍّ بنفسه.
- تقول :"طلب القائد من جنوده أن يَدوسوا الأرض بقوّة وعنف ، فلمّا وَطِئَتْ أقدامُهم الأرضَ المحرّرة قبّلوها فرحين".ويخطئ بعضهم فيقول :داس الجنود على الأرض ". فالفعل "داس" متعدٍّ يصل إلى مفعوله من غير وساطة حرف الجر .
- تقول :"يحزنني أن يُدمِنَ صديقي شربَ الخمرة ". ويخطئ من يقول :"أدمن فلان على الشرب "، لأنّ أدمن متعدٍّ وليس لازماً .
- تقول :"عوّدت ولدي المطالعة ". ولايجوز أن تقول :"عودت ولدي على المطالعة "لأن الفعل "عَوّد" متعدٍّ إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، وفيه معنى المنح.
- تقول :"استوطنتُ بلدةً جميلةً وتوطّنتها وأُوطنتُها. "فالفعل " استوطن " يتعدى بنفسه ، ولايحتاج إلى حرف جرٍّ حتى يصل إلى مفعوله . وقد يخطئ بعضهم فيقول :" استوطنت في بلدةٍ جميلة".
- "فعل"أسرف"فعل لازم يصل إلى مفعوله بوساطة حرف الجرّ"في"، تقول:"إسرافك في الماء يحرم الآخرين منه".وبعضهم يخطئ فيقول"إسرافك الماء...".

أمّا فعل "بذّر "فهو متعدٍّ ، تقول :"تبذيرك المالَ يورثُك الفقر".وهما مشتركان في معنى الإفراط إلا أنّ التبذير أشدّ من الإسراف.

- تقول :" برهن فلان على صدق نيّاته بأفعاله ". ويخطئ بعضهم فيقول :"برهن فلانٌ صدقَ نيّاته" فيجعل الفعل َ اللازم متعدِّياً، فالفعل "برهن" يتعدّى بوسلطة حرف الجر "على".
- تقول :"كرّهت إلى ولدي الكذبَ " إذا أردت إبعاده عنه ، فالفعل "كرّه" يتعدى إلى المفعول الثاني بوساطة حرف الجر "إلى"، ومثله الفعل "حبّبَ " ويخطئ من يقول :"كرَّهت الكذب لولدي " أو حببت الصدق لولدي ".
- تقول :" كتبت إلى أخي المغترب رسالةً طويلةً ". فالفعل "كتب " يتعدى إلى المفعول الثاني بوساطة حرف الجر "إلى"، ولايجوز أن يتعدى بوساطة "اللام " فلاتقل :"كتبت لأخي ...."
- الفعل" تعجّل " يتعدّى بوساطة حرف الجرّ "في " تقول :"تعجّل خالدٌ في العودة من سفره". ويخطئ من يجعله متعدِّياً بنفسه فيقول :"تعجّل خالدٌ العودة...." .
- تقول :" استند المذيعُ في نقله الخبر إلى وكالة الأنباء السوريّة". ويخطئ من يقول: "استند المذيع ...على... لأنّ الفعل "استند" يتعدّى إلى مفعوله بوساطة حرف الجر "إلى".
- تقول :" كتاب فلان ينمُّ على درايته العميقة بعلم السكّان ". ويخطئ من يقول: "ينمُّ عن "لأنّ الفعل "نمّ" يتعدى إلى مفعوله بوساطة الحرف "على"، ولابدّ من الاهتمام باستخدام حروف الجرّ ، إذ إن لكلٍّ حرف معنىً أو معانيَ يؤدّيها ، ولا يجوز أن يستخدم المتكلّم أو الكاتب حرف الجرٍّ في غير المعنى الذي له .

٤ - في تركيب العبارة:

- تقول :"طالما نصحتك ". ومعنى "طالما" كثيراً أو طال نصحي لك، وأغلب المتكلمين يستخدمون هذه الكلمة استخدام الشرط خطأ ، فيقولون :"طالما استعددت فستنجح " أو" لن تخسر طالما استعددت...".

- يجب أن تُكْسَر همزة "إنّ" بعد فعل القول ومتصرِّفاته: نحو:" قال القائد الخالد حافظ الأسد : إن حركة التقدم والتنمية في سورية مستمرّة وهي حركة متكاملة وتشمل سائر مجالات الحياة ". ولايجوز فتح همزة "إنّ" بعد القول ، ولايجوز أن تدخل "الباء" على "أنّ" بعد القول. ، فلا يصحُّ أن تقول :"قلت بأن....".
- تقول :"قرأت خمسةَ الكتبِ " ولا يجوز تعريف العدد المضاف ،لأنّ التعريف والإضافة لا يجتمعان ، فإذا أردنا تعريف العدد المضاف عَرّفنا المضاف إليه . فلا يجوز أن تقول :"قرأت الخمسة كتب ".
- تقول :"بين أحمدَ والكتب صداقة ، وبينه وبين الفراغ عداوة".فالظرف "بين" لايكرّر بين المعطوف والمعطوف عليه إذا كانا ظاهرين ، فإن كان أحدهما ضميراً قُدِّم ، ووجب تكرير الظرف كما ورد في المثال السابق ، ويجوز تكرير "بين " إذا فصل بين المتعاطفين كلام طويل . تقول :"بين أحمد الذي يحب المطالعة والثقافة والقراءة وبينَ الكتب صداقة".
- تقول :"عندي كتبٌ كثيرة ، وعندي محبّة لهذه الكتب ، وفي البيت مكان خلصٌ للمطالعة ". ويخطئ من يقول :"يوجد عندي أو يوجد في البيت " إذ يجب ألا يذكر الكون العام "يوجد ، وجد ، كائن ، موجود " مع الظرف أو الجار والمجرور لأنهما يؤديان معناه .
- تقول :"استخرجت جواز سفرٍ جديداً ، ولّما عُدت من السفر أقام لي أصدقائي حفلَ استقبالٍ كبيراً".فإذا كان في الجملة تركيب إضافي وأردتَ وصف المضاف وجَبَ أن تتبع الصفةُ حركة الموصوف،وهو هنا المضاف"جواز"و"حفل".فمن الأخطاء الشائعة في وصف المضاف أن تتبع الصفة المضافَ إليه،نحو: استخرجت جوازَ سفرٍ جديدٍ "وأعتقد أن تسكين أواخر الكلمات جرّ إلى هذا الخطأ .
- تقول :"ما أروع الاستشهاد ، وما أجمل التضحية والفداء ". والكثيرون يخطئون حين يتعجّبون، فيقولون:كم هو رائع ،أو كم هو جميل .وهذا من جناية الترجمة.

- تقول :"أوشك العام الدراسيُّ أن ينتهي". ويخطئ من يقول :"أوشـــك العـــام الدراسي على الانتهاء ".فـــ "أوشك" فعل ناقص من أخوات "كاد" وخبره يأتي مصدراً مؤوّلاً من "أنْ" والفعل المضارع .
- تقول :"امتُقِعَ لونُ الجبان حين حَمِيَ وطيس المعركة."فالفعل "امتُقِعَ" يأتي مبنيـــاً للمجهول مثله مثل الأفعال "عُني أخي بأمر صديقه ، وهُرع لنجدته ،وزُهِيَ بمـــا عمل ، واستُشْهد في سبيل الوطن ؛ فتُوفّي – عليه رحمة الله ". ويخطئ من يبـــني هذه الأفعال للمعلوم .
- تقول :"ما أنت إلا طالبٌ مجدٌ . "فالمبتدأ "أنت" خبره "طالبٌ" و "ما" نافيـــة لاعمـــل لها،ولايجوز أن تعمل إن جاء بعدها "إلا"فلا يجوز أن يُقَال"ما أنت إلا طالباً ...".
- تقول :"ثمّة أمورٌ خطيرةٌ تحتاج إلى معالجة متأنيّة ". فـــ "ثمّة" في الجملة الســـابقة بمعنى "هناك" ، ويخطئ بعضهم فيضيف كلمة"هناك" حين يريد التعبير عن ذلـك المعنى فيقول :"هناك ثمّة أمور " ولامسوّغ لكلمتين متتاليتين ، فإحداهما تُغْني عن الأخرى.
- تقول :"لايكتفي المجتهد بالدراسة ، بل يسعى إلى التفوّق على أقرانه". ويخطـــئ بعضهم فيقول :"بلْ ويسعى" فلايجوز أن يتوالى حرفا عطف "بل" و "الواو".
- تقول :"لابد أن نضحّي بأرواحنا في سبيل الوطن ". ولا يجوز أن نقول:"لابـــد وأن..."فإقحام "الواو" بين اسم "لا" والمصدر المؤول بعدها غيرُ صحيح .
- تقول :"كلّما اشتدّ ساعدُ الثورة انهارت قوى البغي". ويعبِّرُ بعضهم عن المعـــنى نفسه فيخطئ ويكرِّر "كلّما" . يقول المتنبي :

كلّما رحّبت بنـــا الـــروض قلنـــا حلـــب قصدنـــا وأنـــتَ السّـــبيلُ

- تقول :"لا أعلم هل حضر أخي أو لم يحضر " ويخطئ بعضهم ، فيقول :"لاأعلم فيما إذا كان أخي قد حضر أو لم يحضر " .وهذا وصل إلى الناس عن طريـــق الترجمة الحرفية للأساليب الأجنبيّة .

- تقول :" لم أرسب في حياتي الدراسية قط " ، وتقول :"لم أزرْ خـــالداً قــط " ويخطئ بعضهم ، فيقول :"لم أرسب أبداً " ولا يجوز أن نستخدم "أبـــداً " إلا للدلالة على المستقبل والظرف "قطُّ" للدلالة على الزمن الماضي.تقـــول : لـــن نساوم على حقنا أبداً .
- تقول :"يُحارب العربُ إسرائيلَ وأمريكا " ويخطئ من يقول : "يحاربُ العـــربُ ضِدّ إسرائيل وضد أمريكا "لأن معنى هذه الجملة أن العرب يحـــاربون عـــدوّ إسرائيل .
- تقول :"مازال المريض يعاني من الحمّى ". ويخطئ الكثـــيرون فيقولـــون:"لازال المريض يعاني من الحمّى ". ومعنى الجملة الأخيرة الدعاء على المريض ،أمّا معـــنى الجملة الأولى فهو الدلالة على استمرار المعاناة ، وبين المعنيين فرق كبير .

المصطلح العلمي

١ ـ تمهيد : اللغة وأهميتها :

اللغة ـ كما يعّرفها ابن جنّي (توفي سنة ٣٩٢ هـ) ـ " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" . فهي نطق يعبّر عن فكر ، ووسيلة تخاطب جماعية ، وأداة للاتصال والتوصيل ، كما أنها وسيلة للتعبير عن العواطف والرغبات ، والتأثير في الآخرين ، وهي كذلك نوع من السلوك الإنساني وضرب من العمل ، فاللغة مرتبطة بالمجتمع وتقدم الحضارة .

أمّا اللغة ـ من وجهة النظر العلمية المحضة ـ فهي نظام بنائي من الرموز الصوتية الاصطلاحية أو الاختيارية تتخذه مجموعة من البشر وسيلة للتفاهم اعتماداً على تلك الرموز (الكلمات) التي تكتسب قيمتها من خلال علاقاتها بالرموز الأخرى . وشرط تداول هذا النظام في كل مجتمع بشري هو اتفاق أبناء هذا المجتمع على قيمة هذه الرموز ؛ أي ما تحمله من دلالات ومعانٍ تثار عند سماع هذه المفردات أو الجمل ، أو عند قراءتها ، أو عند تذكُّرها .

أمّا اللغة ـ بالنسبة لنا نحن العرب ـ فهي أهم مقومات شخصيتنا وهويتنا ، ودعامة وحدتنا ، ومستودع القيم والتجارب التي انتقلت إلينا من أسلافنا ومختزن ثقافة الآباء والأجداد ، فضلاً على أنها لغة القرآن الكريم . لقد نشأت اللغة العربية كغيرها من اللغات لتسدّ حاجة المتكلمين بها ، وكانت في أول أمرها مقتصرة على الألفاظ الوضعية التي عبَّرت عما أحاط بالعربي في بيئته ، ثم تطورت بتطوره عبر القرون . والكلمة حين توضع لتدل على شيء معين تُسمَّى "حقيقة" ، والحقيقة هي "ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة (الخصائص لابن جني ٢ / ٢٤٢)،أي : استعمال اللفظة في وضعها الأول بحيث لايتبادر إلى الذهن غير ذلك حينما تُطلق كاستعمال " القلم " للدلالة على آلة الكتابة ، و" القمر" للدلالة على الكوكب المعروف، ويسمى

هذا النوع " الحقيقة اللغوية " لأن الألفاظ تستعمل بمعناها الأول أو "الاسم الأصلي" . ولكن هذه الحقيقة قد تنقل عن مسمّاها اللغوي إلى غيره بعرف الاستعمال ، ويكون ذلك عاماً كاستعمال "القارورة" للدلالة على بعض الآنية دون غيرها ممّا يستقرّ فيه ، أو خاصاً وهو ما كان جارياً على ألسنة العلماء من المصطلحات، نحو ما يجريه أهل العلوم في كتبهم ، وما يصطنعه أهل الحرف والصناعات في أعمالهم . وهذان الفرعان هما " الحقيقة العرفية" . وهناك نوع ثالث هو " الحقيقة الشرعية"، وهي اللفظة التي يستفاد - من جهة الشرع - وضعُها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي ، مثل كلمة "الصلاة"التي تعني في اللغة:الدعاء والاستغفار،ولكنها- في الشرع- "عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدّرةً ".

إن الألفاظ التي انتقلت من معانيها اللغوية الأولى ، أي من " الحقيقة اللغوية" إلى معانٍ جديدة ، أصبحت تدل على معان محددة يعرفها أهل العلم ، وكان لكل لونٍ من العلوم والفنون ألفاظ ومصطلحات . وقد عرف العرب بفضل الإسلام المصطلحات العلمية ، وكان الجاحظ (توفي سنة٢٥٥ هـ) من أوائل الذين تحدثوا عنها فقال وهو يشير إلى المتكلمين :" وهم تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف ، وقدوةً لكل تابع" (البيان والتبيين ١/ ص ١٣٩) .

لقد كانت لغتنا العربية في طليعة اللغات العالمية غنىً وبلاغة وحسن أداء وملاءمة لمختلف الأغراض ومواتاة لمقاصد الفكر . ولعل أهم قضية تواجه اللغة العربية اليوم هي تطويرها لتصبح لغة معاصرة وعلم ، كما هي لغة أصالة وإنسانيات ؛ وهذا يعني استعادة دورها الحضاري لتكون وعاءً للمعرفة العلمية والثقافة بدءاً من نقل المصادر والمراجع المعرفية وترجمتها إليها ، وانتهاء بصياغة الدراسات والبحوث بلغة علمية عربية قوامها مصطلح دقيق وعبارة واضحة .وإنّ ممّا لاشكّ فيه أن الفارق الشاسع بين موقف العرب اليوم من لغتهم وموقف أجدادهم منها يُعْزَى إلى الوزن الحضاري الذي

كان للأمة العربية، وافتقدناه اليوم . وقد كان من فضل الغلبة التاريخية أن العرب قد تعاملوا في الماضي مع القضية اللغوية وما إليها من معضلات المصطلح في العلوم والمعارف من موقع القوة فَسَلِم موقفهم من كل العقد النفسية والفكرية والحضارية ، وأخذوا موضوع المصطلحات في حجمه حتى ساد بينهم مبدأ أن "لامشاحة[1] في الألفاظ " أو " لامشاحة في الاصطلاح" . فما معنى المصطلح أو الاصطلاح ؟.

٢ ـ تعريف المصطلح أو الاصطلاح :

كلمتا " المصطلح"و"الاصطلاح"مشتقتان من الأصل اللغوي (ص ل ح) ، وقد حددت المعاجم العربية دلالة هذا الأصل بأنه "ضدّ الفساد " أو "إصلاح الفساد"، كما دلّت النصوص على أن كلمة "الاصطلاح" تعني " الاتفاق" وبين المعنيين: إصلاح الفساد والاتفاق تقارب في الدلالة ، فإصلاح الفساد بين القوم لايتم إلا باتفاقهم . والاصطلاح هو : تَصَالُحُ القوم ، وهو أن يقع الصلح ، أي : السلم بينهم .

وجاء في مستدرك تاج العروس للمرتضى الزَّبيدي مادة (ص ل ح) أن " الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" ، وبهذا المعنى الأخير يستعمل لفظ " الاصطلاح" في المجال العلمي فيقال : اصطلح العلماء على رموز الكيمياء ،أي : اتفقوا عليها ، وهذه الرموز هي مصطلحات ، أي :مُصْطَلَح عليها .فالمصطلح أو الاصطلاح هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية ، فالتصعيد مصطلح كيميائي ، والهيولى مصطلح فلسفي ، والجراحة مصطلح طبي ، والتطعيم مصطلح زراعي ...الخ .

٣ ـ شروط المصطلح :

ولكن كيف يتم اختيار اللفظة المناسبة للمفهوم الجديد؟وهل يجري الأمر اعتباطاً ؟ إن المصطلحات لاتوضع هكذا من دون ضابط، ولابدّ من شروط ينبغي تحققها ، وهذه الشروط هي :

---

[1] ـ لامشاحة : لامضايقة ولا منازعة .

١ ـ اتفاق العلماء على المصطلح للدلالة على معنى من المعاني العلمية .

٢ ـ اختلاف دلالة المصطلح الجديد (معنى الكلمة الجديد) عن دلالته الأولى.

٣ ـ لابدّ من وجود مناسبة أو مشابهة أو مشاركة بين المعنى اللغوي الذي وضعت الكلمة للدلالة عليه في الأصل ، وبين المعنى الاصطلاحي الجديد الذي يراد تحميله لهذه الكلمة ، فمثال ذلك كلمة (السَّيارة) ، فهي وضعت في الأصل للدلالة على الجماعة التي تسير ، أي : القافلة ، ولكنّها في عصرنا تستخدم بمعنى اصطلاحي جديد للدلالة على الآلة المحدثة، أو وسيلة النقل التي نركبها، وننتفع بها، والمناسبة أو العلاقة بين المعنيين القديم والجديد واضحة وهي السير .

٤ ـ أن يكون للمعنى (المفهوم) العلمي الواحد لفظ اصطلاحي واحد ،لأن المفهوم الواحد إذا كان له عدة ألفاظ ، أو دلّ اللفظ الواحد على عدة مفاهيم فإن التواصل الفكري يضطرب، وينعدم التفاهم بين الناس .

٤ ـ أبعاد المصطلح :

إن المصطلح رمز ذو أبعاد ثلاثة

آ ـ بُعْدٌ لغوي : يحدّد قيمته الدلالية وخصائصه داخل النظام المعجمي للغّة .

ب ـ بعد اجتماعي : يحدّد وظيفته في بناء المعرفة وتسهيل تبادلها والسيطرة على ميادينها المختلفة .

ج ـ بعد فلسفي منطقي : يعكس قدرة الإنسان على التجريد، والسيطرة على محيطه بوساطة الأنظمة التي يشكلها للمفاهيم .

٥ ـ كلمة "المصطلح" في اللغات الأوربية :

تطلق على المصطلح في اللغات الأوروبية كلمة (TERM) وهي كلمة مشتقة من الأصل اليوناني Terma أو Termon ، ومن الأصل اللاتيني termenأو terminus . وأقدم تعريف للكلمة هو : "المصطلح كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدد وصيغة محددة ، وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد". ولكن المتخصصين في " علم " المصطلح "(Terminology) يتفقون على أن أفضل تعريف

أوروبي للمصطلح هو التعريف التالي :

" الكلمة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو بـــالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح ، وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة ، وواضـح إلى أقصى درجة ممكنة ، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ، ويرد دائماً في سياق النظـام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري .

(لواندوفسكي، معجم اللسانيات ٣ / ٧٩٩ نقلاً عن : محمود فهمي حجـازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، ص ١١ - ١٢) .

ومن الملاحظ أن هذا التعريف الأخير لايقصر المصطلح على الكلمة المفردة، فقـد يكون المصطلح عبارة مركبة ، كما يتضمن هذا التعريف الشـروط الـتي ينبغـي أن تتحقق في المصطلح .

٦ - دور المصطلح وأهميته :

ممّا لاشك فيه أن مفاتيح العلوم هي مصطلحاتها ، وتاريخ المصطلحات هو تـاريخ العلوم ، وكل علم جديد يتطلب مصطلحات جديدة دقيقة منظّمـة قابلـة للنمـو . فالمصطلح العلمي أداة البحث ، ووسيلة التواصل بين العلماء ، فـهو لغـة خاصـة يستعملها المشتغلون في حقل معرفي معين . وليس هناك علم من دون مصطلحـات ؛ إذ إن كل علم يحتاج إلى مجموعة من المصطلحات المحددة التي يُعَبَّر بوساطتها عن الظواهـر الضرورية والمفاهيم المجردة التي يستقلّ بها أو يشارك فيها بعض العلوم المجاورة .

والأساس في المصطلح أن يتفق عليه اثنان أو أكثر ، وأن يستعمل في علم أو فـن بعينه ، وأن يكون دقيقاً واضح الدلالة مؤدياً المعنى الذي يريده الواضعـون .إنّ دقّـة ألفاظ لغة ما ووضوح مفاهيمها ينبعان من دقّة تفكير المتكلمين بها والوضوح الـذي تتطلبه أذهانهم ، فالوضوح والدقّة هما منطلق كل معرفة صحيحة ، والمصطلح هو كـل لفظ يتبيّن من قرائن استعماله أنه أُتِي به من المجال أو الرصيد اللغوي المعجمي العـام ليُعَبَّر به عن معنىً ما في مجال لغوي خاص . وما من لغة من لغات البشر إلاّ وهي مهيّأةٌ

في ذاتها وطبيعتها لتوليد المصطلحات الجديدة واستيعاب دلالاتها المستحدثة ، وإنما القدرة أو القصور في أهل اللغة لا في اللغة نفسها . إن مقدرة اللغة على التعبير عن العلم أو النفس أو الكون ، عن المجهول أو المعلوم هي مقدرة حامليها على تطويعها لذلك ، وصلاح حامليها للعلم يعني صلاحها لذلك ، فالسيارة والطيارة والمذياع والتلفاز والأقمار الصناعية ...الخ . ليست علوماً ، وإنما هي نتاج للعلم ، هي من نتائج التقدم العلمي الذي أحسن العقل توجيهه وتسخيره ، وإذا ما أحسن العقل تطوير اللغة والإفادة من كنوزها استطاع أن يجد في خبيئها معادن ثمينة تصلح للعلم في مختلف صوره المتعاقبة في المجتمعات البشرية . وما اللغة العربية بغريبة عن ذلك ، بل إن تجربتها الغنية الطويلة وضعتها عبر تاريخها أمام أكثر من امتحان صعب، و لم تكن عاجزة، أو قاصرة . لقد أمدَّت هذه اللغة الفقيه والنحوي والبلاغي والمحدِّث والمتكلّم والفيلسوف والطبيب والصيدلي والعلماء على اختلاف أصنافهم بكل ما يلزمهم من مصطلحات وغيرها ، بل اتسعت لنقل علوم الأمم الأخرى على تنوعها ، وازدهرت حتى غدت اللغة العلمية العالمية في وقت من الأوقات ، وشهد لها بذلك علماء كثيرون من غير أهلها في القديم والحديث ، فها هو ذا أبو الريحان البيروني (توفي سنة ٤٣٠ هـ) العالم المسلم ذو الأصل الفارسي يقول في كتابه الصيدنه :" ... وإلى العربية نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلّت في الأفئدة والأوردة ، والهجو بالعربية أحبُّ إليَّ من المدح بالفارسية " . وهذا كبير المستشرقين في العصر الحديث تيودور نولدكه (توفي سنة ١٩٣١م) يؤكد ما شهد به البيروني فيقول :" إنّ من الخطأ الشائع أن نظن أن اللغة العربية فقيرة لاتصلح لبحث الأمور المعنوية والعلمية ، فعلى العكس يندر أن نجد لغة أخرى كاللغة العربية تصلح لأن تكون وسيلة للتعبير عن العلوم والفلسفة القديمة وأصول حكمة الأولين ". (عن ضاحي عبد الباقي ، المصطلحات العلمية قبل النهضة الحديثة ، ص ٤٣ - ٤٤).

إن مشكلة المصطلح العلمي اليوم ليست مشكلة اللغة العربية بقدر ما هي مشكلة

الإنسان العربي ، فاللغة العربية - كما ذكرنا - قادرة على التعبير عن معظم الظواهر والمخترعات المستحدثة إن لم نقل كلّها بدقة وكفاية ، غير أن الإنسان العربي وأمام العجز عن اللحاق بالركب الحضاري والعلمي يدَّعي هو وغيره من أعداء هذه اللغة قصور اللغة عن صياغة المصطلح العلمي الدقيق، أو عدم صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم ! ولابدَّ لنا من أن نَعِيَ تماماً أن مسألة صياغة المصطلحات أو ترجمتها أو تدريس العلوم باللغة العربية ليست مجرد مسألة تقنية ، فلابدَّ أن يكون تعاملنا مع هذه القضايا تعاملاً نابعاً من داخل اللغة العربية نفسها بوصفها لغة قومية وفي إطار المنهج العلمي الصحيح . وهذا القرار هو - قبل كل شيء - قرار سياسي ثقافي ينطلق من خصوصية اللغة العربية وقدرتها على تلبية حاجات التنمية والعلم وتوفير كل المصطلحات التي تقتضيها التحولات الحضارية الراهنة . إن تنمية اللغة العربية وتطويرها هما الآن أهم مشكلة لغوية ، ولا تنمية للعربية ولاتطوير إلاّ بوضع المفردات التي تتطلبها الحياة اليومية أو ما يسمىّ "ألفاظ الحضارة" وإلاّ بوضع المصطلحات التي يفرزها التفجر العلمي والتقني المعاصر.

٧ - وسائل وضع المصطلحات :

استعان العرب - قديماً وحديثاً - بوسائل كثيرة لوضع المصطلحات كانت سبباً في اتساع العربية ونموّها واستيعابها لمختلف العلوم والآداب والفنون، وأهم هذه الوسائل : الوضع - الاشتقاق - النحت - المجاز - التوليد - التعريب أو الاقتراض - الترجمة .

١ - الوضع :

لايقصد بالوضع خلق كلمات جديدة تؤدي معاني أدّتها كلمات قديمة ، وإنما المقصود به وضع كلمات جديدة ممّا تمسّ الحاجة إليه لم تكن معروفة أو مستعملة من قبلُ وضعاً لا يخرج بها على روح اللغة ولا على أوزانها وأبنيتها . وهذه الوسيلة معروفة في كل اللغات تقريباً ، حيث نجد الكثير من المصطلحات مرتجلاً موضوعاً يعبّر عن الحاجات المتطورة والمتغيرة .

٢ ـ الاشتقاق :

وهو من أكثر وسائل التنمية اللغوية فاعلية وأهمية ، وقد تكونت في اللغة العربية عن طريقه آلاف الكلمات للحياة العامة ولمصطلحات العلوم على مدى عدة قرون .

تعريفه : هو أن تُنْزَع كلمة من كلمة أخرى بشرط أن يكون هناك تناسب بينهما في اللفظ والمعنى . فمن مصدر (السَّمْع) مثلاً يشتق الفعل الماضي :سَمِع ، واسم الفاعل : سامع ، واسم المفعول:مسموع...الخ . ويلاحظ أن جميع هذه المشتقات متفقة في حروفها الأصلية وفي ترتيب تلك الحروف وفي المعنى الأصلي للمصدر وهو السمع . ويسمى هذا النوع من الاشتقاق، الاشتقاق الصغير . أما إذا كان بين الكلمة الأصلية والكلمة المشتقة تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب في الأحرف ، فهذا النوع من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الكبير أو القلب،مثل(جَذَب وجبذ)و(مسرح ومرسح) . فالكلمة الثانية مشتقة بالقلب من الأولى ، ويلاحظ أن المعنى في الكلمتين واحد. وهناك نوع ثالث يسمى الاشتقاق الأكبر أو الإبدال، وهو أخذ لفظ من لفظ آخر مع تناسب بينهما في المعنى والمخرج واختلاف في بعض الأحرف، مثل : عنوان الرسالة وعلوانها ، ففي اللفظة الثانية أبدلت اللام من النون الأولى ، والنون واللام متناسبتان في المخرج . وقد توسّع العرب قديماً في استخدام هذه الوسيلة فاشتقوا من أسماء المعاني وأسماء الأعيان ألوفاً من المشتقات ، فمن : الفلس قالوا: أفلس الرجل ، ومن البحر ، أَبْحَر ، أي ركب البحر ، ومن مهندس ، هَنْدَسَ ...الخ ، كذلك لجأ العرب المحدثون إلى الاشتقاق من أسماء الأعيان في العلوم العصرية فقالوا :كَهْرَبَ من الكهرباء ، ومَغْنَط من المغناطيس ، كما اشتقوا من أسماء المعاني فقالوا : المستشفى من الاستشفاء ، والمُتْحف من الإتحاف ، والجامعة من الجمع ، وغير ذلك كثير .

ويحدّد بعض المحدثين المقصود بالاشتقاق أنه "تكوين لفظ عربي جديد من مادة عربية عرفتها المعجمات ، وبوزن عربي عرفه النحاة أو أثبتته النصوص . وتقوم عملية الاشتقاق على القياس ، وبذلك يصبح المشتق الجديد جارياً على وزن من الأوزان

العربية القديمة ، فيكون على نمط المصطلحات المألوفة الموروثة ، ويصبح مقبولاً عند أبناء الجماعة اللغوية ومعترفاً به عند علماء اللغة . فالاشتقاق بهذا المعنى عملية قياسية هادفة إلى تكوين كلمات جديدة وفقاً للقواعد التي تقوم عليها الكلمات الموجودة في اللغة .(انظر : محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق ص ٣٥).

٣ ـ المجاز :

وهو نَقْلُ لفظٍ من معناه الأصلي الحقيقي إلى معنى آخر جديد بينه وبين المعنى الأصلي علاقة أو قرينة تدل على ذلك النقل ، مثل : فلانٌ أسَدٌ ، وهو ينطق بالدُّرَر ، فكلمتا أسد ودرر استعملتا مجازاً في غير ما وُضِعتا له ، والعلاقة بين المعنيين هي الشجاعة في الكلمة الأولى (أسد) ، والحسن والجمال في الكلمة الثانية (دُرَر) . فنقل الألفاظ من معناها الأصلي إلى معنى علمي جديد من أنجع الوسائل في تنمية اللغة وفي جعلها صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة . والألفاظ التي نقلها قدماء العرب من معناها اللغوي الأصلي إلى معناها الاصطلاحي لاتعد ولاتحصى ، فمعظم مصطلحات العلوم كالنحو والصرف والعروض والفقه وغيرها من العلوم الإسلامية منقولة من معانيها الأصلية إلى معانٍ مجازية اصطلاحية ، كلفظ (الصلاة) الذي سبق ، ومعناه اللغوي : الدعاء وكيف انتقل عن طريق المجاز إلى المعنى الشرعي المعروف ، ومثله : الزكاة والحج والصوم وغير ذلك كثير .

٤ ـ النحت :

النحت ـ في اللغة- النَّشْر والقَشْر والبَرْي ، يقال : نحتَ الخشب والحجارة إذا براها . والنحت ـ في الاصطلاح ـ انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه ، مثل : سَبْحَل من: سبحان الله ، وحَوْقَل من : لاحول ولاقوة إلا بالله ، وبَسْمَلَ من : بسم الله الرحمن الرحيم . وقد عدَّه بعض علماء اللغة ضرباً من ضروب الاشتقاق ومن الكلمات المنحوتة في العصر الحاضر : بَرْمَائي من : البَر والماء ، لامائي من : لاماء فيه ، وكهرمغنطيسي ، حيث

نُحِتت الكلمة من عنصرين معرَّبين فالكلمة ترجمة للمصطلح electro- magnetic ، فقد ترجمت elctro إلى (كهر-)عن كلمة كهرباء ، وكلمة magneticالتي عُرّبت إلى مغناطيس.

ويُعَدّ النحت من أهم وسائل تكوين المصطلحات العلمية ونحن في حاجة إليه في ترجمة بعض الأسماء العلمية ، ولكن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة ، فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أصلح وأدلّ على المعنى من نحت كلمة عربية واحدة يمجّها الذوق ويستغلق فيها المعنى ، ولذلك أقرَّ مجمع اللغة العربية في القاهرة اللجوء إلى النحت حين تدعو الضرورة العلمية إليه .

٥ ـ الترجمة :

وهي تفسير لغة بلغة أخرى ، أو هي إعطاء الكلمة الأجنبية مقابلها العربي من المفردات العربية الموضوعة من قبل . وهي نوعان : حرفية ومعنوية .

آ ـ **الترجمة الحرفية** : ويقصد بها أن تترجم الكلمة بمعناها اللغوي المعجمي فتصاغ الكلمة العربية على نمط النموذج الأجنبي ، مثال كلمة Biology المكونة في الأصل اليوناني من مقطعين هما Bio بمعنى " الحياة" و Logy بمعنى "العلم "فالترجمة الحرفية هي : "علم الحياة".

ب ـ **الترجمة المعنوية أو الترجمة بالمعنى** :ويقصد بها ترجمة الكلمات بمعناها الاستعمالي الاصطلاحي .

وشرط الترجمة أن تكون الكلمة العربية المقابلة ممّا دخل حيّز اللغة سابقاً ، فإذا وردت كلمة أجنبية وأوجدنا لها من المفردات العربية المحفوظة أو المدوّنة كلمة تؤدي معناها مباشرة كان عملنا هو الترجمة ، وإذا لم نجد لتلك الكلمة الأجنبية مقابلاً من مفردات اللغة، فاجتهدنا في وضع كلمة جديدة غير مستخدمة سابقاً لهذه الكلمة فعملنا هو التوليد ، مثال الكلمة اليونانية (قاطيغورياسcategories) التي لم يجد لها العرب قديماً كلمة مقابلة لها في مخزونهم اللغوي فولّدوا لها كلمة (المقولات) التي ذاعت ودخلت العربية توليداً . وقد كان من حصيلة اشتغال العرب قديماً بترجمة العلوم

مجموعة كبيرة من الكتب ضمَّت عدداً كبيراً من المصطلحات المترجمة والمولّدة ، مثل كتاب الحاوي في الطب للرازي ، والفلاحة الأندلسية لابن العوّام الإشبيلي .

٦ ـ التوليد :

التوليد هو تحصيل كلمة من كلمة أخرى أسبق منها وضعاً ، ويعني أيضاً : ابتكار كلمة جديدة غير موجودة في اللغة القديمة، ولا في اللغة الحديثة بمعناها أو مدلولها ، أمّا جذورها وأصولها اللغوية فهي في العربية حتماً . والغرض من التوليد اللغوي هو التسمية ، أي وضع الأسماء للمدلولات الجديدة ،والتسمية حاجة مستمرة لدى الناس .

والتوليد بهذه المعاني يلتبس بوسائل أخرى أو يتداخل معها كالوضع والمجاز والاشتقاق بأنواعه . أمّا مفهوم اللفظ المُوَلّد فقد اختلط عند القدماء بمصطلحات أخرى كالدَّخيل والمعرَّب والعامي وغيرها ، والمولّد هو ما أحدثه المُوَلّدون الذين لايحتج بألفاظهم . أمّا المحدثون فيعرّفون المولّد بأنه لفظ عربي البناء أعطي في اللغة الحديثة معنى مختلفاً عمّا كان العرب يعرفونه . ويلجأ الباحثون إلى التوليد لوضع المصطلحات والتسميات الجديدة التي يحتاج إليها العلم ، فيعطون الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة معاني جديدة كما حدث في ألفاظ: السيارة والقطار والجريدة والمجلة وغيرها . فالسيارة ـ كما تقدم ـ هي القافلة التي تسير والقطار في الأصل أن تُشَدّ الإبل على نَسَقٍ واحداً خلف واحد، وقَطَرَ الإبلَ: قَرَّب بعضها إلى بعض على نَسَق ، والجريدة في الأصل جماعة الخيل أو سعفة النخل الطويلة الرطبة ، والمجلّة في الأصل الصحيفة يكتب فيها ، أو الكتاب وكل كتاب عند العرب مجلّة ، فكل هذه الدلالات القديمة قد اختفت، وحلّ محلها دلالات جديدة .

وقد أقرَّ مجمع اللغة العربية في القاهرة المولّدَ وعرَّفه بأنه :"اللفظ الذي استعمله المولّدون على غير استعمال العرب ، وهو قسمان :

أ ـ قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز واشتقاق ونحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك ، وحكمه أنه عربي سائغ .

ب – وقسم خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب إمّا باستعمال لفظ أعجمي لم تعرّبه العرب ، وإما بتحريف في اللفظ أو الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح ، والمجمع لايجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام ".

٧ – التعريب أو الاقتراض :

تتوارد إلى الذهن عند سماع كلمة (التعريب) معانٍ كثيرة يتداخل بعضها في بعض ، من هذه المعاني :

١ – الترجمة إلى اللغة العربية ، فيقال: عرَّب الكتاب أي ترجمة ونقله إلى العربية .

٢ – تعريب الإدارة أي جعلها عربية ، كتعريب الدواوين قديماً .

٣ – تعريب التعليم أي جعل لغته هي العربية ، أو كما يقصد بعضهم إلى تدريس العلوم باللغة العربية .

٤ – التعريب أي : وضع المصطلح العلمي العربي بطريقة من طرق الوضع كالترجمة أو التوليد وغيرهما .

ويلاحظ أن هذا المعنى الأخير (وضع المصطلح العلمي العربي) هو الذي يدخل في وسائل وضع المصطلحات ، ولذا أطلق عليه بعض المحدثين اسم (الاقتراض) ووصفه بالاقتراض اللغوي أو الاقتراض المعجمي ، ويقصد به أخذ كلمة من لغة واستعمالها في لغة أخرى ، مثل : الكمبيوتر والفاكس وكثير من المصطلحات والتسميات العلمية المختلفة كما سنرى . والتقارض أو الاقتراض بين اللغات المعاصرة ظاهرة عامة فيها ، وهو من أوضح آثار التقاء الحضارات واحتكاكها . وقد اقترضت اللغة العربية من اللغات الأجنبية قديماً وحديثاً ما احتاجت إليه ممّا لم تجد له مقابلاً عربياً . ولقد اندمجت غالبية المفردات المقترضة في اللغة العربية خاضعة لمعاييرها الصوتية والصرفية فسُمّيت (المُعرَّب) وشذَّت قلة من تلك المفردات المقترضة فعرفت باسم (الدخيل) .

ولكنّ علماء العربية القدامى لم يستخدموا مصطلح (الاقتراض) من جهة ، كما أنّهم لم يفرقوا بين المصطلحات التي استخدموها للدلالة على هذه القضية مثل :

المعرَّب والدخيل والمولَّد والأسماء الأعجمية والكلام الأعجمي وغير ذلك ، وقد ترددت هذه الكلمات في عناوين مؤلفاتهم التي أفردوها لدراسة هذه القضية ، مثل : المُعرَّب من الكلام الأعجمي للجواليقي ، والمهذَّب فيما وقع في القرآن من المُعرَّب للسيوطي ، وشفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل للخفاجي ، ورسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا .

أمّا العلماء المحدثون فقد فرَّقوا بين (المعرَّب) و(الدخيل) و(المولَّد) لأن عدم التفريق بينها يضع كلمات مثل (السيَّارة) العربية المولدة ، و(جغرافية) المعرّبة ، و(كمبيوتر) الدخيلة على صعيد لغوي واحد ، على اختلاف ما بينها من حيث الجذور والبنية الصوتية .ويكاد يجمع المحدثون على أن (المعرَّب) : هو كل كلمة أجنبية دخلت اللغة العربية قديماً أو تدخل اليوم أو غداً شريطة أن تخضع لمقاييس العربية وأبنيتها وحروفها ، ويُسمّى هذا النوع معرَّباً لأن الروح العربية سرت فيه وأصبح جزءاً من البناء العربي .

وأمّا الدخيل فيطلق على اللفظة الأجنبية التي لم تخضع لمقاييس العربية وأبنيتها سواء أكانت قديمة أم حديثة . وأمّا (المولَّد) فهو - كما ذكرنا - لفظ عربي قديم أعطي معنى حديثاً يختلف عما كان العرب يعرفونه .

إن التعريب أو الاقتراض من أقدم الظواهر في تاريخ اللغات ، وقد لجأ إليه العرب قديماً حين اتسعت حياتهم واتصلوا بالثقافات الأجنبية، فكانوا أحياناً مضطرين إلى الاقتباس أو الاقتراض من اللغات الأجنبية ، ولكنهم لم يخضعوا لروح تلك اللغات ، وإنما صبغوا الألفاظ المعرَّبة بروح لغتهم العربية، ووضعوا لذلك قواعد فصَّلتها كتبهم التي أشرنا إلى بعضها ، فكانوا يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً لئلا يُدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم ، أو أن تأتي الكلمة نابية عن الذوق العربي ، وربمّا غيّروا البناء من اللسان الأعجمي إلى أبنية العرب وأوزانها .

أمّا في العصر الحديث فقد بدأ الاهتمام بقضية الألفاظ المعربة عند اللغويين منذ

النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واستمر حتى اليوم . وقد نظر مجمع اللغة العربية في القاهرة في موضوع التعريب أو الاقتراض وأصدر قراره بجواز" أن يستعمل بعض الألفاظ لأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم " وينص القرار على أن يقتصر التعريب على "الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها ،لا الأدبية ، ولا الألفاظ ذات المعاني العادية التي يتشدق بها مستعجمة زماننا من أبناء العرب " . ولهذا فإن للتعريب أهمية في وضع المصطلحات العلمية والفنية .

لقد تناول البحث في موضوع التعريب قضية المجالات الدلالية للتعريب ، فلا خلاف في تعريب المصطلحات المنسوبة إلى أعلام أعجمية أجنبية وفي تعريب أسماء الأدوية والعقاقير والمركبات الكيماوية وأسماء النباتات والحيوانات وغير ذلك .

وقد تمّ تعريب مصطلحات كثيرة في مختلف هذه المجالات ولايتسع المقام لذكر هذه المصطلحات المعربة ونكتفي بأمثلة من هذه المعربات من مجالات مختلفة:

١ - من أسماء الأجهزة والآلات :

ميكروسكوب microscope

البارومتر barometer

٢ - من العناصر الكيماوية .

الومنيوم	Aluminium	كربون	Carbon
صوديوم	Sodium	كلور	Chlorine

٣ - من وحدات القياس والوزن

أمبير	ampére	غرام	gramm

٤ - من المصطلحات العلمية الموحّدة التي أقرّتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

بطارية	battery	الاستكماتزم	astigmatism
الكترون	electron		

٥ - من المصطلحات الدولية في الحياة الاقتصادية المعاصرة :

بنك (مِصرف) Bank بورصة Bourse شيك Cheque

٦ – من المصطلحات الأساسية في الفكر العالمي :

ميتافيزيقيا (ما بعد الطبيعة)	metaphisics
ايديولوجيا	Ideology
ديمقراطية	democracy

ملحوظة:

تم إعداد البحث بالاستعانة بالمراجع التالية. وننصح لمن يريد التوسع في الموضوع بالعودة إليها :

١ – د . أحمد مطلوب ، بحوث لغوية ، دار الفكر ، عمّان ، ط١ ١٩٨٧.

٢ – شحادة الخوري ، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب ، دار طـــلاس ، دمشق ١٩٨٩

٣ – ضاحي عبد الباقي ، المصطلحات العلمية قبل النهضة الحديثة ، عالم الكتـــب ، القاهرة ١٩٧٩ .

٤ – عمر أوكان ، اللغة والخطاب ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، ٢٠٠١ .

٥ – مجموعة من الأساتذة الجامعيين ، تأسيس القضية الاصطلاحية ، بيت الحكمة ، قرطاج ١٩٨٩ .

٦ – د. محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، مكتبة غريـــب ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

٧ – د. مسعود بوبو ، أبحاث في اللغة والأدب ، دار شمأل ، دمشق ، ١٩٩٤ .

٨ – مصطفى الشهابي (الأمير) ، المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، طبعة ١٩٨٨ .

٩ – د . ممدوح خسارة ،١ – التعريب والتنمية اللغوية، دار الأهالي ، دمشق ١٩٩٤ .

٢ – منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديـــث ، مؤسســة الرسالة ، بيروت ١٩٩٩.

المعجم

١ - تعريف المعجم :

ترجع كلمة معجم - وجمعها مُعْجَمات ومعاجم ومعاجيم- إلى الكلمة العربية (أعْجَم) وتعني إزالة الغموض . والمعجم هو الكتاب المرجعي الذي يضم أكبر عدد من مفردات اللغة، ويهدف إلى إزالة ما فيها من غموض ، فيثبت هجاءها (إملاءها)، ويبين طريقة نطقها ، ويشرح ويفسر معانيها ، ويذكر مرادفاتها ومشتقاتها والشواهد عليها وكيفية استعمالها ، أو أحد هذه الجوانب على الأقل ، وتكون المواد فيه مرتبة ترتيباً خاصاً إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع أو غير ذلك ، ويضم المعجم، بالإضافة لما تقدم، معلومات أخرى ذات علاقة بشروح هذه المفردات سواء كانت تلك الشروح أو المعلومات باللغة ذاتها أم بلغة أخرى . فالمعجم هو الحجّة والمرجع الذي يحتكم إليه مستخدمو اللغة في صحة الكلمة المفردة - صياغةً وإملاء ودلالة واستخداماً - التي يتداولها الناس في الحياة والكتابة والتلقي العلمي والفني شعراً ونثراً .

٢ - المعجم والقاموس:

وكلمة (المعجم) ترادف في الاستخدام العربي الحديث كلمة (القاموس) ، وهذه الكلمة الأخيرة كانت اسماً لذلك المعجم الذي ألفّه الفيروز آبادي (توفي سنة ٨١٦هـ) بعنوان :"القاموس المحيط "الذي انتشر وذاع صيته لصغر حجمه ووضوح شرحه وغزارة مادته، على الرغم مما فيه من هَنات ، فأصبح اسم (القاموس) عَلَماً على ذلك الضرب من الكتب المرجعية . وتعني كلمة (القاموس) : البحر أو معظمه أو وسطه أو البحر العظيم ، ولكن دلالة الكلمة تغيّرت في عصرنا الحالي مع كثرة تداول هذا المعجم المعروف باسم القاموس المحيط، فأصبحت بدلالتها الجديدة مرادفة لكلمة (المعجم) سواء أكان هذا المعجم باللغة العربية أم بلغة أجنبية أم ثنائي اللغة .

٣ ـ تطور استخدام كلمتي المعجم والقاموس:

أما كلمة (المعجم) فلا يعرف على وجه التحديد زمن إطلاقها على هذه الكتب اللغوية التي تضم مفردات اللغة ، فالمعاجم القديمة المعروفة لم يسمّها أصحابها باسم المعجم ، وإنما كانوا يختارون لها مسمَّيات مختلفة ، مثل : العين للخليل ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، والبارع للقالي ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، وأساس البلاغة للزمخشري ... الخ . ويُشار إلى أن علماء الحديث النبوي كانوا أول من استخدم كلمة (المعجم) فأطلقوها منذ القرن الثالث الهجري على الكتب التي تضم أسماء الصحابة ورواة الحديث مرتبة على حروف الهجاء ،مثل:"معجم الصحابة "لأبي يعلى الموصلي (٢١٠ ـ ٣٠٧ هـ) و"المعجم الكبير" و"المعجم الصغير : في أسماء الصحابة للبغوي (توفي ٣١١هـ) ، "والمعجم الكبير " و"المعجم الأوسط" وكلاهما للطبراني (توفي ٣٦٠ هـ). و" المعجم في الأسامي" لأبي بكر الإسماعيلي (توفي ٣٧٠ هـ) . وبعد ذلك شاع إطلاق لفظ (المعجم) على الكتب المؤلفة في تراجم الرجال والكتب الجغرافية التي تعرّف بالأماكن والبلاد وغيرها ، مثل : معجم الشعراء للمرزُباني (توفي ٣٨٤ هـ) ، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري (توفي ٤٨٧هـ) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (توفي ٦٢٦ هـ) .

وفي عصرنا الحالي لم يقتصر استخدام كلمتي (المعجم) و(القاموس) للدلالة على الكتب اللغوية المرجعية فحسب ، وإنّما اتسع مفهومهما ليشمل مجالات أخرى كثيرة رُتبت فيها المواد والمداخل ترتيباً معجمياً على حروف الهجاء ، مثل معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس ، ومعجم المؤلفين ، ومعجم قبائل العرب وكلاهما لعمر رضا كحالة ، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا ، ومعجم العلوم الاجتماعية لإبراهيم مدكور ، وقاموس الكتاب المقدس لجورج بوست ، والقاموس الجغرافي للبلاد المصرية لمحمد رمزي، وقاموس الصناعات الشاميّة لمحمد سعيد القاسمي ، وغير ذلك كثير .

٤ ـ كلمة المعجم في اللغات الأوربية :

في اللغات الأوروبية عدة كلمات تستخدم للدلالة على الأعمال المعجمية ، وأكثر هذه الكلمات شيوعاً في اللغة الإنكليزية كلمة Dictionary، وفي اللغة الفرنسية Dictionaire وكلتاهما ترجع إلى اللغة اللاتينية Dictionarium ، وتعني مجموع ما يعلم ، أو النصاب التعليمي . ونجد في اللغة الألمانية كلمة Wörterbuch ، وتعني حرفياً " كتاب الكلمات ". وقد استقرت دلالة هذه الكلمات في اللغات الأوروبية فأصبحت دالة على ذلك الكتاب المرجعي الذي يضم كلمات اللغة مرتبة ترتيباً هجائياً أو معنوياً ، ويعطي كل كلمة هجاءها ودلالتها ونطقها واستخدامها ومرادفاتها ومشتقاتها وتاريخها وبعض الصور المصاحبة لها، أو أحد هذه الجوانب على الأقل .

٥ ـ المحدثون والمعاجم :

يتناول علماء اللغة وعلماء المعاجم في العصر الحديث دراسة المعاجم تحت فرعين أساسيين هما :

١ ـ علم المعاجم النظري Lexicology

٢ ـ فن صناعة المعاجم Lexicography

أمّا الأول فيهتم بدراسة المفردات أو الكلمات في لغة معينة أو عدة لغات من حيث المبنى والمعنى ؛ أما من حيث المبنى فهو يدرس طرق الاشتقاق ،والصيغ المختلفة ، ودلالة هذه الصيغ من حيث وظائفها الصرفية والنحوية ، وكذا العبارات الاصطلاحية وطرق تركيبها .أمّا من حيث المعنى فهو يدرس العلاقات الدلالية بين الكلمات، مثل : الترادف والتضاد والمشترك اللفظي وتعدد المعنى وغير ذلك .

وأمّا الثاني ـ وهو فن صناعة المعاجم ـ فيقوم بعدة عمليات تمهيداً لإخراج المعجم ونشره ، وتتمثل هذه العمليات في :

١ ـ جمع المفردات أو الكلمات أو الوحدات المعجمية من حيث المعلومات والحقائق المتصلة بها .

٢ ـ اختيار المداخل .

٣ ـ ترتيب المداخل وفق نظام معين .

٤ ـ كتابة الشروح أو التعريفات وترتيب المشتقات تحت كل مدخل .

٥ ـ نشرُ الناتج في صورة معجم أو قاموس .

ومعنى هذا أن العناصر الأساسية التي يقوم عليها المعجم أو يتألف منها هي :

١ ـ الكلمات أو المفردات أو الوحدات المعجمية .

٢ ـ المداخل .

٣ ـ الترتيب .

٤ ـ الشرح أو التعريف .

٦ ـ أنواع المعاجم عند المحدثين :

يصنف العلماء في العصر الحديث المعاجم تصنيفات عدة، ويجعلونها أنواعاً مختلفة من أهمها :

١ ـ المعجم الأحادي اللغة Monolingual Dietionary

وهو المعجم الذي يستخدم لغة واحدة ، أي تكون الكلمات المرتَّبة من اللغة نفسها المستخدمة في الشرح أو التعريف ، عربي ـ عربي ، أو إنجليزي ـ إنجليزي . وتندرج المعاجم العربية القديمة ـ كما سيأتي ـ تحت هذا النوع من المعاجم .

٢ ـ المعجم الثنائي :Bilingual Dictionary

وهو المعجم الذي يستخدم في الشرح أو التعريف لغة غير لغة المداخل أو المفردات ؛ إنجليزي ـ عربي أو العكس ، مثل معجم المورد إنكليزي ـ عربي لمنير البعلبكي ، أو القاموس العصري عربي ـ إنكليزي لإلياس أنطون إلياس ، أو غير ذلك من المعاجم الإنكليزية العربية أو الفرنسية العربية ...الخ .

٣ ـ المعجم الوصفي :Descriptive Dictionary

وهو يقوم على جمع مفردات لغة أو لهجة أو مستوى لغوي معين في مكان محدد

وزمان محدد ، مثل معجم المستشرق الألماني هانزفير الذي جمع المفردات المستخدمة في لغة الكتابة العربية في العصر الحديث ليبين تطور اللغة العربية واستخدامها في المؤلفات العربية الحديثة ، وقد سمّى معجمه :"معجم اللغة العربية المكتوبة في العصر الحديث : عربي - ألماني "، ثم ترجمت الشروح الألمانية إلى اللغة الإنكليزية بالتعاون مع المستشرق الأمريكي م . ميلتون كون ونشر عام ١٩٦٦ في طبعة جديدة .

٤ - المعجم التاريخي :Historical Dictionary :

وهو لايلتزم بفترة زمنية معينة أو مكان محدد مثل المعجم الوصفي ، وإنما يتتبع المراحل المختلفة التي مرت بها حياة اللغة، ويعني عناية خاصة بالاستخدام اللغوي بحيث ينتهي إلى ترتيب التطور في استعمال المفردات من حيث المعنى والمبنى ، منذ أقدم العصور حتى العصر الذي يتمّ فيه عمل المعجم . وتُمثّل الشواهد على الاستعمال حجر الزاوية في مثل هذا المعجم ، وخير مثال لهذا النوع من المعاجم :"معجم اكسفورد التاريخي للغة الإنكليزية"، وما تزال اللغة العربية تفتقر إلى مثل هذا النوع من المعاجم ، وقد حاول المستشرق الألماني أوغست فيشر صناعة هذا المعجم بالتعاون مع مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ولكن المحاولة لم تتم لأسباب كثيرة ، ولم يصدر من عمل المستشرق سوى جزء صغير (حرف الهمزة) طبع في القاهرة عام ١٩٦٧. وتتابع جمعية المستشرقين الألمان هذا العمل الذي صدر منه حتى اليوم جزء خاص بحرف اللام ومن قبله جزء خاص بحرف الكاف وقد طبعا في ألمانيا . أمّا مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد بدأ منذ سنوات عدة بإخراج "المعجم الكبير" الذي يعنى بالجانب التاريخي، ولم يصدر منه إلا بضعة أجزاء وصلت إلى حرف الخاء .

٥ - المعجم التأصيلي أو التأثيلي Etymological Dictionary:

وهو يعني باشتقاق المفردات وتبيان الأصول أو المنابع الأولى التي انحدرت منها داخل الأسرة اللغوية الواحدة كمقارنة العربية بأخواتها الساميات مثل الأكادية والآرامية والحبشية وغيرها ، أو مقارنتها ضمن لغات تنتمي إلى أسر لغوية مختلفة

لتأصيل بعض الألفاظ المعربة أو الدخيلة في اللغة العربية وبيان أصولها ، وليس في اللغة العربية في عهدنا الحالي معجم شامل لبيان كل هذا ، وإن كانت هناك محاولات لبعض الأفراد في هذا الاتجاه كمعجم الدخيل لطه باقر ، وغرائب اللغة العربية للأب روفائيل نخلة اليسوعي .

٦ - المعجم الموضوعي (أو معاجم المعاني)Thesaurus:

وترتب المفردات في هذا المعجم وفق الموضوعات أو المعاني ، فتوضع المفردات المتصلة بموضوع واحد في مكان واحد ، مثل الألفاظ الخاصة بأعضاء الجسم أوالألوان أو الطعام ... الخ . وسنقف بالتفصيل على هذا النوع من المعاجم عند عرضنا للتراث المعجمي العربي والتأليف فيه .

٧ - المعجم المعياري أو التعليميNormative or Didactic Dictionary :

وهو المعجم الذي يُصدر أحكاماً على الاستعمالات اللغوية بهدف المحافظة على نقاء اللغة وحمايتها من سوء الاستعمال . ويتخذ من الألفاظ الأساسية معاييره في القياس ، كما يتخذ القاعدة معياراً للاستعمال اللغوي . وقد عرف العرب قديماً هذا النوع من المؤلفات وإن لم يسمّوها معاجم ،مثل : لحن العامة لأبي بكر الزُّبَيْدي (توفي ٣٧٩ هـ) ، وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكّي الصِقِلّي (ت ٥٠١ هـ) ، ودرّة الغوّاص في أوهام الخواص للحريري (توفي ٥١٦هـ) ، وتقويم اللسان لابن الجوزي (توفي ٥٩٧هـ) وغيرها .أمّا في عصرنا هذا فقد ظهرت كتب كثيرة في هذا الميدان لم تحمل اسم (المعجم) أيضاً مثل : قُل ولاتقل لمصطفى جواد ، وتذكرة الكاتب لأسعد داغر ، وعثرات اللسان لعبد القادر المغربي ، والكتابة الصحيحة لزهدي جار الله ، كما ظهر معجمان لمحمد العدناني حمل أحدهما عنوان :" معجم الأخطاء الشائعة "، وحمل الثاني عنوان :" معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة ".

وهذا النوع من المعاجم يختلف و المعجم الوصفي - المتقدم ذِكرُه - الذي يصف اللغة كما هي دون إصدار أحكام عليها من حيث الصحة والخطأ .

٨ - معجم المصطلحات Terminological Dictionary :

وهو معجم تقني خاص يعنى بمصطلحات موضوع أو علم معين مع ذكر معانيها وتطبيقاتها المختلفة ، وترتب المصطلحات فيه ترتيباً معجمياً على حروف الهجاء . وبما أن هذا النوع من المعاجم مرتبط بتطور العلوم والفنون ومطالب الحياة المستجدة ، لذا يبقى التأليف فيه مستمراً ، كما يبقى أمر وَضْع المصطلحات أو ترجمتها عملاً لاينقطع في اللغة العربية ، معاونة للمشتغلين بالعلوم والفنون ونهوضاً باللغة العربية الفصحى لتصبح وافيةً بتأدية مطالب الفكر والحضارة ، قادرة على مسايرة الزمن وركب الحضارة . وقد ألفت في عصرنا هذا معاجم لمصطلحات كثير من العلوم والفنون والآداب ألفّها أفراد أو مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وعمّان وبغداد وغيرها ، أو المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ، مثل : معجم البترول ، معجم الكيمياء ، معجم الرياضيات ، معجم الفيزياء ، معجم علم اللغة النظري ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب... وغيرها كثير . ولم يفت أسلافنا التأليف في مثل هذا النوع من المعاجم ، فألفوا كتباً كثيرة اشتملت على مصطلحات العلوم والفنون ولكن لم يسمّوها معاجم مثل : مفاتيح العلوم للخوارزمي ، والكليّات لأبي البقاء الكفوي ، وكشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتّهانَوِي وغيرها.

٩ - المعجم الموسوعي Encyclopedic Dictionary :

وهذا نوع من المعاجم لايقف عند حدود شرح المفردات ومعانيها ، وإنما يتجاوز ذلك إلى معلومات أخرى غير لغوية ، مثل ذكر أسماء بعض العلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة وتواريخ ميلادهم ووفياتهم وبعض أعمالهم ، كما يشير إلى أسماء المواضع والبلدان ، وكذلك بعض الآراء والنظريات العلمية والأدبية وغير ذلك . ويختلف هذا النوع من المعاجم عمّا يعرف بالموسوعات (أو دوائر المعارف) Encyclopedia التي تشبه المعجم في الترتيب، ولكن تزيد عنه في الشمول والتعمّق والتفاصيل ، فالمعجم الموسوعي يقدم المعلومات والحقائق بإيجاز وتركيز أكثر مما تقدمهما الموسوعة .

٧ ـ التراث المعجمي العربي والتأليف فيه:

لاتُعرف أمّة من الأمم في تاريخها القديم والحديث قد افتنّت في أشكال معاجمها ، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب . وقد تعدّدت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفد كل الاحتمالات الممكنة لأنها لم تسر جميعاً على نظام واحد في ترتيب ألفاظ اللغة وموادها ، وإن المتتبع لها يرى أنها ذات نُظُم متعددة تتفق حيناً وتتفاوت أو تختلف أحياناً ، ولكن هذه المعاجم جميعاً تقوم على ملاحظة جانبي الكلمة وهما : اللفظ والمعنى ، والمقصود بذلك أن أسلافنا رتبوا معاجمهم - بصورة عامة - إمّا على اللفظ وإمّا على المعنى . وعلى هذا التصنيف كان لدى اللغويين العرب نوعان رئيسيان من المعاجم وهما :

١ - معاجم الألفاظ : وهي ترتب أبوابها وفصولها بحسب الكلمات ثم تشرحها ...الخ.

٢ - معاجم المعاني : وهي ترتّب أبوابها بحسب الموضوعات ، فتسرد ضمن كل باب الألفاظ الخاصة به مع شروحها... الخ .

وسنعرض أولاً للتأليف في هذين النوعين ، ثم نعرض لطريقة الترتيب وكيفية الكشف في المعاجم مع نماذج منها .

أولاً ـ التأليف المعجمي عند العرب :

١ ـ معاجم الألفاظ :

وأساس ترتيب المواد في هذه المعاجم هو حروف الهجاء أو حروف المعجم ، وقد اختلفت نظرة العلماء إلى هذه الحروف ممّا أدى إلى اختلاف أنواع معاجمهم على النحو التالي :

١ - معاجم رتبت المواد فيها بحسب الحرف الأخير من الكلمة مع مراعاة الحرف الأول فيما سمي بالباب والفصل ، فكلمة مثل (كتب) نجدها في باب (الباء) فصل (الكاف) ، ومن المعاجم القديمة التي اتخذت هذه الطريقة : تاج اللغة وصحاح العربية (معروف اختصاراً باسم : الصحاح) للجوهري (توفي سنة ٣٩٣ هـ) ، ولسان

العرب لابن منظور (توفي سنة ٧١١ هـ) ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (توفي ٨١٦ هـ) ، وشرحه المسمّى : تاج العروس للمرتضى الزَّبيدي (توفي سنة ١٢٠٥ هـ) . أمّا في العصر الحديث فلم يلجأ أحد إلى اتباع هذه الطريقة ،بل نجد الناشرين قد عكسوا في بعض طبعات هذه المعاجم ذلك الترتيب، وجعلوه بحسب أوائل الحروف، كما في الطبعة التي أخرجتها دار المعارف بمصر لمعجم لسان العرب لابن منظور في ستة أجزاء ، والطبعة التي أخرجتها مؤسسة الرسالة في بيروت للقاموس المحيط للفيروز آبادي في مجلد واحد .

٢ – معاجم رُتبت المواد فيها بحسب أوائل الحروف مع مراعاة الحرف الثاني فالثالث ، وهذه أشهر طرق الترتيب وأيسرها، وقد استمر العمل بها في عصرنا الحالي. ومن أشهر المعاجم القديمة التي اتخذت هذا الترتيب : أساس البلاغة للزمخشري (توفي سنة ٥٣٧هـ) ، وجمهرة اللغة لابن دريد (توفي ٣٢١ هـ) ومقاييس اللغة لابن فارس (توفي ٣٩٥ هـ) ، والمصباح المنير للفيّومي (توفي ٧٧٠ هـ) . وفي العصر الحديث ظهرت معاجم كثيرة اتبعت هذا الترتيب ليسره وسهولته مثل : المعجم الوسيط، والمعجم الوجيز اللذين أخرجهما مجمع اللغة العربية في القاهرة ، والمعجم المدرسي لمحمد خير أبو حرب، وقد نشرته وزارة التربية في دمشق، والمُنجِد للأب لويس المعلوف الذي نشر أول مرة في بيروت سنة ١٩٠٨ وأُلحِق بطبعته الخامسة عشرة معجم آخر للأعلام والآداب والفنون والمعارف المختلفة ، أعدّه فرديناند توتل .

٣ – معاجم رُتبت المواد فيها بحسب مخارج الحروف ، وقد ابتكر هذا الترتيب الصوتي بحسب مخارج (مواضع النطق)الحروف الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي سنة ١٧٠ هـ) صاحب (كتاب العين) وهو أول معجم عرفه العرب في تاريخهم اللغوي ، وقد سارت المعاجم التالية على هذا الترتيب: البارع لأبي علي القالي (توفي ٣٥٦هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (توفي٣٧٠ هـ) ، والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد (توفي ٣٨٥ هـ) والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي (توفي ٤٥٨ هـ) ، ثم

انقطع تأليف المعاجم على هذه الطريقة الصعبة حتى اليوم .

٢ ـ معاجم المعاني:

ويسميها بعضهم المعاجم الموضوعية أو المعاجم المجنَّسة أو معاجم المتوارد وغير ذلك ، ولكن التسمية الشهيرة هي معاجم المعاني ، وهي ترمي إلى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعاني ، وترتب هذه المعاني ترتيباً خاصاً ، وتحت كل معنى منها تندرج الألفاظ التي تستعمل للتعبير عن هذا المعنى ، وسنعرض أمثلة من هذه المعاجم فيما بعد . وتأليف هذه المعاجم عند العرب قديم العهد ، يعود إلى القرن الثاني للهجرة وقد استمر التأليف فيه حتى عصرنا الحالي. ومن أشهر معاجم المعاني التي ألفها القدماء: الألفاظ لابن السِكِّيت (توفي ٢٤٤ هـ)،والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري(توفي ٣٩٥ هـ)، ومبادئ اللغة للخطيب الإسكافي (توفي٤٢١هـ)، والمخصَّص لابن سيده الأندلسي(توفي ٤٥٨ هـ)،وفقه اللغة للثعالبي (توفي٤٢٩ هـ). وفي العصر الحديث أُلِفّ عدد من معاجم المعاني تختلف فيما بينها حجماً وطريقة ومضموناً ، مثل : لطائف اللغة لأحمد اللبابيدي ، والرافد لأمين آل ناصر الدين ، وهو معجم للإنسان والبيئة ، وأهم معاجم المعاني الحديثة : الإفصاح في فقه اللغة لعبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٦٤ في مجلدين كبيرين .

ثانياً طرق الترتيب وكيفية الكشف في المعاجم والنماذج:

١ ـ معاجم الألفاظ

يقسم معجم الألفاظ إلى ثمانية وعشرين باباً ، وهذه الأبواب مرتبة بحسب تتابع حروف الألف باء :"أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي"توضع في كلٍّ باب الألفاظ التي تبدأ بهذا الحرف إذا كان المعجم مرتّباً بحسب أوائل الحروف الأصلية للكلمة مثل (أساس البلاغة) للزمخشري و (المصباح المنير) للفيومي ، أو توضع الألفاظ التي تنتهي

أصولها بهذا الحرف في باب واحد إذا كان المعجم مرتباً بحسب أواخر الحروف مثل (الصحاح) للجوهري و(لسان العرب) لابن منظور، و (القاموس المحيط) للفيروز أبادي ، و(تاج العروس) للزبيدي ، ثمّ يقسّم في هذا النوع المرتب بحسب أواخر الكلمات كلُّ باب إلى فصول تصل إلى ثمانية وعشرين فصلاً ، تشتمل على الكلمات مرتبة بحسب أوائلها ، وسنشرح هذه الطريقة عند الكلام المفصّل على(لسان العرب) .

ومعاجم الألفاظ سواء التي تأخذ بأواخر الكلمات والتي تأخذ بأوائلها لها ميزتان:

١ - تصنيف الألفاظ بحسب أصولها من غير النظر إلى حروفها الزائدة (فالأفعال ثلاثية ورباعية ثمّ يزاد عليها ، والأسماء ثلاثية ورباعية وخماسية ثمّ يزاد عليها، وأقصى مدى الأفعال هو ستة أحرف ، وأقصى مدى الأسماء هو سبعة أحرف) ولابدّ من ممارسة لغوية في تقليب الكلمات ، وتبيين الأصلي من الحروف ، وإعادة الحروف التي أصابها إعلالٌ أو إبدالٌ إلى أصولها ، وتكميل الناقص من الحروف في بعض الأسماء أو الأفعال ، وهذا أمرٌ ليس عسيراً لمن يتداول اللغة العربية ، فيربط بين الفعل الماضي والمضارع والمصدر ، ثمّ يصل ما بين المشتقات ومصدرها ، ويحاول أن يعرف جمع الاسم أو تثنيته . والغرض من ترتيب ألفاظ العربية على هذا النمط هو الحفاظ على علاقات المعاني بين المشتقات بدلاً من تشتّت المعاني المتداخلة والمتفاعلة بين أجزاءٍ متفرّقة إذا ما رتبنا الكلمات من غير النظر إلى الحروف الأصلية على النحو الذي تألفه المعاجم الفرنسية والإنكليزية والألمانية وسائر اللغات الأجنبية ، فاللغة العربية اشتقاقية قياسية ، وقد اتصلت حلقات المعاني والدلالة وفق قوانين صرفية منذ نشأتها مِمّا يجعل ألفاظها مفهومة في كلّ عصر ، وممكنة الاستخدام من غير لَبْس .

٢ - أنّ الكلمات تتتابع بحسب الحرف الأول والثاني فالثالث... متدرّجة في سلّم الألف باء ، فأنت تجد هذه الكلمات (أثف، أدف ، أذف ، أرف ، أسف ، أشف، أصف، أفف، أكف ،ألف، أنف ، أوف) متتابعة في باب الفاء ثم فصل الألف من لسان العرب ومايشابهه من معاجم تأخذ بأواخر الكلمات،وتجد هذه الكلمات (حبأ ،

حبب،حبر،حبس،حبش،حبض، حبط، حبق ،حبك ،حبل ،حبن ،حبـــو) متتابعـــة في باب الحاء من أساس البلاغة للزمخشري وما يشابهه من معاجم تأخذ بأوائل الكلمات .

أنموذجان من معاجم الألفاظ (لسان العرب والمعجم الوسيط):

١ ـ لسان العرب :

هو من أوسع معاجم الألفاظ العربيّة ، رُتِّب بحسب أواخر الأصول ، ففيه أبـواب بعدد حروف الألف باء ، ثم في داخل كل باب عدد من الفصول بحســـب الـــترتيب الألفبائي لأوائل الأصول . ألف هذا المعجم في أواخر القرن السابع الهجـــري ، فقـــد عاش مُؤَلِّفُه جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور بين (٦٣٠ - ٧١١ هـــ) . وجمـع مادتّه من مصنفات معجمية سبقته ، فضمّ بهذا العمل قدراً وافراً مـــن ألفـــاظ اللغـــة واصطلاحات العلوم على نحو يجعله يتبّوأ مرتبة الموسوعات إذ اشتمل على الشـــواهد الشعرية ، وبعض الأخبار ، وألوان من النشاط الحضاري العربي .

للسان العرب طبعات عدّة ، واحدة بالمطبعة الأميرية ببولاق بمصـــر في عشـــرين مجَلداً ، وقد صُوّرت هذه الطبعة مرات عدّة وهي مضبوطة إلى حدٍّ بعيد ومعتمـــدة ، وهناك طبعة بيروتية بدار صادر عُني بها باحثون مما يؤهلها - مع شيء من التصويـب - للثقة خاصة في حالة فقدان الطبعة البولاقية ، أو عند تصويرها بشكل مضطـــرب ممـــا يذهب قيمتها الأساسية، ونعني الدقة في الضبط والتشكيل .

طريقة البحث في المعجم(لسان العرب):

سنضع بعض الكلمات ونطبّق عليها أسس التعامل مع (لسان العرب) من خلال هاتين القطعتين اللتين اخترتا من سياقين مختلفين :

أ - نادى الطبيبُ الممرضَ في **المستشفى** قائلاً : **ضَعْ زِنَةَ** خمسين غراماً من الذرور **المطهرّة** ، **وقل** لزميلي : إني لم أرَ **ضرورة** للزيادة ، فهناك مريضٌ آخر يدُه تنـــزف دماً، **والتنفس** عنده **مضطرب** ، **فليوقِفِ** الترِيفَ بضمادٍ كافٍ ، وليجعله يضطجـــع بتؤدة.

ب – وصلت برقية إلى مركز **الاتصالات** المباشرة تومئ إلى حاجة ماسّة إلى **مناقلات** سريعة في الحسابات الجارية،فقد حميت المزايدات في سوق الأوراق النقدية ، وثمة **استشارة** عاجلة ، ويقول مندوبنا : بِعِ البضاعة بالأسعار الحالية فلا جدوى من الانتظار .

لدينا أولاً : (المستشفى ، المطهِّر ، التنفس ،مناقلات) ، فهذه كلمات فيها حروف زائدة تجرَّد ، وتعاد إلى أصولها : (شفي ، طهر ، نفس ، نقل) ، ونلاحظ أن الزيادة تكون في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها .

وهناك كلمات : (ضع ، قل ، بِعْ ، زنة) حُذفت حروف منها لضرورة بنائها الصرفي ، فالأفعال الثلاثة أفعال أمر حُذفت فاء الأول (ضع من وضع) ، وعين الثاني والثالث (قل من قال يقول) و (بع من باع يبيع) فالأصول (وضع، قول، بيع) . أما (زنة) فهي من الفعل وَزَن والمصدر وَزْن . وهنا كلمات : (مضطرب ، استشارة ، اتصالات) : وتشتمل هذه الألفاظ على حروف زيادة ، وعلى تغيير في حالة حرف العلة أو حرف آخر : (مضطرب) : مفتعل أصله (ضرب) زيدت الميم والتاء ثم حوّلت التاء طاءً لسهولة النطق بالكلمة ، و (استشارة) أصلها شور ، فالزيادة الألف والسين والتاء ، وفي الكلمة (إعلالٌ) في الواو المنقلبة ألفاً . والاتصال وزنها : افتعال من وصل ، فالتاء والألف زائدان ، وقد قلبت الواو تاء ، وأدغمت لسهولة النطق .

بعد هذه العملية الصرفية يكون لدينا كلمات أصلية مجرّدة ، نبحث عنها في المعجم ، في باب الحرف الأخير منها (وضع) ، و(بيع) نجدهما في باب العين ثم نجد بيع في فصل الباء من باب العين ، ووضع في فصل الواو من باب العين .

و(قول، ونقل ،ووصل): كلها في باب اللام ثم كل كلمة في فصل بحسب الحرف الأول : فصل القاف ، وفصل النون ، وفصل الواو. وكذلك في (طهر وشور) فهما من باب الراء ، ولكن الأول من فصل الطاء والآخر من فصل الشين في باب الراء .

ونعرض مادة من (لسان العرب) ، لنرى معالم هذا المعجم في بسطه الأصل

والمشتقات ، وليكون لنا تدريباً عملياً على مراجعة المعنى المطلوب ، أو لنقل إننا نتخيَّرُ الدلالة المناسبة بين مجموعة من احتمالات في استعمال تلك المشتقّات .

٢ ـ مادة (ش و ر):

شور : شارَ العسلَ يَشُوره شَوْراً وشِياراً وشِيارَة ومَشاراً ومَشَارة : استخرجه من الوَقْبة واجْتَناه ؛ والمِشْوار : ما شار به . والمِشْوَارة والشُّورة الموضع الذي تُعَسِّل فيه النحل إذا دَجَنَها .

والشَّارَة والشُّوْرَة : الحُسْن والهيئة واللِّباس ، وقيل : الشُّوْرَة الهيئة . والشَّوْرَة ، بفتح الشين : اللِّباس ؛حكاه ثعلب، وفي الحديث : أنه أقبل رجل وعليه شُوْرَة حَسَنة ؛ قال ابن الأثير : هي بالضم ، الجَمال والحُسن كأنه من الشَّوْر عَرْض الشيء وإظهاره ؛ ويقال لها أيضاً : الشّارَة ، وهي الهيئة ؛ والمِشْوَار : المَنْظَر . ورجل شَارٌ صارٌ ، وشَيِّرٌ صَيِّرٌ : حسَن الصورة والشَّوْرة ، وقيل : حسَن المَخْبَر عند التجربة ، وإنما ذلك على التشبيه بالمنظر ، أي أنه في مخبره مثله في منظره . ويقال : ما أحسنَ شَوَارَ الرجل وشَارَته وشِيَارَه ؛ يعني لباسه وهيئته وحسنه . ويقال : فلان حسن الشَّارَة والشَّوْرَة إذا كان حسن الهيئة . ويقال : فلان حسن الشَّوْرَة أي حسن اللِّباس . ويقال : فلان حسن المِشْوَار ، وليس لفلان مِشْوَار أي مَنْظَر . وقال الأصمعي : حسن المِشْوار أي مُجَرَّبه وحَسَنٌ حين تجرّبه . وقصيدة شَيِّرة أي حسناء . وشيء مَشُورٌ أي مُزَيَّنٌ ، وشَارها يَشُورها شَوْراً وشِواراً وشَوَّرَها وأَشارَها ؛ عن ثعلب ، قال وهي قليلة ، كلُّ ذلك :رَاضَها أو رَكِبها عند العَرْض على مُشْتَرِيها ، وقيل : عَرَضها للبيع ، وقيل : بَلاها ينظُر ما عندها ، وقيل : قلَّبها ؛ وهيَ الشُّورَى والمَشُورَة ، بضم الشين ، مَفْعُلَة ولاتكون مَفْعُولَة لأنها مصدر، والمَصادر لاتَجيء على مثال مَفْعُولة ، وإن جاءت على مِثال مَفْعُول ، وكذلك المَشْوَرَة ؛ وتقول منه : شَاوَرْتُه في الأمر واسْتشرته بمعنى . وفلان خَيِّرٌ شَيِّرٌ أي يصلُح لِلْمُشاورَة . وشاوَرَه مُشاوَرَة وشِواراً واسْتشَاره : طَلَب منه المَشُورَة . وأشار الرجل يُشِيرُ إشارَةً إذا أَوْمَأَ بيديْه . ويقال : شَوَّرت إليه بيَدِي

وأشرت إليه أي لَوَّحْت إليه وألَحْتُ أيضاً . وأشارَ إليه باليَدِ : أَوْمَأَ ، وأشارَ عليه بالرَّأْيِ وأشار يُشير إذا ماوَجَّه الرَّأي .

ولقد اخترنا من المادة مارأيناه قريب المعنى من عصرنا الحاضر ، ولو تتبعنا كل ماجاء فيها لوجدنا صفحات طويلة تتحدّث عن أشياء لا نستخدمها اليوم في حياتنا المعاصرة ، ولكنها قد تكون مفيدة لعلماء اللغة الذين يؤرخون لتطورها ، أو هي مفيدة للذين يريدون أن يعرِّبوا بعضَ مستحدثات هذا العصر .

والقارئ في (لسان العرب) يلاحظ أنّ هذا المعجم يحتاج إلى ترتيب داخلي يوزّع الكلمات بحسب فعليتها أو اسميتها ، وبحسب التجريد أو الزيادة ، وكذلك يمكن له أن يفيد أكثر لو كان يتضمن رصداً للتتابع التاريخي للكلمة ، وتطور دلالتها لكننا مع هذا كلّه نهتمُّ بـ (اللسان) لأنّه ضمّ حشداً من الأصول اللغوية ، ووثّقها .

٢ ـ المعجم الوسيط :

سعى الباحثون في أواخر القرن التاسع عشر ثم في القرن العشرين إلى تأليف معجمات تحاول الإلمام بما كان من أصول الكلمات العربية الأساسية والعامة ، ثم تدوّن الألفاظ الحديثة التي تداولها العرب في العلم ووجوه النشاط في حياتهم .

نذكر هنا أنّ كل جديد في اللغة العربية يجب أن يخضع لمقاييسها وقواعدها في بناء الكلمة صرفياً إن كانت ثلاثية أو رباعية أو خماسية أو سداسية أو سباعية، وأن يحافظ على مجموعتها الصوتية فلا تضطرب في عملية نقل الكلمة إلى مجالات جديدة ، كما أننا نقول هنا :إنّ الألفاظ الجديدة إمّا أن تكون لها دلالة قديمة ثمّ تطورت وإما أن تبتكر بالنحت والتركيب من أصوات الكلمة الأجنبية التي تعرّبها . أما الألفاظ التي تبقى على شكلها الأجنبي فلا تدخل كيان العربية ، وتظل غريبة عنه إلى أن نجد لها مقابلاً يحتمل التطور ، أو أن ننحت منها صياغة صرفية مقبولة .

كان السعي إلى المعجم العربي الحديث صعباً ومحفوفاً بالمزالق ؛ لأن هذا المصنَّف سيكون حجّة لغوية ، وكلّ ما فيه يرتبط بمسؤولية قومية وعلمية ، ولأهمية هذا الجانب وخطورته فإن

اللغويين والغيورين على العربية كانوا يتابعون بالنقد والتحليل كلّ ما صدر من معجمات . وقد أخطأ كثيرون السبيل ، وأسفر العمل في هذا الميدان عن أعمال جيدة قليلة .

قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة - وهو يضم أعضاء من مصر والبلاد العربية - بجهود أفاد فيها من آراء مجمع اللغة العربية بدمشق لتحقيق الرغبة في تأليف معجم للغة العربية يجمع الخصائص المعجمية الحديثة التي نراها في المصنفات الأجنبية المتطورة ، ويحقق المحافظة على كيان العربية وقواعدها . وقد أخرج بضعة أجزاء من المعجم الكبير المشتمل على التأصيل وتبيان التطور الدلالي والمنتظم على نحو دقيق وميسّر ؛ وقدّم مجمع اللغة معجماً متوسط الحجم ليفي بالحاجات اللغوية القريبة ، ذلك أن مشروع المعجم الكبير سيستغرق زمناً غير قصير ، وهذا أمر عرفته المعاجم الإنكليزية والألمانية والفرنسية . وكذلك أنجز المجمع معجماً صغيراً للطلبة وللغايات الثقافية العامة ، وصدر عام ١٩٨٠ باسم المعجم الوجيز .

المعجم الوسيط : طبعاته ، ماهيته ، طريقة الاستفادة منه :

أصدر المجمع الطبعة الأولى من المعجم الوسيط سنة ١٩٦٠ م في مجلدين يتضمنان ثلاثين ألف مادة (كلمة أصلية) ومليون كلمة ، وستمئة صورة ، ثمّ جمعت التعليقات والتصويبات التي تقدّم بها العلماء والدارسون ليغدو هذا المعجم أفضل وأكثر فائدة - والعلم إنما يبنى على الجهود المشتركة ، وعلى التعاون بين الباحثين ، ويحرز هؤلاء تقدماً كبيراً يتجاوزون به الزمن ويختصرونه ، وينجزون المهمات الكثيرة التي لايستطيع إنجازها الجهد الفردي أو العمل المنعزل عن الاحتكاك والتعاون - وصدرت بعد ذلك طبعة ثانية منقّحة ، وفيها زيادات على ما كان في الطبعة الأولى . وقد هرع الناشرون في أقطار الأرض العربية والأجنبية يطبعون هذا (المعجم الوسيط) بطريقة التصوير مما يجعلنا ننصح للطلبة والأساتذة بمطالعة الطبعة الثانية ؛ فهي أكمل وأدقّ لغوياً وعلمياً وطباعياً .

يتألف المعجم الوسيط من ثمانية وعشرين باباً ، ذلك أنه خُصِّصَ لكل حرف من حروف الألفباء بابٌ تُسرد فيه الكلمات الأصلية المبدوءة بهذا الحرف ، ثم تُوضع مع

كل أصل لغوي المشتقات التي أُخِذَتْ منه ، وتعلّقت به .

ويراعي المعجم تسلسل حروف الكلمة الواحدة بحسب الترتيب الألفبائي الحرف الأول فالثاني فالثالث فالرابع ... ونورد هنا بعض ما أوردته لجنة المعجم تشرح كيفية تتابع الكلمات ضمن كلّ مادة (أصل لغوي) ، وسنعرض نماذج لغوية من المعجم ، وقبل ذلك نذكر أن طريقة الاستفادة والكشف عن الألفاظ في المعجم الوسيط بسيطة وسهلة إذ يتطلب الأمر :

١ ـ تجريداً للكلمة من الحروف الزائدة .

٢ ـ أو إعادة الحروف الناقصة المحذوفة .

٣ ـ أو إعادة الحرف المعتل إلى أصله والمضعّف (المشدّد) إلى حالته الأولى .

٤ ـ ثم نبحث عن الكلمة في الباب الذي يبدأ به حرفها الأول فالثاني فالثالث .

ويتلخص المنهج الذي نهجته اللجنة في ترتيب موادّ المعجم بما يأتي :

١ ـ تقديم الأفعال على الأسماء .

٢ ـ تقديم المجرّد على المزيد من الأفعال .

٣ ـ تقديم المعنى الحسّي على المعنى العقلي ، والحقيقي على المجازي .

٤ ـ تقديم الفعل اللازم على الفعل المتعدي .

وفيما يلي مثال لطريقة المعجم الوسيط :

٢ ـ مادة (ر س ل):

(رَسِلَ) البعيرُ يَرْسَل رَسَلاً،ورَسالَةً: كان رَسْلاً. وَرَسَل الشَّعْرُ ، رَسَلاً: كان طويلاً مسترسلاً.

(أَرْسَلَ) الشيء : أطلقه وأهمله . يقال : أرسلتُ الطائرَ من يدي . ويقال : أرسل الكلامَ : أطلقه من غير تقييد . و ـ الرسولَ : بعثه برسالة .و ـ عليه : سلَّطه . وفي التنزيل العزيز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرسلْنَا الشياطينَ عَلَى الكافرين تَؤزُّهم أَزّاً﴾ ويقال : أرسلَ الكِلابَ على الصَّيد .

(راسله) في عمله : تابعه فيه. ويقال : راسله الغناءَ . و- أرسل إليه رسولاً ، أورسالة.

(رَسَّل) في القراءة: رتّل وحقّق بلا عجلة.وفي الحديث:"كان في كلامه ترسيل ".

(تَرَاسَلَ) القوم : أرسل بعضهم إلى بعض رسولاً أو رسالة .

(ترسّل) : تمهّل وترفّق . يقال : ترسّل في كلامه وقراءته ومشيه . و- الكاتبُ: أتى بكلامهِ مرسلاً . و - في الركوب : بسط رجليه على الدَّابّة حتى يُرْخِي ثيابه على رجليه . و - في القعود : تربّع وأرخى ثيابه على رجليه حوله .

(استرسل) الشعرُ: كان سَبْطاً و - البشيءُ : سَلُسَ . و - إليه: انبسط واستأنس . و - به : وَثِق.

(الرَّاسلان) : الكَتِفَان ، أو عرقان فيهما .

(الرِّسال) قوائمُ البعير . الواحد :رِسْل .

(الرِّسالة) : ما يرسل. و -الخطاب . و - كتاب يشتمل على قليل من المسائل، تكون في موضوع واحد. و- بحث مبتكر يقدمه الطالب الجامعي لنيل شهادة عالية. (محدثة) ورسالة الرسول : دعوته الناس إلى ماأُوحِيَ إليه. ورسالة المُصْلِح: ما يتوخّاه من وجوه الإصلاح.(محدثة) (ج) رسائِلُ . وأمُّ رسالة : الرَّخَمَة .

(الرَّسْل): الذي فيه لين واسترخاء . يقال : شعرٌ رَسْلٌ : مسترسل . وبعير رسل : سهل السَّير . وسَيْر رسل .

(الرِّسْل) : الرِّفق والتؤدة . يقال : افعل كذا على رِسْلِك: اتّئد ولاتعجل.

(الرَّسَل) : القطيع من الإبل والغنم وغيرها . و - الجماعة من الناس .

(ج) أَرْسال . يقال : جاءت الإبل والخيل أرسالاً : رَسَلاً بعد رَسَلٍ . وجاء القوم أرسالاً : جماعات بعضهم في إثر بعض .

الرُّسُل الجارية الصغيرة التي لا تختمر .

(الرَّسْلَة) : مؤنّث الرَّسل . و - اللّين . يقال : هم في رسلةٍ من العيش و -

الكسل . و – المرأة الكثيرة الشعر في ساقيها الطويلته .

(الرِّسْلة) : الرفق والتؤدة . يقال : افعل كذا على رِسْلَتك . وجاؤوا رِسْلَةً رِسْلَةً : جماعة جماعة .

(الرَّسُول) : المُرْسَل (للمذكر والمؤنث والواحد والجمع) . وفي التنزيل العزيز : ﴿ إنَّا رَسُولُ رب العالمين﴾ ويجمع أيضاً على رُسُلٌ، وأَرْسُلٌ.

و – الرِّسالَةُ . و – في الشرع (من الملائكة) : من يبلغ عن الله . و (من الناس) : من يبعثه الله بشرع يعمل به ويبلغه .

(الرَّسِيلُ) : الرَّسُولُ .و – المُرَاسِل . و – الواسِعُ . و – السَّهْلُ . و – الشيء اللطيف . و – الماء العذب .

(الرُّسَيْلةُ) : يقال : ألقى الكَلام على رُسَيْلاتِهِ . لم يَتروّ فيه .

(المُرَاسِلُ) من النِّساء : التي تُرَاسل الخُطَّاب،أو التي فارقها زوجُها بطلاق أو غيره.

و – الكثيرة شعر الساقين الطويلته . و – التي أَسنَّتْ وفيها بقيَّة شباب .

ومراسل الصحيفة : من يمدُّها بالأخبار من بعيد . (محدثة) .

(المِرْسالُ) : الرَّسُول . و – النَّاقةُ السَّهْلَةُ السَّيْرِ السَّرِيعةُ . (ج) مَرَاسِيل .

(المُرْسَلُ) : (في مصطلح الحديث) : ما سقط من إسناده الصَّحَابِيَ ، كأن يقول التَّابِعِيّ : قال رسول اللهﷺ ، ولايذكر الصَّحابيَّ الذي أخذه عنه .

ونَثْرٌ مُرْسَلٌ: لايتقيَّد بسَجْع . وشِعْرٌ مُرْسَلٌ : لايتقيَّدُ بقافية واحدة .

(المُرْسَلَةُ) : مؤنث المُرْسل . و – قلادةٌ طويلة تقع على الصدر .

(المُرْسَلات) في القرآن : الرِّياح ، أو الملائكة ، أو الخيل .

٢ – معاجم المعاني

قدّم عدد من علماء العربية مصنفات معجميّة نضعها تحت عنوان(معاجم المعاني)، وهي التي اشتملت على قدر وافر من الكلمات العربية ، لكنها لم تبوّب على النحو الذي ألفناه في (معاجم الألفاظ) القديمة أو الحديثة . وإنما قُسِّمت أقساماً بحسب الموضوعات أي ما

يكون من أشياء مادية متنوعة ، وأمور علمية ، وصلات نفسية او فكرية ، وفيها ما يتصل بالإنسان جسماً وروحاً ، وفي كلّ قسم من هذه الأقسام تسرد الألفاظ المستعملة أسماءً وأفعالاً وصفات مما يشكّل دائرة دلالية تتفاوت كمالاً بين معجم وآخر .

من تلك المعاجم : (التلخيص في معرفة الأشياء) لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، و(متخيِّر الألفاظ) لأحمد بن فارس (٣٩٥هـ) ، و(فقه اللغة) لأبي منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) ، و(المخصّص) لابن سيده الأندلسي (٤٥٨ هـ) ، و(نظام الغريب) لعيسى بن إبراهيم الرَّبَعي (٤٨٠ هـ).

ويمّثل كتاب(فقه اللغة)المعجم الصغير في هذا الميدان،ويعدّ(المخصّص)أوسع مصنَّف جمع الألفاظ في أبواب المعاني،وأدقّ مؤلّف في تتبعه لجزئيات الموضوعات، وترتيبها .

ونضرب مثالاً على تلك المعاجم من (فقه اللغة) للثعالبي ، فقد أفرد باباً " هو السادس عشر" لصفة الأمراض والأدواء ، ووزّع المواد على أربعة وعشرين فصلاً نذكر منها :

١ – فصلاً في سياق ما جاء منها على فُعَال .

٢ – فصلاً في ترتيب أحوال العليل .

٣ – فصلاً في تفصيل أوجاع الأعضاء وأدوائها .

ونتساءل قبل أن نورد بعض هذه الفصول : ما الغاية من تأليف هذه المعاجم ، وكيف نستخدمها في حياتنا العلمية ، وهل تغني عنها معاجم الألفاظ ؟

إنّ الغاية التي توخّاها مؤلفو هذه المعاجم هي خدمة الدارسين والباحثين إضافة إلى حفظ التراث اللغوي ورصيد العربية . فكل دارس لمجال من مجالات العلم تعترضه حاجة إلى معرفة دقائق الأسماء والصفات للجسم أو النبات أو للحيوان أو لجانب ماديّ في الطبيعة أو لبعض الغرائز والطبائع إلخ ... وههنا يلجأ إلى تفحُّصِ الدائرة الدلالية أي مجموعة الألفاظ في هذا المجال . فالباحث يرى الأشياء أو يبحث عنها لكنه يفتقد الكلمة الدالّة عليها ،فههنا يلجأ إلى معجم المعاني ، ويقلّب الأبواب المتصلة بنشاطه أو بالقضية المدروسة ليجدَ بغيته من الرموز اللغوية ودلالاتها.

أما في معجم الألفاظ فنحن نفكُّ صعوبة تواجهنا مع كلمة نقرؤها أو نسمعها ولاندرك دلالتها ، أو نبغي معرفة دقيقة لهذه الدلالة . وعلى هذا يتبيّن لنا المنطلق الذي يحدّد الاستفادة من كلٍّ من هذين النوعين : معاجم الألفاظ ، معاجم المعاني .

١ ـ فصل في سياق ما جاء منها على فُعال

أكثر الأدواء والأوجاع في كلام العرب على فُعال : كالصُّداع ، والسُّعال ، والزُّكام ، والبُحَاح ، والقُحَاب[١] ، والخُنان[٢] ، والدُّوار ، والنُّحاز[٣] ، والصِّدام[٤] ، والهُلاَس[٥] ، والسُّلال[٦] ،والهُيام[٧] ، والرُّداع[٨] ، والكُباد ، والخُمار ، والزُّحار[٩] ،والصُّفار[١٠] ، والسُّلاَق[١١] ، والكُزَاز[١٢] ، والفُوَاق[١٣] ، والخُنَاق .

كما أن أكثر أسماء الأدوية على فَعُول ، كالوَجور[١٤] ، واللَّدود[١٥] ، والسَّعوط ، واللعوق ، والسّنون[١٦] ، والبَرُود[١٧] ، والذَّرور[١٨] ، والسَّفوف ، والغَسول ، والنّطول .

---

(١) ـ القحاب : السعال .

(٢) ـ الخنان : داء يأخذ الطير في حلوقها وفي العين ، وزكام للإبل . وزمن الخنان ، كان في عهد المنذر بن ماء السماء ، وماتت الإبل منه .

(٣) ـ النحاز : داء في الرئة تسعل منه الإبل .

(٤) ـ الصدام : داء في رؤوس الدواب (بوزن كتاب ولايضم وإن كان هو القياس).

(٥) ـ الهلاس : السل .

(٦) ـ السلال : قرحة تحدث في الرئة ، إما تعقب ذات الرئة أو ذات الجنب ، أو زكاما ونوازل أو سعالاً طويلاً ، وتلزمها حمى .

(٧) ـ الهيام : كالجنون من العشق .

(٨) ـ سيعرض المؤلف لشرح الرداع بعد قليل

(٩) ـ الزحار : داء للبعير ، وهو أيضاً استطلاق البطن بشدة وتقطيع في البطن يمشي دمها .

(١٠) ـ الصفار : الماء الأصفر يجتمع في البطن .

(١١) ـ السلاق : بثر يخرج على أصل اللسان .

(١٢) ـ الكزاز : الرعدة من البرد .

(١٣) ـ الفواق : شخوص الريح من الصدر .

(١٤) ـ الوجور : الدواء يدخل في الفم .

(١٥) ـ اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم .

(١٦) ـ السنون : ما يستاك به .

(١٧) ـ البرود : كحل تبرد به العين من الحر .

(١٨) ـ الذرور : ما يذر في العين .

٢ - فصل في ترتيب أحوال العليل

عليل ، ثم سقيم ومريض ، ثم وقيذ ، ثم دَنِف ، ثم حَرِضٌ ومُحرَض، وهو الذي لاحيٌّ فيُرْجى ، ولاميت فيُنْسى .

٣ - فصل في تفصيل أوجاع الأعضاء وأدوائها على غير استقصاء

إذا كان الوجع في الرأس ، فهو: صُداع . فإذا كان في شق الرأس ، فهو: شَقِيقة. فإذا كان في العين ،فهو : عائر . فإذا كان في اللسان: فهو : قُلاَع . فإذا كان في الحلق ، فهو : عُذْرَة وَذُبْحَة . فإذا كان في العنق من قَلَق وِساد أو غيره ، فهو : لَبَن، وإجْل . فإذا كان في الكبد ، فهو : كُباد . فإذا كان في البطن ، فهو : قُدَاد .

عن الأصمعي .

فإذا كان في المفاصل واليدين والرجلين ، فهو رَثْيَة . فإذا كان في الجسد كله ، فهو رُدَاع ، ومنه قول الشاعر [١]:

فَوَاحَزَنِي وَعَاوَدَنِي رُدَاعِي وكان فِرَاقُ لُبْنَى كالخِدَاع

فإذا كان في الظهر ، فهو خُزَرَة . فإذا كان في الأضلاع ، فهو شَوْصَة . فإذا كان في المثانة ، فهو حَصاة ، وهي حَجَر يتولد فيها من خِلْط غليظ يَسْتَحْجر .

ملحوظة :

تم إعداد بحث (المعجم) استناداً إلى المراجع التالية ، وننصح لمن يريد الاستزادة والتوسع بالعودة إليها وإلى غيرها ممّا تناول الدرس المعجمي عند العرب :

١ - أحمد عبد الغفور عطار ، مقدمة الصحاح ، الطبعة ٣ ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٤ (الطبعة الاولى في القاهرة عام ١٩٥٦ بعنوان الصحاح ومدارس المعجمات العربية).

---

[١] - البيت لقيس بن ذريح ، كما في الأمالي للقالي .

٢ ـ د . حلمي خليل ، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي،دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧ .
٣ ـ د . رياض زكي قاسم ، المعجم العربي : بحوث في المادة والمنهج والتطبيق ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٧ .
٤ ـ د . عبد السميع أحمد ، المعاجم العربية دراسة تحليلية،مطبعة مخيمر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
٥ ـ د . عدنان الخطيب ، المعجم العربي بين الماضي والحاضر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٧.
٦ ـ مجموعة من المؤلفين ، اللغة العربية لغير المختصين الكتاب الثاني ، منشورات جامعة تشرين ١٩٨٥ .
٧ ـ محمود فاخوري ، مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية ، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، جامعة حلب ـ ١٩٩٦ .
٨ ـ د . محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، دون تاريخ .

للمطالعـــة

يجدر بالطالب خصوصاً وبالمثقف عموماً مطالعة الفصلين الآتيين المتصلين بمبحثـي 'المصطلح العلمي" و"المعجم" اتصالاً وثيقاً ، وهما:

١ - نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث للدكتور محمد هيثم الخياط وهو منشور ضمن :"محاضرات الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربيـــة الأردني، عمَّان ١٤١٤هـــ - ١٩٩٤ م ، ص ٩٣ - ١٢٠ .

٢ - المعجم العربي في ماضيه ، للدكتور عدنان الخطيب ، ضمن كتابـــه:"المعجـــم العربي بين الماضي والحاضر ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربيـــة ، القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، ص ٧ - ٢٠ .

١ـ نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث

للدكتور محمد هيثم الخياط

شاء مجمع اللغة العربية أن أحدثكم حديثاً ينحو نحو منهجية موحدة ، ويعني ذلـــك- أو يوحي به على الأقل-أننا في هذا العصر الذي تنثال فيه الألفاظ الاصطلاحية وتنهمر، بحيث تُوَلّد منها مئات كل يوم،مازلنا نتلمس طريقنا نحو منهجية موحدة . أما متى نجد هـــذه المنهجية ومتى نطبقها،وكيف سيتريث ركب العلم وتيار الحضارة حتى تستقرَّ بنا حيرتنـا على مستقر ، أو ترسو بنا سفينة منهجيتنا على ساحل... فالله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم إن هذا العنوان يعني - أو يوحي على الأقل - بأن المحاضر يزعم ، أن كل مـــا أصدرته مؤتمرات التعريب وملتقياته ومنتدياته ومرابده وأسواقه - وما أكثرهـــا - لم يكن شيئاً مذكوراً ، وأنه لابد لنا ، كما هو شأن هذه الأمة المســـكينة في عصرهـــا الحديث ، من أن نهدم كل ما سبق في كل مرة ، ونستأنف البنيان من الأطلال أو الأنقاض .

على أن في عنوان المحاضرة أمراً آخر يمضُّني ، ولاأستطيع أن أغضَّ الطرف عنـــه . فأنا امرؤ يضيق صدري ولايكاد ينطلق لساني حين استعمل لفظ " المنهج " وما يتفـرع

عنه . وليس مَرَدُّ ذلك - لاسمح الله - إلى أنني أكره المولّد من الكَلِم ، بل لعلي من أشد الناس حماسةً للمولّد وحفاوةً به... ولكن لأن كلمة "المنهج" هذه تصطحب معها في مخيلتي تلك الظلال المؤلمة التي صاحبت مولدها الجديد في مطالع هذا القرن ... هي وتوائمها التي لانزال نلفظ بها حتى اليوم :التنوير والحداثة والجديد والمعاصرة والتحرر وثقافة العصر ، وأمثال هذه الألفاظ التي تعود بي عن غير ما شعور إلى قرنين مَضَيَا ، يوم أجلب نابليون بونابرت بخيله ورجله ، وغزا بلادنا بأساطيله وجحافله ليقضيَ على بوادر نهضتنا الحديثة التي حمل لواءها آنذاك البغدادي صاحب الخزانة ، والزَّبيدي صاحب تاج العروس ، والجَبَرْتي الكبير صاحب المخترعات الميكانيكية والصنائع الحضارية التي تعلمها منه طلاب الإفرنج ، "وذهبوا إلى بلادهم - كما يقول الجبرتي الابن المؤرخ - ونشروا بها العلم من ذلك الوقت وأخرجوه من القوة إلى الفعل واستخرجوا به الصنائع البديعة ".

وقد استطاع نابليون بونابرت أن يحقق ما أراد بكل شراسة ، فكان يأمر عند مطلع كل شمس بقتل خمسة أو ستة من التلامذة النابهين لهؤلاء العلماء الأعلام ، ثم طلب من خليفته كليبر - فيما كتب إليه - أن يجمع خمسمئة أو ستمئة من المماليك أو العرب ومشايخ البلدان ويسفّرهم إلى فرنسا ليحجزوا فيها عاماً أو عامين يشاهدون فيهما عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على لغتها وتقاليدها ، فإذا عادوا إلى مصر كان له منهم حزب يضم إليهم غيرهم . ولما غادر الفرنسيون مصر صاغرين ، حملوا معهم - كما يقول أمين سامي باشا في تقويم النيل - "الأوراقَ والكتب ... ليس التي تخصهم فقط بل كل ما يرونه نافعاً!!".

تعود بي الذاكرة - على الرغم مني - إلى ذلك كله، فأستذكر كيف فرّغ غزاتُنا أولئك هذه الأمة من مجدديها الحقيقيين وجردوها من الأوراق والكتب وكل ما يرونه نافعاً ، ثم أخذوا أناساً من بني جلدتنا فلقنوهم ثقافتهم هم ، وأعادوهم إلينا بما يُراد به القضاء على ما تبقى ، إن كان قد بقي لنا شيء . وكان مما عادوا به كلمةُ "المنهج" هذه .

فمن أجل هذه الصورة التي لاتكاد تفارقني أغَصُّ بهذه الكلمة . ثم من أجل أنها أيضاً من الألفاظ المشتركة . فهي تستعمل أيضاً في مقابل الكلمة الأجنبية Curriculum في الحديث عن المنهج الدراسي ، وإن حاول بعضهم أن يقول المنهاج ، ولكنهم جميعاً يجمعونها على مناهج ، فلا تكاد تخلو وزارة من وزارات التربية أو كلية من الكليات الجامعية من لجنة المناهج .

ويخيل إليّ أن علماء هذه الأمة كانوا يستعملون " علم الأصول" لما نريده اليوم بلفظة الميثودولوجيا . فإذا صح ذلك – وهو صحيح إن شاء الله – فله فائدة جليلة سأعود إليها بعد قليل .

ومهما يكن من أمر . فإن كل هذا الحرج الذي أشعر به ، لايسوّغ لي الخروج على إجماع من المحْدَثين أو شبه إجماع ، في استعمالهم صيغة المصدر الصناعي من كلمة "المنهج" وساتحدث عن " المنهجية" كما يتحدثون ...وأمري إلى الله !.

****

غير أنه قد بقي في العنوان أمرٌ آخر . فقد اطّلعتُ بأخَرَةٍ على مقالة للأخ الفاضل الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر في مجلة اللسان العربي ، قال فيها :"إنه لغريب حقاً أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة مصطلح بدلاً من اصطلاح ، مع العلم أن هذه الكلمة لاتصح لغةً إلا إذا اصطلحنا عليها ! ذلك أن أسلافنا لم يستخدموها ، ولم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها وإنما استخدم العرب بدلاً منها المفردات الآتية : الاصطلاح ،والكلمة ، والمفردة ، والمفتاح ، واللفظ... " ثم ساق لذلك عدداً من الأمثلة وهو مصيبٌ في ذلك باديَ الرأي ، ولكن الأمر يحتاج إلى فضلِ بيان . ونعم ! كانوا كثيراً ما يقولون " الاصطلاحات "لهذه الألفاظ الاصطلاحية ، ونحن نجد هذه اللفظة في اسم أول معجم طبي عربي – بل لعله أول معجم طبي في العالم كله – من تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري المتوفى في آخر القرن الرابع الهجري ، وهو كتاب "التنوير في الاصطلاحات الطبية"، كما نجده في اسم الكتاب الموسوعي العظيم "كشاف اصطلاحات الفنون"للتهانَوي المتوفى بُعَيْد منتصف القرن الثاني عشر الهجري .

ولكن التهانوي نفسه يقول في كتابه هذا :"شمرت عن ساق الجد إلى اقتناء ذخائر العلوم... فلم يتيسر تحصيلها من الأساتذة ، فصرفت شطراً من الزمـــان إلى مطالعـــة مختصراتها الموجودة عندي، فكشفها الله تعالى عليّ ، فاقتبست منها المصطلحـــات أوانَ المطالعة وسطّرتُها على حِدَة في كل باب يليق بها ، على ترتيب حروف التهجّي ، كـي يسهل استخراجها لكل أحد" . ثم يقول " الفن الأول في الألفاظ المصطلحة العربيـــة وقد يذكر فيه بعض الألفاظ غير المصطلحة أيضاً" .

وقبل ذلك بقرون قال القلقشندي (المتوفى سنة إحدى وعشرين وثمانمئة للهجرة) في "صبح الأعشى ": "... هذا والمؤلفون في هذه الصنعة - يعني الكتابة ولاسيما كتابـة الإنشاء - قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف ، وتباينت مواردهم في الجمع والتأليف . ففرقة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدها ، وأخرى جنحـــت إلى ذكـــر المصطلحات وبيان مقاصدها .... على أن معرفة المصطلح هي اللازم المحتَّـــم والمهـــم المقدَّم لعموم الحاجة إليه واقتصار القاصر عليه..." .

ثم استعمل لفظة "المصطلح" في كتابه كثيراً .

ومن كتبنا التي استعملت لفظ " المصطلح": كتاب "التعريف بالمصطلح الشريف" لابن فضل الله العمري"المتوفى في منتصف المئة الثامنة للهجرة".وكتاب"مصطلحا الإشـــارات في القراءات الزوائد الثلاثة عشر المروية عن الثقات"لنور الدين العذري (المتـــوفى في أول المئة التاسعة للهجرة) ، وكتاب " بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية " لمحمد بن يوسف الهروي (في مطلع القرن العاشر الهجري)، وكتـــاب "الشـــذور الذهبيـــة في المصطلحات الطبية " الذي ألفه أساتذة كلية طب قصر العيني بُعَيْد منتصـــف القـــرن الثالث عشر الهجري ، ثم هناك نسخة مخطوطة من كتاب "التنوير في الاصطلاحـــات الطبية " الذي أشرنا إليه ، وُسمت باسم "مصطلحات الطب" .

وابن خلدون (المتوفى في أوائل المئة التاسعة للهجرة [٨٠٨] يجعل الفصل الثاني والأربعين من مقدمته :"في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنـه لا يحصل للمستعربين من العجم "، مع قوله في مكان آخر عن أهل التصوف مثـــلاً :

" ... ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم ، إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة ، فإذا عرض من المعاني ماهو غير متعارف ، اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه ". كما يقول في مكان آخر :"... ويدل أيضاً على أن تعليمَ العلم صناعةُ اختلاف الاصطلاحات فيه، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاحٌ في التعليم يختص به ، شأن الصنائع كلها، فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحداً عند جميعهم".

يتبين لك مما تقدم وهو غير مستقصى ، أن علماء هذه الأمة قد استعملوا "الاصطلاح " و " المصطلح" جميعاً ، كما يتبين كذلك أن" الاصطلاح " من الألفاظ المشتركة لأنها تستعمل للمصدر والاسم جميعاً ، وخيرٌ لنا أن نستعمل لفظة لا اشتراك فيها . ثم إن الكاتب الفاضل قد قال في مقالته :"مع أن هذه الكلمة - أي المصطلح - لاتصح لغةً إلا إذا اصطلحنا عليها " وقد اصطلحنا عليها بالفعل منذ مئات السنين كما رأيت ، ولله الحمد .

يقول المصطفى الشهابي في كتابه القيم " المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ":

" والاصطلاح في اللغة تصالُحُ القوم ، وهو أن يقع الصلح أي السلم بينهم . والاصطلاح أيضاً هو العرف الخاص . وفي مستدرك التاج هو "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص " وهذا المعنى هو الذي يهمنا ذكره . يقال مثلاً :"اصطلح العلماء على رموز الكيمياء "، أي اتفقوا عليها . وهذه الرموز هي مصطلحات أي مصطلح عليها . والمصطلح العلمي هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية".

هذا ما ذكره الأمير الشهابي رحمه الله .ومن قَبْلُ ذكر الجرجاني في تعريفاته أن " الاصطلاح إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما " .

" وقيل : الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى ". " وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد".

ولكني أريد أن أستفيد مما ذكره الشهابي في مطلع حديثه، أن الاصطلاح- لغة - تصالُحُ القوم ، لألفت النظر إلى أن القوم حينما يريدون الاتفاق على وضع اللفظ بإزاء المعنى فإنهم كثيراً ما يختلفون ، وقد يطول الجدل والنقاش بينهم كثيراً ، ثم يصطلحون على لفظ معين ، أي يصلون إلى حل وسط يتفقون عليه . من أجل ذلك كان لابد في وضع المصطلح الموحد من أن يتخلى كل طرف من الأطراف عن بعض عصبيَّته ، وإلا ساد الاختلاف بدل الاصطلاح . وهذه حقيقة أرجو أن نكون على ذُكر منها في حديثنا عن المصطلح الموحد .

ولاتثريبَ علينا بعدُ - إن شاء الله - في استعمال لفظة "المصطلح" للدلالة على ما نحن بصدده بل وفي تفضيلها على لفظة "الاصطلاح" تمييزاً بين الاسم والمصدر .

****

طالت كثيراً هذه التوطئة فمعذرة . ولكني وجدت من الخير أن لاأدع مثل هذه الأمور التي تطرقت إليها دون تحرير ، حتى نسير في حديثنا على بيّنة إن شاء الله .

****

ذكرت قبل قليل أنه قد سبق إلى ظني أن علماء هذه الأمة كانوا يستعملون "علم الأصول" لما نطلق عليه اليوم اسم "المنهجية" فقد نقل التهانوي عن الشيخ شمس الدين في "إرشاد القاصد"قوله :"أصول الفقه علمٌ يتعرَّف منه تقرير مطلب الأحكام الشرعية العملية، وطرق استنباطها ، وموارد حجمها ، واستخراجها بالنظر ". فهذه هي الميثودولوجيا لاتزيد ولاتنقص : تحديد الغاية والمصادر ، وطرق الاستنباط، وموارد الأدلة، وإعمال الفكر، والبحث العلمي ..

وقد خطر ببالي أن أعود إلى (مجلة الأحكام العدلية) فأستأنس بما ورد فيها لهذا الذي غلب على الظن . وكان ما توصلت إليه طريفاً بالغ الطرافة . فقد وجدت بين القواعد المئة التي تبدأ بها المجلة ، قواعد عدة يصلح الاحتجاج بل الالتزام بها في منهجية وضع المصطلح العلمي وتوحيده .

فالمادة الخامسة من مواد المجلة تقول:"الأصل بقاء ماكان على ماكان ". والمادة السادسة تقول : القديم يترك على قِدمه ". وفي هاتين المادتين أصلٌ جليل يحسن أن نأخذ به في مجال المصطلحات فنتركَ المصطلح القديم على قدمه ما كان صالحاً ، ولانعدلَ عنه إلا لمسوّغ واضح . وبذلك نستبعد شطراً صالحاً من مصطلحات أسلافنا من مجال المناقشة . ذلك أنه " ما ثبت بزمان يُحكم ببقائه ، ما لم يقم الدليل على خلافه" ، كما تقول المادة العاشرة من مواد المجلة ، وأن "الاجتهاد لايُنقض بمثله" كما تقول المادة السادسة عشرة ، فلا نغيرُ المصطلح لمجرد شهوة التغيير كما يحدث مع الأسف في كثير من الأحيان .

وبمثل هذه القاعدة التزمت لجنة توحيد المصطلحات الطبية التي أعدّت المعجم الطبي الموحد . فقد كانت اللجنة تعمِد قبل كل شيء إلى تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي ، من بين الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية ، أوالمستعملة في الكتب العلمية القديمة،مفضِّلةً في ذلك الصالح من الأقدم على الصالح مما يليه في القِدَم ، ابتداءً بأطباء العرب الأقدمين في صدر الحضارة العربية الإسلامية كالرازي وابن سينا وعلي بن العباس ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم في مشرق الدولة العربية الإسلامية ومغربها، ثم ما استعمله الأساتذة الترك في عهد الدولة العثمانية إذْ كانت مصطلحاتهم كلها عربية أو تكاد، ثم ما استعمله أساتذة الطب في أبي زعبل ثم قصر العيني زمن محمد علي ، ثم ما استعمله أساتذة الجامعة الأمريكية في بيروت أيام كانت تدّرس الطب بالعربية ، ثم ما استعمله أساتذة الجامعة السورية - جامعة دمشق- في مطالع هذا القرن ، ثم ما أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

****

وأصلٌ آخر نستنبطه من مادتين أخريين من مواد المجلة ، تقول أولاهما وهي الثانية عشرة : "الأصل في الكلام الحقيقة " ، وتقول الثانية وهي الحادية والستون :" إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز".فما استطعنا أن نعثر له على لفظة تمثل الحقيقة أو ما يشتق منها فهي أولى ، وإلا فليس علينا في المجاز حرج .

قال أبو حيّان في الارتشاف :" أما صاحب النهاية وهو أبو المعالي الموصلي ابن الخباز ، فذكر رسماً للحقيقة ، وهو لفظ يستعمل لشيء وضع الواضع مثله لمثله لاعينه لعينه كالأسد للّيث ، ثم قال : وعلامتها سبق الفهم إلى معناها . وقال : المجاز لفظ يُستعمل لشيء بينه وبين الحقيقة اتصال ، وذلك كاتصال "التشبيه" كاستعمال الأسد للشجاع ، واتصال "السبب" كاستعمال السحاب للنبات ، واتصال "البعضية" كاستعمال الحافر لذي الحافر،واتصال"الكلية"كاستعمال العالَم لبعضه،واتصال"العموم" كاستعمال الحجر للياقوت ، واتصال "الخصوص" كاستعمال السيف للسلاح ، واتصال "الإضافة" كاستعمال القرية لأهلها ، واتصال "الاشتمال" كاستعمال الشيء لما هو مشتمل عليه نحو الغائط للعذرة...".

على أننا قبل أن نصل إلى المجاز نحاول أن نستفرغ الحقيقة بالاشتقاق . والاشتقاق - كما يقول الشريف الجرجاني في تعريفاته- نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وترتيباً (لا تركيباً كما ورد في النسخ المطبوعة) ومغايرتهما في الصيغه. و[الاشتقاق] الصغير أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب نحو :ضَرَبَ من الضَرْب ، و[الاشتقاق] الكبير أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب ، نحو: جذب وجبذ ، و[الاشتقاق] الأكبر أن يكون بين اللفظين الترتيب في المخرج نحو: نعق ونهق .

غير أننا حين نذكر الاشتقاق فإن الفكر يتجه بنا على الفور شطر الاشتقاق الصغير ، ولكننا قد نضطر إلى الاشتقاق الكبير أحياناً ، فقد واجهنا في المعجم الطبي الموحد مثلاً كلمة من مستحدثات علم المناعة وغرس الأعضاء ، تعني المجانسة وماهي بمجانسة كاملة ، وهي بالأجنبية Syngenic فاشتققنا لها من "ج ن س" اشتقاقاً أكبر فقلنا مُسَانج . ولكن ذلك يبقى إن وقع في حيز النادر العزيز .

****

أما الأصل الثالث من أصول الاصطلاح ، فنجده في المادة السابعة عشرة من المجلة التي تقول :" المشقة تجلب التيسير"، يعني أن الصعوبة تصير سبباً للتسهيل .والأصل فيها

قوله تعالى:﴿ يريد الله بكم اليُسر ولايريد بكم العُسر﴾ وقول النبي ﷺ:"يسّروا ولاتعسّروا وبشّروا ولا تنفروا ".وما أحرانا أن نهتدي بهذا الهدي الكريم فنتفق على ان نستعمل من الكلام أيسره وأسهله ، ونبتعد عن غريبه ومستصعبه ، وعمّا ينفّر الناس من اعتناق المصطلحات العلمية العربية ويصدّهم عن الإيمان بالتعريب . ورحم الله الجاحظ حين قال :"مارأيت أمثل طريقة من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعّراً حوشياً ، ولاساقطاً سوقياً " وقد ذكر ابن الاثير في " المثل السائر" "أن الكتّاب غربلوا اللغة وانتقوا منها ألفاظاً رائقة استعملوها ".

****

وثمة أصل رابع نستنبطه من مواد المجلة السادسة والثلاثين إلى الثانية والأربعين وهي التالية:"العادة محكّمة "،"استعمال الناس حجة يجب العمل بها"،"لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان "،"الحقيقة تترك بدلالة العادة" ،"إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت"،"العبرة للغالب الشائع لا النادر ".

هذا الأصل المهم هو أن نُعير استعمالَ الناس ما يستحقه من اهتمام . وللناس مسلك عجيب في استحسان الألفاظ أو استقباحها ، وكثيراً ما يحار المرء فيه ولايستطيع أن يعثر له على تعليل .

قد تقبل الناس مثلاً – خاصّتُهم وعامّتُهم – لفظة "الإذاعة "بقبولٍ حسن ، ولم يجدوا حرجاً في استعمالها على أوسع نطاق . ولكنهم توقفوا في استعمال لفظة "المذياع" فلا تكاد تُستعمل – إن استعملت – إلا في أضيق الظروف . والله أعلم كيف كان ذلك .

وقد اقتُرحت لفظة (الحاكي) – وهي لفظة لطيفة خفيفة الدم – لتقابل ما يستعمله الناس باسم"الفوتوغراف "أو " الغراموفون " أو " البيك آب"... ولكنها ماتت ، وعاشت الألفاظ الأعجمية المقابلة لها على اختلافٍ في البلدان والمجتمعات .

وقد استحبّ النـــاس لفظـــة "الفشـــل" وأصـــلُ معناهـــا الضعـــف، علـــى "الإخفاق"و"الخيبة"،فاستعملوها في مثل "الفشل الكلوي"، واشتقوا منها "الإفشـــال " و" الفاشلين" .

والقلب تُغذّيه شرايينُ صغار ، اشتقوا لها بالأعجمية اسماً من Corona وهو التـــاج أو الإكليل ،فألِفَ الناس في مصر "الشريان التاجي"وألِفَ الناس في الشام "الشـــرايين الإكليلية "وأرْهَقَنا ذلك وأمثاله من أمرنا عُسراً في اختيار المصطلح الطبي الموحّد.

وعندما أصاب الزلزال القاهرة قبل عام وبعض عام ،تَضَعْضَعَ بنيان بعض المبـــاني فقررت الحكومة أن تُجري لها عملية "تمكيث" . ولكن الناس جميعاً شاؤوا أن يسـمعوا "التمكيث"على أنه "تنكيس"فلايكاد يمر يوم إلا وتسمع أن العمارة الفلانية بحاجـــة إلى "تنكيس" وهو - كما لايخفى - عكس المراد .

ولو ذهبتُ أعدّد الأمثلة لضاق بي الوقت، ولكنني أرى من الخير أن نتخذ مبـــدأ من مبادئ منهجيتنا في وضع المصطلح العلمي وتوحيده تحكيمَ العادة والعملَ باستعمال الناس على أنه مسوّغ للترجيح إذا صح مصطلحان ، ذلك مع التقيد بالقيدين الأخيرين اللذين وردا في المجلة :"إنما تعتبر العادة إذا اطّردت أو غلبت "و" العبرة للغالب الشـــائع لا النادر ". وقد كان أستاذنا الجليل الدكتور حسني سبح رحمه الله كثيراً مـــا يـــردّد المقولة المعروفة : "الخطأ المشهور خيرٌ من الصواب المهجور".

****

أما الأصل الخامس الذي رأيت من الخير اقتباسَه من مواد المجلة ، فقد وجدتـــه في المواد الحادية والعشرين والثانية والعشرين والثانية والثلاثين . تقول الأولى: "الضرورات تبيح المحظورات"وتقول الثانية :"الضرورات تقدَّر بقدَرها" وتنص الثالثة على أن " الحاجة تُنَزَّل منزلة الضرورة عامةً أو خاصة".

وقد سبق لي قبل خمسة أعوام أن تحدثتُ في هذا المجمع المبارك عمّا أسميتُه "نظريـــة الضرورة العلمية ". وتسمحون لي - مشكورين ، مأجورين إن شاء الله - أن أستذكر أهم ما ذكرته في ذلك الحديث .

قلت إن الضرورة عند سلف هذه الأمة ضرورتان : ضرورةٌ شرعيةٌ وضرورةٌ شعرية .

ولو أنني ألمح إليهما ضرورةً ثالثة هي الضرورة العلمية .

وقلت إن هذه الضرورات الثلاث تتصل فيما أرى بالمثل العليا الثلاثة التي تواطأ عليها الناس : الخيرُ والجمالُ والحقيقة .

فالضرورة الشرعية خروج على القواعد النافذة ... لوجه الخير.

والضرورة الشعرية خروج على القواعد النافذة ... لوجه الجمال .

والضرورة العلمية خروج على القواعد النافذة .... لوجه الحقيقة.

فمن الخير للّذي يكاد يموت جوعاً أن يَطْعَمَ ما حرّمه الله عليه ، فيعودَ الحكم إلى الأصل وهو الإباحة ، سمعاً وطاعة للشارع عز وجل :﴿ فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإن ربك غفور رحيم﴾ .

وفي سبيل الجمال خرجت الجماعة اللغوية كلُّها ، ثم خرج أفرادُها الشعراء على القواعد النافذة في اللغة ، معبّرين عن هذا الجمال تارة بما يستخفّون في مقابل ما يستثقلون ، أو بمحاكاة الصيغة،أو بالإتباع أو بغير ذلك من العبارات التي لاتخرج عن مفهوم الجمال : جمال العبارة .

فلماذا لاتخرج الجماعة الغوية ،كلُّها أو أفرادُها العلماء ، على بعض القواعد النافذة في اللغة في سبيل الحقيقة أو قُلْ : الدقة العلمية؟ وقد كان ذلك حقاً ، وضربتُ له – في محاضرتي تلك – الأمثال .

فثمّة "أصلٌ" كان عليه بنيان هذه اللغة الشريفة ، وحاول علماء اللغة منذ عهد الخليل أن يتصوروا كيف كان، فقاموا بعملية استيفاء راجع ، توصّلوا منها إلى صرح مكتمل ، لا ترى فيه عِوَجاً ولا أمْتاً ، ولا تحس فيه شذوذاً ولا خللاً .

" فالأصل في الأسماء مثلاً – كما تبين لهم – أن تُنَوّن وأن تدخلها حركة الجر والأصل في الأفعال أن تُبنى". و"الأفعالُ كلُّها حقُّها أن تكون مسكّنة الأواخر ، والأسماء كلها حقها أن تكون مُعْرَبة".ولكن سَرعان ما تبين لهم أن ثمّة مترعاً دائماً إلى الخروج على الأصل، والخروج عن القياس على الأصل . وتلك عملية تزاولها الجماعة

ويزاولها الأفراد وتتجلى فيها حيوية اللغة وحَرَاكُها . فإذا مارستها العرب جماعةً كانت مقبولة على الإطلاق وحلّت محلّ الأصل . وإذا مارسها الأفراد كانت مقبولة في بعض الأحوال وأطلق عليها اسم الضرورة . وإنما يحدث ذلك بآلية يطلق عليها الخليل وسيبويه اسم "التشبيه ". واستمع - إن شئت - إلى قول سيبويه :"وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع أحواله ، وسترى ذلك في كلامهم كثيراً "؛ وقوله: "يشبهون الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله ولاقريباً منه وقد ذكرنا ذلك فيما مضى وسنذكره أيضاً إن شاء الله ؛ وقوله: " هذا بابُ ما أجري مُجرى "ليس" في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصيرُ إلى أصله ، وذلك الحرف" ما ". تقول :[ماعبدُ الله أخاك] و[مازيدٌ منطلقاً] وأما بنو تميم فيُجرونها مُجرى "أما" و"هل" وهو القياس ، لأنها ليست بفعل ، وليس "ما" كـ "ليس" ولا يكون فيها إضمار . وأما أهل الحجاز فيشبهونها بـ "ليس" إذ كان معناها كمعناها.

فإذا مارس الأفراد ما مَارَسَتْهُ الجماعة ، أطلقوا على ذلك اسم الضرورة ، وهي نوع مخصوص من الظاهرة لأنه يتجلى في اتجاهين اثنين : الاتجاه الأول هو الخروج على الأصل اقتداء بما فعلته الجماعة اللغوية في بعض الأحوال ، والاتجاه الثاني هو العودة إلى الأصل ببعض ما أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله .

يدلنا على الاتجاه الأول بعضُ ما قال سيبويه :"اعلم أنه يجوز في الشعر ما لايجوز في الكلام مِنْ صَرْف ما لاينصرف : يشبّهونه بما ينصرف من الأسماء ... وحذف ما لايُحذَف :يشبّهونه بما قد حُذِف واستعمل محذوفاً .... وربما مدّوا مثل مساجد ومنابر .... شبّهوه بما جُمِعَ على غير واحده في الكلام... ومن العرب من يثقّل الكلمة إذا وقف عليها ولايثقّلها في الوصل ، فإذا كان في الشعر فهم يُجرونه في الوصل على حاله في الوقف ..." إلى أن يقول في شبه قاعدة :"وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً ".

أما الاتجاه الثاني في مسيرة الضرورة الشعرية فهو اتجاه معاكس لعملية الخروج الجماعية على الأصل : هو ردٌّ إلى الأصل أو إجراء على الأصل ، يصدر عمّا أودعه الله

سبحانه في سليقة الشاعر من تراث الجماعة اللغوية ، فيجعله يعود إلى الأصل متهدياً بهدي هذه السليقة . فمن كلام الخليل فيما يرويه سيبويه :"كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجروه على الأصل "ومن كلام سيبويه : "واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى ما يجتمع أهل الحجاز وغيرهم على إدغامه أجروه على الأصل.... وهذا في الشعر كثير".

والحق أن ذلك ليس مقصوراً على الشعر ، بل إنك لتراه كذلك في القراءات وفي الأمثال ، وتراه في كل مناسبة تستلزم الدقة العلمية في التعبير . وفي ذلك يقول البغدادي في الخزانة :

" قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدةٌ يلزم فيها ضرورة ، إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال... ولاشك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة ، لأن اعتناءهم بالمعاني أشد من اعتنائهم بالألفاظ . وإذا ظهر لنا في موضعٍ أن ما لاضرورة فيه يصلح هنالك ، فمن أين يُعلم أنه مطابق لمقتضى الحال؟".

من أجل ذلك دعوتُ إلى الاعتداد بهذين الاتجاهين في ركوب الضرورة والاقتداء بهما في سبيل الحقيقة والدقة العلمية ، وإن كنت أفضِّل أن تقوم الجماعة اللغوية العلمية بذلك - وهي لجان التوحيد والمجامع واتحاد المجامع - فتستمدَّ الألفاظ المولّدة على الضرورة من السلطان الجماعي ، قوةً كقوة الخارج على الأصل فيما أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله حتى أصبح أرسخ من الأصل .

****

بعد هذا الاستعراض الموجز لهذه القواعد العامة الخمس ، وهي :أولاً : تركُ القديم على قدمه ما كان صالحاً وعدمُ العدول عنه إلا لمسوّغ واضح،وثانياً : استفراغ الحقيقة بالاشتقاق بأنواعه وإلا فاللجوء إلى المجاز ، وثالثاً : الحرص على المصطلحات السهلة الميسّرة المقبولة والبُعد قدرَ الإمكان عن الألفاظ المتوعّرة ، ورابعاً : اعتبارُ استعمال الناس حجةً يجب العمل بها والبحث عن بديل مناسب لأي مصطلح يرفضه الجمهور ، وخامساً : إباحةُ المحظور في سبيل الضرورة العلمية وتنزيل الحاجة منزلة الضرورة

.... أقول بعد هذه القواعد العامة وقبل الحديث عن مقدمات المنهجية وتفاصيلـــها ، أسمح لنفسي أن أثير قضيتين اثنتين ذواتَيْ شأن كبير ، وقد ثار حولهما كثير من النقاش.

القضية الأولى أن كثيراً من إخواننا الذين يريدون أن يقنّنوا للمصطلحات إن صح التعبير ، يرغبون في وضع قوالب جامدة لايباح الخروج عليها أبداً ، ويعدّون الاستمساك بالقواعد التي يُتّفق عليها والالتزام الصارم بها أمراً لابُدّ منـــه إذا أريـد لنـا توليـد المصطلحات وفق منهج علمي . وما أظن أحداً يعارض هذا الذي يقولون إذا أضيـف له قيدٌ صغير وهو :"ما كان ذلك ممكناً". أما إذا لم يُضَفْ هذا القيد فسوف نحاول ضرباً من المحال ، ونخرج على الناس بعديد من المصطلحات العجيبة التي لاتصلح للاستعمال .

ولأضرب على ذلك مثلاً من مصطلح الطب . فقد اتفقنا في لجنة المعجم الطـبي الموحّد على أن نتخذ صيغة (فُعَال) التي أقرّت المجامع قياسيّتها للدلالة على المـرض ، فنجعلها لمقابلة الألفاظ الأعجمية المنتهية باللاحقة Osis بالإنكليزية أو Ose بالفرنسية . وقد ساعدتنا هذه الصيغة كثيراً ، مشتقين من أسماء الأعضاء ومن غيرها علـى حـد سواء ؛ فاشتققنا الكُلاء – من الكلية – مقابل nephrosis ، والحُماض – من الحمـض – مقابل acidosis والزُراق – من الزرقة–مقابل cyanosis،وهكذا في عشرات من الكَلـم . ولكننا حين أردنا أن نشتق الصيغة نفسها من اللون الأخضر في مقابل chlorosis أو الأحمر مقابل enthrosis وجدنا أنفسنا أمام لفظة "خُضار" وهي مشهورة في الاستعمال لتلـك الثمرات الخضراوات ولايمكن أن يخطر بالبال غيرها، ثم أمام اللفظة الأخرى – الحُمـلر – التي لايتبادر إلى الذهن منها إلا ذلك الحيوان الأعجم الصابر أياً ما كـان السـياق! فكان لابد من أن نعدل عنهما إلى الاخضرار والاحمرار . كما عَدَلْنا عن هذه الصيغـة في ألفاظ أخرى ، إذ كيف نميّز "السُّواد"من " السَّواد " و"البُيَاض " من "البَيَاض"؟ نعم قد نتصرف في حرف العلة فنقول السُيَاد والبُواض – وهما كلمتان غريبتان – ولكـن كيف نميز"العُظام" داءً و"العِظام" جمع العظم أو "الدُماغ"داءً و"الدِماغ" العضو أو هـل نعني "بالنُخاع" داءً أو عضواً ؟ وكيـف نولّـد فُعـالاً مـن "الغضـروف"... ثم إن "للعُضَال"معنى معروفاً ولو أننا استبحنا استعماله استعانة بالسياق وهكذا . نعم! قـد

تُحَلّ المشكلة جزئياً إذا كانت الكلمات مشكولة ، ولكن أنّى لنا ذلك .وإذا تكفّلت الحواسيب أو الكواتيب word processors فكيف بمن يَستَمْلون ويَخُطّون بأيمانهم وهم الأصل وهم الكثرة الغالبة ؟

ثم إذا التزمنا بترجمة حرفية للكلمة الأجنبية ، فهل سنترجم تلك الكلمات التي بُنِيَتْ في ما مضى على حديثِ خُرافة أو مفهوم خاطيء ؟ هل سنقول الريح الأصفر في مقابل cholera والتأثير (نعني تأثير الأجرام) في مقابل influenzaوالهواء الوخيم في مقابل malaria ؟.

ثم إننا لابد من الصفر ، ولكننا نبدأ وأمامنا صرح شامخ من المصطلحات التي وضعها الأسلاف ، فهل سنغيّر كثيراً مما وضعوه ليتّسق مع قواعدنا الجديدة ؟ وهل يقبل الناس ذلك ؟

وقد يكون من الأفضل أن يكون المصطلح كلمة واحدة (مصطلح بسيط كما يقولون) لتسهيل النسبة إليه وجمعه وما إلى ذلك ، فنقول في الطب مثلاً "المُقلة"بدل"كرة العين" ونقول " النخاع" بدل " الحبل الشوكي"... ولكن هل يتأتى ذلك دائماً ؟ وكيف نصوغ مصطلحاً من لفظة واحدة " للفص الأمامي من الغدة النخامية"مثلاً ؟

وما هي المصطلحات المبتذلة التي يدعو بعضهم إلى اجتنابها ؟ قالوا : " هي التي أفقدها الشيوع دقتها العلمية"...فمتى كان الشيوع مُفْقِداً للدقة العلمية ؟ وهل كلما شاعت كلمة استبدلنا بها كلمة مهجورة ؟ وما هي مقاييس هذا الابتذال الذي يزعمون ؟

وقد عاب علينا بعض أصحابنا أننا نستعمل التذكير أحياناً والتأنيث أحياناً في كلمات تكاد تكون مترادفة فنقول "المتقبّل"مقابل acceptor ولكننا نقول "المستقبلة" مقابل receptor . والواقع أننا لو قلنا " المستقبِل"لقرأها الناس "المستقبَل" فهذا أول ما يتبادر إلى الذهن ، ونحن لانريد أن نُعْنِتَ الناس بكلمات يحارون في لفظها أولَ وهلة ، بل نريد لهم قراءة سهلة سَلِسة ميسورة.

كما أن من علماء المصطلحية من يبيح لغيرنا أن ينقل الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى مجازي لشبهةِ صلة ، ولايبيح ذلك لنا . فقد نقل الأطباء الأعاجم كلمة

lumen ومعناها الضوء لتدل على الفتحة التي يدخل منها الضوء ، أي على أيّ نافذة أو كوّة ، ولاسيّما إن كانت مستديرة ثم استعملت لتدل على جوف الأنبوب ، أو العضو الذي يشبه الأنبوب ، لأنه إن كان مفتوح الطرفين يبقى مضيئاً في حين يبقى ما يحيط به مظلماً . فلما قلنا "لُمعة" بالعربية ونقلناها للدلالة على المعنى الآخر ، عِيبَ علينا ذلك ، مع أن للّمعة معنى آخر يلمح إلى ما نريد وهو الموضع الذي لايصيبه الماء في الوضوء أو الغسل من الجسد .

رأيي في هذه القضية الأولى ، إذن ، أن نضع من الضوابط ما نراه محققاً صوغَ المصطلحات على أفضل وجه وأجوده ، وبما يضمن الدقة العلمية إلى أبعد مدى ، ولكن أن يكون لدينا مع ذلك من المرونة ما يتلاءم مع الحالات الاستثنائية ، ويضمن " "مقبولية" اللفظ إلى جانب دقته العلمية .

****

أما القضية الثانية التي أريد الخوض فيها فهي قضية إضافة أحرف جديدة على حروف الهجاء العربية لمقابلة بعض الأحرف الأعجمية .

وقد كان من سوالف الأقضية أنني ارتكبت هذا الخطأ وغَلَوْتُ فيه ، ثم تبين لي خطئي فرجعت عنه ، راجياً أن أكون من الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا إن شاء الله .

فالأمم الأخرى لا تخترع حروفاً جديدة لرسم ما تقترضه من لغات أخرى ، وإنما تكتب الحرف بأقرب حرف إليه من لغتها وتلفظه كذلك . فالإغريقية مثلاً تنقل الدال "ذلتا" والباء "فيتا" ولا تبتكَر أي حروف جديدة . وقل مثل ذلك في سائر اللغات . فلماذا يراد للعربية وحدها أن تتفرد بهذا الشذوذ ، ولماذا يراد قسر اللسان العربي على ارتضاخ كل لُكنة أعجمية لا مثال لها في حروف العرب ، وتسجيل هذه الغرائب - كما يقول الشيخ أحمد شاكر - برموز اصطلاحية تدخل على الرسم العربي تزيّداً في الحروف وتكثراً . حتى إذا ما تمّ هذا الأمر ، وجدنا اللغة العربية في رسمها ، وكتابتها ونطقها ولهجاتها مجموعةً غريبة متنافرة من اللهجات الأعجمية والرسوم الرمزية ، ووجدنا ألسنة أبنائنا لاتقيم حرفاً من العربية على ما نطق به العرب .

ونحن لم نجد من أسلافنا من ارتكب ذلك أو فكّر به أو دعا إليه ، اللهم إلا ابن خَلدون إذ قال في "المقدّمة":

"ثم إن أهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروف مكتوبة ، متميّزة بأشخاصها ، كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء إلى آخر الثمانية والعشرين . وإذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مُهمَلاً عن الدلالة الكتابية مُغْفَلاً عن البيان. وربّما يرسمه بعض الكتّاب بشكل الحرف الذي يكتنفه من لغتنا قبله أو بعده ، وليس بكافٍ في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله . ولما كان كتابنا مشتملاً على أخبار البربر وبعض العجم ، وكانت تعرض لنا في أسمائهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا إلى بيانه و لم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه ،لأنه عندنا غيرُ واف بالدلالة عليه، فاصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدلُّ على الحرفين اللذين يكتنفانه ، ليتوسط القارئ بالنطق بين مخرجَيْ ذَيْنك الحرفين فتحصُلَ تأديتُه. وإنما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الإشمام كالصراط في قراءة خَلَف ، فإن النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الطاد والزاي ، فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين . فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل "بَلكين" فأضعها كافاً وأنقطها بنقطة الجيم واحدةً من أسفل ، أو بنقطة القاف واحدةً من فوقُ أو اثنتين ، فدل ذلك على أنه متوسط بين الكاف والجيم أو القاف . وهذا الحرف أكثرُ مايجيء في لغة البربر . وما جاء من غيره فعلى هذا القياس : أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معاً ، ليعلم القارئ أنه متوسط فينطق به كذلك ، فنكون قد دللنا عليه . ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكنّا قد صرفناه من مخرجه إلى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيّرنا لغة القوم...".

هذا هو الصوت العربي القديم الوحيد في ما أعلم ، الذي دعا إلى اختراع حروف جديدة . ولكننا لانجد طريقته التي دعا إليها مطبقةً حتى في نُسَخ كتابه ، ولن يتاح لها التطبيق - في نظري - تطبيقاً عاماً في المراقن أو الآلات الكاتبة والمطابع على اختلافها وحتى الخط العادي . أضف إلى ذلك أنه لم يُتَّفَقْ بعدُ على أمثال هذه الحروف ولو كانت قليلة اللهم إلا الباء الفارسية التي بين الباء والفاء ، إذ يفهمها الناس منقوطة بثلاث من أسفل ، ولكن قلّ من الناس من ينطقها كما ينطق بها الأعاجم ، حتى أولئك الذين يتكلمون الإنكليزية أو الفرنسية ينطقون "الباء" باء في الكلام الأعجمي نفسه ، أما الحرف الذي يقابل حرف (V) الأعجمي فيرسمه بعض المشارقة فاء فوقها ثلاث نقط ، ولكن إخواننا المغاربة يستعملون هذه الفاء المنقوطة بثلاث من فوق للدلالة على الحرف الذي يقابل حرف(G) الأعجمي ، وهو الذي يستعمل له إخواننا القاهريون الجيم غير المعطشة ويرى بعضهم أن يستعمل له الكاف الفارسية التي لها خطّان من فوق .

ثم إننا في استعمالنا الشائع لانفعل ذلك

فنحن نلفظ كثيراً من أسماء البلدان والمدن مثلاً على منهاج العرب في استعرابها لا كما يلفظها أهلها . فنقول مثلاً باريس أو باريز لا "باغي" ، ونقول انكلترة لا "إنجلاند"، ونقول ألمانيا لا "دويتشلاند"، ونقول النمسا لا "أوستيرّايج" ، ونقول موسكو لا "موسكفا" وبراغ لا "براها" ، ولاهاي لا"دِناخ" ، والسويد والنروج لا "سفيريغه" و" نورغه "وبكين لا" بيجينغ "، والأرجنتين لا " أرخنتينا" ، والمكسيك لا "ميخيكو" واليونان لا "إيلاس "، وهكذا...

****

أسمح لنفسي بعد ما تقدم أن أنتقل إلى "المنهجية الموحدة" على وجه الخصوص . ويخيل إلي أنني أستطيع أن أتحدث عن أمرين اثنين : مقدمات المنهجية والمنهجية بالذات .

أما مقدمات المنهجية فهي دلائل إرشادية ينبغي إعدادها خيرَ إعداد ، ووضعها في متناول كل من يريد مزاولة وضع المصطلح ، لتكون دليلاً هادياً له في هذا السبيل .

ولابد من أن تضطلع بإعدادها سلطة لغوية جماعية كاتحاد المجامع أو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتكليف من اتحاد المجامع .

وأهم هذه الدلائل الإرشادية في نظري ما يلي :

أولاً : قائمة بالمبادئ التي يُسترشَد بها بشكل عام .وقد أقتَرِح لها مثل القائمة التالية:

١ - يقول أحمد بن فارس في "الصاحبي" : "أجمع أهل اللغة إلا من شذَّ عنهم ، أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعضَ الكلام من بعض" .

٢ - يقول أبو عثمان المازني :"ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب".

٣ - يقول ابن جني في " الخصائص" في فصل عنوانه "قضية اختلاف اللغات وكلها حجة":" فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه" . وينقل السيوطي في الاقتراح قول أبي حيان في شرح التسهيل: " كلُّ ما كان لغةً لقبيلة قيس عليه ".

٤ - يقول السيوطي في " الأشباه والنظائر" : " علة الضرورة التشبيه لشيء أو الرد إلى الأصل".

٥ - يقول المبرد في " المقتضب":" الضرورة تردّ الأشياء إلى أصولها" وهو قد أمعن في ذلك حتى أجاز في الضرورة الرجوع إلى الأصل مطلقاً وإن لم يرد به سماع . بل بلغ بذلك إلى أن يقول :"قد يجيء في الباب الحرف والحرفان على أصولهما وإن كان الاستعمال على غير ذلك ، ليدل على أصل الباب".

٦ - يقول ابن جني في "الخصائص" : "اعلم أن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما يبيحه القياس وإن لم يرد به سماع... فإنه إذا أدى القياس إلى شيء ما ، ثم نطقت العرب بخلافه ، فإن ما أدى إليه القياس ينبغي أن يصرفَ على أنه لشاعر مولد أو لساجع أو لضرورة ... هذا ما ذهب إليه النحويون".

٧ - يقول ابن سيده :" قد يؤثرون المحاكاة والمناسبة بين الألفاظ تاركين لطريق القياس .... إلى أن يقول :فإذا كانوا قد يفعلون مثل ذلك محتشمين من كَسْر القياس ، فأن يفعلوه فيما لايكسر القياس أسْوَغ".

٨ - يقول ابن السِّيد البطليوسي في "الاقتضاب":"المنسوب يرد خارجاً عن القياس كثيراً ". وذلك - كما يقول ابن منظور في "اللسان"- :"للفرق الذي يحافظون عليه كثيراً ويعتادونه في مثل هذا". ويرى ابن السِّيد "أن العرب ربما حاكت المعنى باللفظ الذي هو عبارة عنه في بعض المواضع..." إلى أن يقول : " فزادوا في الألفاظ على ما كان ينبغي أن تكون عليه، كما زادت المعاني الواقعة على نظائرها ".

٩ - يقول ابن جني :"من التدريج في اللغة قولهم ديمة وديمَ واستمرار القلب في العين إلى الكسرة قبلها، ثم تجاوزوا ذلك لما كَثر وشاع إلى أن قالوا :دوّمت السماء وديّمت . فأما "دوّمت"فعلى القياس ، وأما "ديّمت" فلاستمرار القلب في ديمة وديَم".

١٠ - ينقل البغدادي في "الخزانة" ما ذكره البدر الدماميني في شرح التسهيل قوله: "وتدوين الأحاديث - يعني أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام - والأخبار بل وكثير من المرويَّات وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية ، حيث كان كلام أولئك المبدّلين - على تقدير تبديلهم - يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ، ثم دُوّن ذلك المبدَّل - على تقدير التبديل - ومُنع من تغييره ونقله بالمعنى - كما قال ابن الصلاح - فبقي حجة في بابه".

١١- يقول ابن جني في " المحتسب" :"متى كان فعل من الأفعال في معنى آخر ، فكثيراً مايُجرى أحدهما مُجرى صاحبه ، فيُعدل في الاستعمال به إليه، ويُحتذى في تصرفه حذوَ صاحبه ، وإن كان طريق الاستعمال والعرف ضد مأخذه!" ويقول ابن هشام في " المغني" : وقد يُشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه، ويسمّون ذلك تضميناً ". وقد قال جماعة من البصريين بقياسية التضمين على أنه ضرب من ضروب المجاز ، والمجاز قياس ، وإذا كان التوسع في الفعل كان التضمين من قبيل المجاز المرسل .

١٢- يقول أبو هلال العسكري في "التلخيص" :"والكلمة الأعجمية إذا عُرِّبت فهي عربية ! لأن العربيَّ إذا تكلم بها معرَّبة لم يُقَلْ إنه يتكلم بالعجمية ".

١٣ - يقول المصطفى الشهابي في كتابه عن " المصطلحات العلمية": "لاضير في التعريب كلما مست الحاجة إليه ، وكلما تعذّر العثور على كلمة عربية تقابل الكلمة الأجنبية ، أو تعذّر إيجاد كلمة عربية تفيد معناها بوسائل الاشتقاق المعروفة "... وأنا أضيف إلى ماقال :"... أو حين تكون الكلمة العربية المقترحة أشدّ عجمةً من الكلمة الدخيلة ، أو تكون اللفظة مما اشتهر وشاع استعماله ، أو يكون اللفظ من الألفاظ التي اكتسبت صفة العالمية بدخوله كما هو في كل لغات العالم أو جُلِّها ".

١٤ - يقول ابن السِّيد في "الاقتضاب":ورأيت ابن جني قد قال في بعض كلامه : الوجه عندي أن تكسر الشين من شطرنج ليكون مثال جِرْدَحْل . وهذا لا وجه له ، وإنما كان يجب ما قاله هنا ، لو كانت العرب تصرف كل ما تعربه من الألفاظ العجمية إلى أمثلة كلامها . وإذا وجدنا في ما عربوه أشياء كثيرة مخالفة لأوزان كلامهم فلا وجه لهذا الذي ذكره ". على أن هذا لا يعني الترحيب بالإكثار من هذه الكلمات التي لاتواكب أمثلة كلام العرب ، بل العكس هو الصحيح ، لأن نقلها بهذه الأوزان الناشزة يجعل من العسير بل المتعذر جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها .

١٥ - يقول الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر في مقدمة كتاب " المعرب" للجواليقي :"وأكثر الأعلام التي نقل العرب وأوثقها نقلاً ما جاء في القرآن الكريم من أسماء الأنبياء وغيرهم . فلو شئنا أن نُخرج منها معنى واحداً تشترك كلها فيه بالاستقصاء التام والاستيعاب الكامل ، وجدنا فيها معنى لا يخرج عنه اسم منها وهو أن الأعلام الأجنبية تُنقل إلى العربية مغيّرةً في الحروف والأوزان إلى حروف العرب وحدها ، وإلى أوزان كَلِمهم أو ما يقاربها . وأنها لاتُنقل أبداً كما ينطقها أهلها".

****

ثانيـــاً : دليل بالقواعد المتعلقة بقياسية عدد من الصيغ تسهيلاً للنســـج علـى منوالها ، وإن لم يَعْنِ ذلك الالتزام الصارم بها . وقد سبق لمجمع اللغـــة العربية بالقاهرة أن أصدر تباعاً عدداً من أمثال هذه الصيغ ، مثل صيغـة "فُعال" و "فَعَل"للمرض، و "فِعالة " للحرفة أو المهنة ، وصيغ "مِفْعَل" و "مِفْعال"ثم "فَعّالة" ثم "فِعال"و "فاعلة" و"فاعول" لاسم الآلة ، وصيغـة "فعّال"للدلالة على الاحتراف وملازمة الشيء وقياسية المصادر الصناعية ، وجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وجواز استعمال "لا"مركبة مـــع الاسم المفرد إذا وافق هذا الاستعمال الذوق و لم ينفر منـــه الســـمع ، وجواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه ، وقياسية التعدية بـــالهمزة ، وقياسية المصدر الذي على وزن "تفعال" للدلالة على الكثرة والمبالغـــة، و"فعّل" المضعّف للتكثير والمبالغة...وغيرها كثير . ولكن الحاجة تقضي الآن بجمع هذه القرارات في دليل واحد ، يشتمل أيضـــاً في آخـــره علـــى البحوث التي كتبها عدد من العلماء الأجلاّء تأييداً لهذه القرارات .

ثالثـــاً : دليل بالأحوال التي يجوز فيها الخروج على مألوف اللغة للضرورة العلميـــة . فنُجيز مثلاً كالبصريين صرف ما لاينصرف ونجيز مع الكوفيين تـــرك صرف ما ينصرف ؛ ونجيز مع البصريين قصر الممدود لأن الأصل هـــو القصر فالرجوع إلى الأصل مقبول ، ونجيز مع الكوفيين مدّ المقصـــور لأنه عندهم من باب إشباع الحركات في الضرورة . ونقتدي بـــالذين صغّروا "شيخاً" على "شُوَيْخ" فنجيز"البُوَيضة"تصغيراً للبيضة كما هـــو شائع . ونأخذ بما ورد في حديث شريف في تفسير قوله تعالى:﴿ وعلـــم آدم الأسماء كلها﴾ :علّمه حتى القصعة والقُصَيْعة والفَسْوة والفُسَـــيْوة ، فنقول"الكُلَيْوة" تصغيراً للكلوة لأن "الكُلَيَّة" لاتُقرأ إلا"كُلْية" أو "كُلّيـة" . وهكذا .... وقد أحسن مجمع القاهرة صنعاً حين أقر صيغة "تَمَفْعَل"مثلاً

بتوهم أصالة الميم فهي تسهّل صَوْغَ ألفاظ من مثل تمحـــور وتمركـز وتمفصل .... الخ . وحين أجاز لحوق التاء بالأسماء على أنها فيها للدلالة على الوحدة أو التأكيد ، كقولنا : اللوحة والكيسة والنجمة والجيبـــة وما إلى ذلك .

وينبغي أن ينشر هذا الدليل أيضاً على نطاق واسع ، وأن يتم تحديثـــه باستمرار.

رابعـــاً : قائمة طويلة بالسوابق واللواحق ، يراعى قَـــدْرَ الإمكـــان أن تكـــون مستوعبة ، ويوضع بين قوسين اسم الحقل الدلالي الذي تعود إليه كـــل سابقة أو لاحقة ولاسيما إن كان ثمة اشتراك في اللفظ واختـــلاف في المعنى ويتم تحديث هذه القائمة باستمرار .

خامســاً : كتيب يشتمل على القوائم الدلالية في كل فرع من فروع العلم تجنبـــاً لاستعمال لفظة سبق استعمالها في نفس الحقل الدلالي ، وتيسيراً علـــى المتخصصين في كل علم من العلوم على أن يتم تحديث هـــذه القوائـــم باستمرار .

سادســاً : كتيب أو كتيبات تجرّد المصطلحات الموجودة في كتب التراث العلمـــي ، مثلما فعل ابن الحشاء قديماً في تجريد مصطلحات كتاب المنصـــوري في الطب للرازي ، ومثلما صنعت السيدة وفاء تقي الدين حديثاً في تجريـد مصطلحات كتاب القانون لابن سينا . فليس يخفى أن المعاجم وحدهـا لاتشتمل على كل كلام العرب ، ومن قبلُ قال أبو عمرو بن العلاء :"ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلُّه"... ثم إن الفتوحات الإســـلامية لم تمتد إلى أمريكا ولا إلى أقاصي الصـــين واليابـــان ولا إلى كثـــير مـــن الأصقاع الشمالية والجنوبية من الكرة الأرضية . فخلت المعاجم مـــن ألوف مؤلفة من أسماء الأحياء . كما أن هذه المعاجم تخلو مـــن عـــدد لايستهان به من الألفاظ الاصطلاحية المولّدة في أيام العباســـيين ومَـــنْ

بعدهم .وسيكون من الخير الكبير جمع هذه المصطلحات الشـــوارد في كتاب مطبوع .

سـابعاً : قائمة بالرموز والمختصرات وكيفية نقل المختصرات الأجنبية إلى اللغـة العربية .

****

هذه - في نظري - أهم مقدّمات المنهجية التي ينبغي إعدادها تيســيراً لواضعـي المصطلح وتسديداً لعملهم . وليس يعني ذلك بالطبع أن ننتظر إنجاز هـذه المقدّمـات ولكن من الخير أن نعمل على إعدادها بأسرع ما يمكن .

أما المنهجية على وجه الخصوص ، فإنني أزعم أن ما جرت عليـه لجنـة إعـداد المعجم الطبي الموحد ، يصلح نواة أساسية لها . وفي ما يلي أهم بنود هذه المنهجية :

١- تُستعمل لفظة عربية واحدة مقابلَ التعبير الأجنبي ، ولا تُستعمل المترادفـات إلا في ما نَدر وعند الضرورة وبذلك يتحقق توحيد المصطلحات . وحـين توجَـد بعض الألفاظ الشائعة في بعض البلدان العربية دون بعض ، وتفضَّـل عليـها مصطلحات أخرى ، يُكتب المصطلح المفضول بين قوسين بعـد المصطلـح المفضَّل ، وبأحرف أصغر حجماً ، وذلك تسهيلاً لائتلاف المصطلح المَفضَّـل من جهة ، مع الإيحاء بضرورة العدول عن المصطلح المفضول في الوقت نفسه .

٢- إذا وُجدت عدة مترادفات أجنبية للمفهوم الواحد لأسباب تاريخيـة يُـترجَم أصلحها لتأدية المعنى ، ويوضع في مقابلها جميعـاً ، مـع الإشـارة بجـانب المترادفات الأخرى إلى التعبير الذي اتفق على ترجمته ، بوضعه بعـد علامـة المساواة (=) بين قوسين .

٣ - إذا كان للمصطلح الأعجمي أكثر من دلالة واحدة يوضع مصطلـح عـربي مقابل كل دلالة ، وترقم هذه المصطلحات إظهاراً لتمايزها ، ويستحسن بيـان الحقل الدلالي الذي ينتمي إليه المصطلح بين قوسين.

٤ – ينبغي درس المصطلح الأجنبي دراسة وافية والتعرف على مدلوله العلمي ومفهومه الدقيق ومعناه الاصطلاحي الخاص المستعمل في حقل الاختصاص قبل الإقدام على وضع مقابله العربي . ولايُنصح بترجمة المصطلح ترجمة حرفية ، أو استعمال مرادفاته الموضوعة لدلالات خاصة في حقول اختصاصات علمية أخرى .

٥ – لايجوز اعتماد لغة أجنبية واحدة – مهما كان لها من السيادة – مصدراً وحيداً للمصطلحات الأجنبية ، وإنما يُترجَم اللفظ الأجنبي الذي هو أفضل في تأدية المعنى ، فيُترجم اللفظ الإنكليزي أحياناً والفرنسي أحياناً أو غيرهما من ألفاظ اللغات الأخرى ، بحيث يكون الهدفُ دائماً دقةَ المعنى ووضوحَه .

٦ – تستعمل الألفاظ العربية المتداوَلْة أو التي سبق أن استعملها علماء العرب الأقدمون ، إذا كانت تفي بالغرض العلمي ، وإلا يُجتَهَد في وضع لفظ جديد مناسب .وتؤخذ بنظر الاعتبار المصطلحات التي وضعتها المجامع ، واللجان المتخصصة ، والعلماء.

٧ – يُكتفى بوجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

٨ – يُبتَعَدُ عن الكلمة المُثْقَلَة بعدة معان ، فيُحاوَلُ العثور على ألفاظ لاتشترك مع سواها بقدر الإمكان ، ولاسيما تلك التي تشترك في حقل دلالي واحد .

٩ – يُلتزم قدرَ الإمكان بالقوائم الدلالية ، والسوابق واللواحق ، والصيغ القياسية التي يُعدّها المجمع الموحَّد .

١٠– يجوز اللجوء أحياناً إلى النحت أو التركيب المزجي ، إذا كانت اللفظة المنحوتة مفهومة مقبولة ، أو شائعة ، أو منسوبة . ولكن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصةً ، فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أو أكثر أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة يمجّها الذوق ويستغلق فيها المعنى . ويراعى في المركبات المزجية التي تعتبر مصطلحات أن تجعل أسماً واحداً

إعراباً وبناءً ، فلا يعرب الجزء الأول من مصطلح الاثنا عشري مثـــلاً وإنمـــا يحتفظ هذا المصطلح بشكله في جميع أحواله .

١١ - يفضل تقدير محذوف في بعض المصطلحات التي تتألف من جملـــة ، علـــى التركيب المزجي أو النحت ، فيقال مثلاً :"الشريان تحت الترقُوي"بتقدير محـذوف هو "العظم" بَدَلَ أن يقال " الشريان التحت ترقُوي" أو" التحت ترقُوي" .

١٢ - لاحَرَجَ في استعمال الكلمات الدخيلة أو المستعربة حين اللزوم ، ولاســـيما حين تتعذر تأدية المعنى المراد ، أو حين تكون الكلمة العربية المقترحـــة أشـــد عُجْمَةً من الكلمة الدخيلة، أو يكون اللفظ مما اشتَهر وشاع اســـتعماله ، أو يكون قد اكتسب صفة العالمية بدخوله كما هو في كل لغات العالم أو جُلّها .

١٣ - يُلتَزَم في هذه الكلمات الدخيلة أو المستعربة اختيار اللفظ الأسهل من بـــين مختلف اللغات الأجنبية ، لنقله إلى العربية بأخفِّ ما يمكن على اللسان العربي ، دون التزام لغة أجنبية واحدة ، فيُقال مثلاً في مصطلح الكيمياء "هيدروكسيد" لا "هايدروكساييد" ويُقال "يورانيوم" لا "أورانيوم" ، ويُقـــال "بزمـــوت" لا "بِزْمَثْ" ، ويُقال "ليباز" لا "لايبيز" ، ويُسعى إلى الانسجام قـــدر الإمكـــان فيُقال"فيزيولوجيا" لا "فيسيولوجيا" لأننا قلنا "الفيزياء" و لم نقـــل"الفيســـياء" وهكذا .... كما يُحرَص في نهاية الكلمات على التمييز بين اسم العلم وبين ما ينسب إليه فنكتب "الجيولوجيا"و"الباثولوجيا" مثلاً بـــالألف لنميّزهـــا عـــن الطبقات الجيولوجية أو التغيرات الباثولوجية التي نكتبها بالتاء .

١٤ - لاداعي لاستعمال حروف غير الحروف العربية كالباء والفاء ، وإنما يُنقـــل الحرف إلى أقرب حرف عربي إليه ، فتُرسم (P) باء ، و(V) فاء . أما حرف(G) فيعرّب "غيناً " إلا إذا كان يُلفظ جيماً صحيحة لاجيماً قاهرية .

١٥- نظراً إلى صعوبة توافر الشكل " التشكيل" في المطابع والمناسخ ،ينبغي عـــدم التحرج من استعمال الأحرف اللينة في الكلمات المعرَّبة حتى لا يلتبس اللفـــظ على أن يُستغنى عنها إذا لم يكن ثمة التباس ، كما ينبغي عدم التحـــرج - في

استعمال هذه الأحرف اللينة – من التقاء الساكنين استئناساً بالمد اللازم في القرآن الكريم حيث يلتقي حرف اللين بحرف ساكن يؤلف الجزء الأول من الحرف المشدّد . ولا حاجة لبدء الكلمات الساكنة الأوّل بألف ، اكتفاءً بالاختلاس في نطق هذا الحرف الساكن ، أو بتحريكه .

١٦ – ينبغي الحرص في استعراب الكلمة على وضعها في صيغة يسهل جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها ، ويفضّل عدم استعرابها إن لم تتحقق فيها هذه الشروط .

١٧ – يعتبر المصطلح المستعرَب عربياً يخضع لقواعد اللغة العربية ، ويجوز فيه الاشتقاق ، وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق .

١٨ – يجوز التصرف في صيغ النسبة ، للتمييز أو منع اللَبْس كما تجوز النسبة إلى المفرد والجمع .

١٩ – يجوز التوسع في استعمال لام الإضافة ضماناً لوضوح المصطلحات التي تتألف من جملة ، فيفضّل مثلاً أن يُقال :"الطبقة الحبيبية للبشرة "لا "طبقة البشرة الحبيبية " ويُقال :"الرأس الأمامي للعضلة ذات الرأسين "لا " رأس العضلة ذات الرأسين الأمامي ". وذلك استئناساً بأن من مواضع اللام أن تكون بمعنى"مِنْ" وذلك قولهم :"سمعت لزيد صياحاً " أي : مِنْ زيد صياحاً . كما يجوز التوسع في استعمال اللام الأخرى التي تكون مُوصلة لبعض الأفعال إلى مفعولها فيقال مثلاً :"العامل المُطْلِق للهرمون المنبِّه للجُرَيْب".

٢٠ – ينبغي ترجمة أسماء الأجناس والأنواع في تصانيف الأحياء من حيوان ونبات وجراثيم ، ولا يجوز أن تستعرب بحجة أنها أسماء أعلام فاسم العَلَمَ فرع من اسم الفرد والفرد تحت النوع وتحت الجنس . ويمكن، بل يَحْسُن ، في التعليم العالي إضافة الاسم الأعجمي إلى جانب الاسم العربي .

٢١– يجوز التخصيص بتاء التأنيث لضرورة التمييز ، فيُقال اللوح واللوحة ، والكيس والكيسة ، والجيب والجيبة وما أشبه ذلك .

٢٢ - تذكر صيغة جمع المصطلح بين قوسين إذا لزم الأمر .

أمـــا بعـــد:

فنحن اليوم نستعمل في عالمنا العربي للشهر الثامن من أشهر السنة الميلادية خمسة أسماء ، فنقول في العراق والشام "آب" وفي مصر "أغسطس" وفي ليبيا "هانيبـــــال"وفي تونس"أوت" وفي المغرب"غشت" . ونستعمل للخضرة التي يأكلها جميع الناس في عالمنا العربي ، لايكاد يدعها إنسان ، ستة مصطلحات هي الطماطة والبندورة والطمـــــاطم والقوطة والطماطيس والماطيشة إلى جانب عدد من الأسماء المحلية الأخرى .

أفَلَمْ يَأنِ لأبناء هذه الأمة أن يوحدوا مصطلحات اللغة التي تجمعهم ولا يكونـوا كالذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم؟ .

ربِّ يَسِّرْ وأعِنْ برحمتك !

****

٢ ـ المعجم العربي في ماضيه

للدكتور عدنان الخطيب

١ ـ الإعجام في المعجمات :

قال ابن فارس في "مقاييس اللغة ": العين والجيم والميم ثلاثة أصول : أحدهـــا يدلُّ على سكوت وصمت ، والآخر على صلابة وشدّة ، والآخر على عّض ومذاقة.

وذكر ابن جنى في مقدمة "سّر الصناعة"- كما في تاج العروس - : أن مـلدة ع ج م وقعت في لغة العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان .

قال الجوهري في "صحاح العربية " الأعجم : الذي لايفصح ولا يبين كلامـــه وإن كان من العرب ، والأعجم أيضاً الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية .

وأعجم الكتاب : خلاف أعربه ، وفي الصحاح - كما في اللسان -: قال رؤبة :

الشعر صعب وطويـــل سـلّمه
إذا ارتقى فيه الـــذي لايعلمـــه
زلّت به إلى الحضيـــض قدمـــه
والشعر لايسطيعه من يظلمـــــه
يريـــد أن يعربـــه فيعجمـــه[1]

أي يريد أن يبينه فيجعله مشكلا لابيان له ، وقيل : يأتي به أعجمياً يعني يلحـــن فيه ، وقال ابن فارس : ومعناه : يريد أن يبين عنه فلا يقدر على ذلك فيأتي بـــه غـــير فصيح دال على المعنى ، وليس ذلك من إعجام الخط في شيء .

والأعجم أيضاً : المستعجم الأخرس ، والمرأة : عجماء ، والعجماء : كل بهيمة ، وفي الحديث " جرح العجماء جبار " أي لادية فيه ولاقود ، وفي الحديث أيضاً :"بعـدد كل فصيح وأعجم ، قيل :أراد : بعدد كل آدمي وبهيمة .

---

[1] ـ نسب الجوهري هذا الرجز إلى رؤية ، وتابعه في ذلك صاحب لسان العرب . وقال الصاغاني : الشعر للحطيئة ، وكذلك نسبه صاحب العمدة ، وهو في ديوان الحطيئة.

واستعجم الرجل : سكت ، واستعجمت عليه قراءته : انقطعت ، فلم يقدر على القراءة من نعاس ونحوه ، ومنه حديث عبد الله :"إذا كان أحدكم يصلي فاستعجمت عليه قراءته فلينم "[1].

وكذلك استعجمت الدار عن جواب سائلها :سكتت ، قال امرؤ القيس :

صمَّ صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السَّائل

قال الجوهري - في الصحاح - : والعجم : النقط بالسواد . مثل التاء عليها نقطتان . يقال : أعجمت الحرف : نقطته ، والتعجيم مثله . وقال الأزهري - كما نقله صاحب اللسان -: سمعت أبا الهيثم يقول : معجم الخط : هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط ، تقول :أعجمت الكتاب أعجمه إعجاما ، ولايقال : عجمته ، إنما يقال عجمت العود : إذا عضضته لتعرف صلابته من رخاوته .

وأعجم الكتاب وعجّمه:نقطه.قال ابن جني في"سر صناعة الإعراب"كما في المحكم- : أعجمت الكتاب : أزلت استعجامه ، وهو عنده على السَّلب لأن أفعلت ، وإن كان أصلها الإثبات ، فقد تجيء للسَّلب ، كقولهم أشكيت زيدا : أي أزلت له ما يشكوه ، ولقوله تعالى :"إن الساعة آتية أكاد أخفيها[2] "تأويله ، والله أعلم ، عند أهل النظر :أكاد أظهرها . وتلخيص هذه اللفظة : أكاد أزيل عنها خفاءها ، أي سترها . وقالوا : عجّمت الكتاب ، فجاءت فعّلت للسَّلب أيضا ، كما جاءت أفعلت ، وله نظائر .

وإذا كان الأوائل قالوا - كما في الصحاح - : استعجم علينا الكلام ، أي استبهم ، وأعجم كلامه ، إذا ذهب به إلى العجمة ، فمن المقبول أن يقول أحدنا اليوم : فلان يستعجم في شعره أو نثره ، إذا كان يحوج قارئه إلى الاستعانة بـ "معجم".

---

[1] - في لسان العرب : استعجمت على المصلي قراءته : إذا لم تحضره ، ومنه حديث عبد الله :"إذا كان أحدكم يصلي فاستعجمت عليه قراءته فليتم "وهذا تصحيف واضح وصحته :فليتم - كما في المحكم وأساس البلاغة وتاج العروس . وفي صحيح الحديث:"إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع " انظر الجامع الصغير للسيوطي ج ١ رقم ٧٨١ القاهرة ١٣٥٢هـ .

[2] - سورة طه : ١٥ .

٢ - حروف المعجم في المعجمات:

حروف المعجم - كما في التاج- : هي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الأمم قال ابن الأثير - كما نقله صاحب اللسان : حروف المعجم : حروف أ ب ت ث... سميت بذلك من التّعجيم ، وهو إزالة العجمة بالنقط . وإذا قلت كتاب معجّم ، فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبين عجمته ويضح .

وقالوا : حروف المعجم ، فأضافوا الحروف إلى المعجم ، فإن سأل سائل فقال : ما معنى قولنا حروف المعجم ، هل المعجم وصف لحروف هذه ، أو غير وصف لها ؟

قال ابن سيده في " المحكم والمحيط الأعظم " ومثله في اللسان :إن المعجم من قولنا : حروف المعجم ، ولايجوز أن يكون صفة لحروف هذه ، من وجهين :أحدهما : أن حروفاً هذه ، لو كانت غير مضافة إلى المعجم لكانت نكرة ، والمعجم ، كما ترى معرفة ، ومحال وصف النكرة بالمعرفة ، والآخر أن الحروف مضافة ، ومحال إضافة الموصوف إلى صفته ، والعلة في امتناع ذلك : أن الصفة هي الموصوف ، على قول النحويين ، في المعنى ، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة ، وإذا كانت الصفة هي الموصوف عندهم في المعنى ، لم يجز إضافة الحروف إلى المعجم ، لأنه غير مستقيم إضافة الشيء إلى نفسه ، قال: وإنما امتنع ذلك من قبل أن الغرض في الإضافة ، إنما هو التخصيص والتعريف ، والشيء لا تعرفه نفسه ،لأنه لو كان معرفة بنفسه ، لما احتيج إلى إضافته ، وإنما يضاف إلى غيره ليعرفه .

وذهب محمد بن يزيد إلى أن المعجم مصدر ، بمنزلة الإعجام ، كما تقول أدخلته مدخلاً ، وأخرجته مخرجاً ، أي إدخالا وإخراجاً .وحكى الأخفش أن بعضهم قرأ "ومن يهن الله فما له من مكرم[1] " . بفتح الراء ، أي : من إكرام ، فكأنهم قالوا : هذه حروف الإعجام .

---

[1] - سورة الحج: ١٨.

ويرى ابن سيده ، وتابعه ابن بريّ في رأيه ، أن ما ذهب إليه محمد بن يزيد المبرد ، أسدّ وأصوب من أن يذهب إلى أن قولهم ؛ حروف المعجم بمنزلة قولهم : صلاة الأولى ومسجد الجامع ،لأن معنى ذلك : صلاة الساعة الأولى أو الفريضة الأولى ، ومسجد اليوم الجامع ، فالأولى غير الصلاة في المعنى ، والجامع غير المسجد في المعنى ، وإنما هما صفتان حذف موصوفاهما وأقيما مقامهما ، وليس كذلك حروف المعجم ؛ لأنه ليس معناه حروف الكلام المعجم ، ولا حروف اللفظ المعجم ، إنما المعنى أن الحروف هي المعجمة ، فصار قولنا حروف المعجم ، من باب إضافة المفعول إلى المصدر كقولهم : هذه مطية ركوب ، أي من شأنها أن تركب ، وهذا سهم نضال ، أي من شأنه أن يناضل به ، وكذلك حروف المعجم :أن من شأنها أن تعجم .

قال ابن فارس في "مقاييس اللغة" : قال الخليل : حروف المعجم مخففة هي الحروف المقطعة ، لأنها أعجمية .... وأظنُّ أن الخليل أراد بالأعجمية أنها ما دامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم ، فهي أعجميّة ، لأنها تدل على شيء.... والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المعجم : حروف الخط المعجم ، وهو الخط العربي ، لأنّا لا نعلم خطّا من الخطوط يعجم هذا الإعجام حتى يدل على المعاني الكثيرة ، فأما أنه إعجام الخّط بالأشكال ، فهو عندنا يدخل في باب العّض على الشيء لأنه فيه ، فسمى إعجاماً لأنه تأثير فيه يدلّ على المعنى .

وقال ابن سيده- في المحكم -: فإن قيل : إن جميع هذه الحروف ليس معجماً ، إنما المعجم بعضها ؛ ألا ترى أن الألف والحاء والدال ونحوها ليس معجما ، فكيف استجازوا تسمية جميع هذه الحروف حروف المعجم ؟ قيل له : إنما سميت بذلك : لأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصواته ؛ فأعجمت بعضها ، وتركت بعضها ، فقد علم أن هذا المتروك بغير إعجام ، وهو غير ذلك الذي من عادته أن يعجم ، فقد ارتفع أيضاً بما فعلوه الإشكال والاستبهام عنهما جميعاً ، ولا فرق بين أن يزول الاستبهام عن الحرف بإعجام عليه ، أو يقوم مقام الإعجام في الإيضاح والبيان ، ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بواحدة من أسفل ، والخاء بواحدة من فوق ، وتركت الحاء غفلا ،

فقد علم بإغفالها أنها ليست بواحدة من الحرفين الآخرين ، أعني الجيم والخاء ، وكذلك الدال والذال ، والصاد والضاد ، وسائر الحروف ، فلما استمر البيان في جميعها ، جاز تسميتها :"حروف المعجم ".

٣ - حروف الهجاء في المعجمات

قال الجوهري في "صحاح العربية "حرف كل شيء طرفه وشفيره وحدّه ، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدّد ، والحرف :واحد حروف التهجي .

وقال ابن سيده في " المحكم " الحرف من الهجاء معروف . والحرف : الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل... وحرف الشيء ناحيته . وفلان على حرف من أمره : أي ناحية منه ، إذا رأى شيئاً لايعجبه عدل عنه . وفي التنزيل : "ومن الناس من يعبد الله على حرف[1]" أي إذا رأى ما لايحب انقلب على وجهه .

وقال الزمخشري في "أساس البلاغة" ؛ وفلان يحرف لعياله : يكسب من هنا وهنا ، أي من كل حرف.... وأدركته حرفة الأدب . وتقول ما من حرف ، إلا وهو مقرون بحرف . قال :

ماازددتُ من أدبي حرفاً أسرّ به

إلا تزيّدت حُرفا[2] تحته شوم

ومن المجاز : هو على حرف من أمره ، أي على طرف ، كالذي في طرف المعسكر ، إن رأى غلبة استقر ، وإن رأى ميلة فرّ.

وقال الأصمعي - كما في اللسان - الحرف الناقة المهزولة ، وقال الأزهري قال أبو العباس في تفسير قول كعب بن زهير :

حرف أخوها أبوها من مهجّنة

وعمّها خالها قوداء شمليل

---

[1] - سورة الحج :١١ .

[2] - الحرف بالضم : الحرمان.

قال: يصف الناقة بالحرف لأنها ضامر ، وتشبه بالحرف من حروف المعجم وهو الألف لدقتها .

وحرف عن الشيء وتحرف : عدل . وتحريف القلم : قطه محرّفاً ، وتحريف الكلم عن مواضعه : تغييره والتحريف في القرآن والكلمة ، تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه .

وقال ابن فارس في " المجمل "هجاه : إذا وقع فيه بالشعر ... والهجاء: المهاجاة . ومما شذّ : هجاء الحروف ، يقال : تهجّيت.

قال الجوهري في " الصحاح ":هجوت الحروف هجوا وهجاء ، وهجيتها وتهجيت كله بمعنى .

قال أبو زيد – على ما في اللسان – الهجاء : القراءة ، قلت لرجل من بني قيس : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال : والله ما أهجو منه حرفاً ، يريد ما أقرأ منه حرفاً ، قال : ورويت قصيدة ، فما أهجو منها اليوم بيتين ، أي ما أروي .

وقال الزمخشري في " أساس البلاغة" تعلّم هجاء الحروف وتهجيتها وتهجيّها ، وهو يهجوها ويهجيّها ويتهجّاها : يعدّدها ...ومن المجاز : فلان يهجو فلانا هجاء : يعدّد معايبه ، وهو هجّاء ، وله أهاجيّ ... وهو على هجاء فلان : على مقداره في الطول والشكل .

وقال ابن سيده – على مافي اللسان – : الهجاء : تقطيع اللفظة بحروفها ، وهجوت الحروف وتهجيتها هجوا وهجاء ، وهجيتها تهجية وتهجيت ، كله بمعنى .

وحروف الهجاء في العربية : هي الحروف المقطعة التي يبنى الكلام منها ، وعددها ثمانية وعشرون حرفاً ، وهي الألف والياء وما بينهما ، وتسمى حروف التهجي والتهجية .

٤ – حروف الهجاء العربية وترتيبها الأبجدي:

ظهر الإسلام ، في القرن السابع للميلاد ، وعرب الحجاز شعب أيّ لا يقرأ ولا يكتب ، إلا بضعة عشر رجلاً من قريش وبعض أهل المدينة ، عرفوا الكتابة التي كانت

شائعة في الأقطار العربية الأخرى كالشام والعراق واليمن [1] ؛ حتى إن بعض من كان يكتب ، كان يصور حروف الكلمات العربية بصور الحروف النبطية أو السريانية ، كما كان الذين تلقوا الكتابة عن يهود يكتبون العربية بحروف عبرية[2] .

وكان العرب في الأقطار التي كانت الكتابة شائعة فيها، اقتبسوا من الأبجدية الفينيقية ترتيبها للحروف ، ذلك الترتيب الذي ورثته عنها أيضاً جميع الأبجديات السامية الأخرى [3]، وكانوا يلحقون الأحرف العربية الزائدة بما يشبهها في رسمها من حروف تلك الأبجديات[4].

وكلمة (أبجدية) هذه نسبة إلى لفظة "أبجد" وهي أولى الكلمات الست التالية:أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، وهي الكلمات التي جمعت فيها حروف الهجاء الفينيقية الاثنان والعشرون بترتيبها المأخوذ من تسلسل الحروف في الكلمات نفسها ، فترتيبها مقطعة هو كما يلي : ا ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت[5] ، أما الأحرف العربية الزائدة عن هذه ، فهي الستة

---

(١) -في كتب اللغة والأدب أخبار كثيرة عن أول عهد العرب بالكتابة وبدء انتشارها بينهم ، منها ما أورده السيوطي :[. قال أبو بكر ابن أبي داود في "كتاب المصاحف" قال سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا تعلمنا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا . من أهل الأنبار] انظر المزهر ج٢ ص ١٧٥ طبعة ١٢٨٢ هـ .

وقد روى كثير من المؤلفين القدامى مثل الخبر المذكور ، وإن اختلفوا في صيغته وسنده .

(٢) ـ انظر جرجي زيدان في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية "ج١ ص ٢٧ – ٢٠٣ القاهرة ١٩١١م .

(٣) ـ انظر René Dussaudفي كتابه "العرب في سورية قبل الإسلام " ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد مصطفى زيادة ص ٥٥ القاهرة ١٩٥٩ م وانظر E.H. Minns في بحثه " الحروف الهجائية – أصولها وأهميتها بالنسبة للحضارة " ترجمة عبد الحافظ معوض في مجموعة " تاريخ العالم "ج٢ ص ٣٦٤ القاهرة .

(٤) ـ انظر جداول مختلف الأبجديات في المصادر المشار إليها في المصدرين المذكورين في الهامش السابق .

(٥) ـ إن أسماء حروف الأبجدية الفينيقية كانت كما يلي : [الف ، بيت ، جمل ، دالت ، هيث ، واو ، زين ، حيط، طيت ، يد ، كف ، لامد ، ميم ، نون ، سامخ ، عين ، في ، صاد ، قوف ، روش ، شين ، تاو] وهي في أصلها كانت ترمز لمسميات فالألف تعني : الثور ، والباء البيت ، والجيم : الجمل الخ ... انظر المصادر المشار إليها في الهوامش السابقة .

التالية[1] : ث خ ذ ض ظ غ ، وقد أطلق العرب عليها اسم "الروادف" لأنهم أردفوها بحروف الكلمات الست الأولى ؛ مؤلفين منها كلمتي ثخذ ، ضظغ ، ومجموع هذه الكلمات الثمان يطلق عليه اسم "الأبجدية العربية " على أن ترتيب حروف هذه الأبجدية شاع في المغرب العربي بشكل يختلف قليلاً عن ترتيبها عند عرب المشرق[2] .

وإلى الحروف المقطعة بترتيبها في كلمات " الأبجدية العربية " يستند ما يسمى "حساب الجمل" [3] وهو حساب مبناه تلك الحروف ، كل حرف منها يدل على رقم من الأعداد ، آحادها ، وعشراتها ، ومئاتها [4].

---

[1] – الإجماع منعقد بين علماء العربية على أن أصل حروفها ثمانية وعشرون يتألف منها الكلام كله . انظر أحمد ابن فارس في كتابه"الصاحبي"ص ٧١ القاهرة ١٩١٠ م على أن بعض العلماء جعل حروف العربية تسعة وعشرين معتبرين الهمزة حرفاً مستقلاً عن الألف ، ومن هؤلاء الخليل والقالي ، وقال سيبويه مثل قولهما وأضاف : وتكون – الحروف – خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين الخ .... انظر الكتاب "ج٢ باب الإدغام ص ٤٠٤ – ونقل القلقشندي عن أبي العباس البوني صاحب كتاب "أسرار الحروف " حديثاً منسوباً إلى أبي ذر الغفاري جعل فيه حروف العربية تسعة وعشرين عد معها الألف حرفاً واحداً – انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ١١ ، وهذا الحديث المنحول ورد بصيغة أخرى في مقدمة كشف الظنون ص ٢٥ .

[2] – انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢ – وانظر دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (أبجد) – وانظر أيضاً مقدمة ابن خلدون والفصل الخاص بعلم " أسرار الحروف" – أما ترتيب الحروف الذي شاع في المغرب العربي فهو التالي :أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، صعفض ، قرست ، ثخذ ، ظغش، وترتيب المشارقة أقدم وأصح لأنه يتفق في الكلمات الست الأولى مع الأبجدية الفينيقية ، كما أنه يجمع "الروادف العربية" في كلمتين مستقلتين عن الكلمات الأصلية ، خلافاً للترتيب المغربي الذي يخلط بينهما .

[3] – الجمل بتشديد الميم كالجمل حبل السفينة أو الحبل الغليظ ، وهو عند ابن فارس أصل عربي ، غير أن الكلمة موجودة في اللغات السامية الأخرى ، وفي لسان العرب : حساب الجمل ، بتشديد الميم : الحروف المقطعة على أبجد ، قال ابن دريد : لاأحسبه عربيا ، وقال بعضهم : هو حساب الجمل بالتخفيف . قال ابن سيده : ولست منه على ثقة .

[4] – يستعمل بعض المؤلفين في العصر الحديث حروف الأبجدية لترقيم صفحات مقدمات كتبهم ، كما يستعملها بعض علماء الفلك للدلالة على بعض النجوم ، غير أن أكثر هؤلاء يخطئون في ترتيب الآحاد مع العشرات أو المئات ، فإذا كانت أ = ١ و ي = ١٠ وك = ٢٠ فيكون تركيب الآحاد هكذا : يا = ١١، يط = ١٩ ، كح = ٢٨ .

وقد أعددنا جدولاً خاصاً ألحقناه بهذه النبذة من البحث ، ذكرنا فيه حـــروف المعجم ، وكل ترتيب لها اشتهر بين الناس ، مع بيان حـــروف الأبجديـــة وقيمـــها في حساب الجمل لدى عرب المشرق ، وكما شاع في المغرب العربي .

حروف المعجم وترتيبها

العدد	الأبجدية عند الشعوب السامية	الأبجدية السامية بعد إلحاق الزوائد العربية بأشباهها	أبجدية حروف الهجاء العربية: عند المشارقة	عند المغاربة	قيمة الحرف في حساب الجمل	حروف المعجم كما رتبها نصر بن عاصم	ترتيب الحروف بحسب مخارجها: عند الخليل	عند سيبويه	عند القالي	الحروف كما شاع ترتيبها في الأندلس
١	ا	ا	ا	ا	١	أ	ع	ء/ا	هـ	ا
٢	ب	ب	ب	ب	٢	ب	ح	هـ	ح	ب
٣	ج	ج	ج	ج	٣	ت	هـ	ع	ع	ت
٤	د	د	د	د	٤	ث	خ	ح	خ	ث
٥	هـ	ذ	هـ	هـ	٥	ج	غ	غ	غ	ج
٦	و	هـ	و	و	٦	ح	ق	خ	ق	ح
٧	ز	و	ز	ز	٧	خ	ك	ق	ك	خ
٨	ح	ز	ح	ح	٨	د	ج	ك	ض	د
٩	ط	ح	ط	ط	٩	ذ	ش	ج	ج	ذ
١٠	ي	خ	ي	ي	١٠	ر	ض	ش	ش	ر
١١	ك	ط	ك	ك	٢٠	ز	ص	ي	ل	ز
١٢	ل	ظ	ل	ل	٣٠	س	س	ض	ر	ط
١٣	م	ي	م	م	٤٠	ش	ز	ل	ن	ظ
١٤	ن	ك	ن	ن	٥٠	ص	ط	ن	ط	ك
١٥	س	ل	س	ص	٦٠	ض	ت	ر	د	ل
١٦	ع	م	ع	ع	٧٠	ط	د	ط	ت	م
١٧	ف	ن	ف	ف	٨٠	ظ	ظ	د	ص	ن
١٨	ص	س	ص	ض	٩٠	ع	ذ	ت	ز	ص
١٩	ق	ع	ق	ق	١٠٠	غ	ث	ز	س	ض
٢٠	ر	غ	ر	ر	٢٠٠	ف	ر	س	ظ	ع
٢١	ش	ف	ش	س	٣٠٠	ق	ل	ص	ذ	غ
٢٢	ت	ص	ت	ت	٤٠٠	ك	ن	ظ	ث	ف
٢٣	.	ض	ث	ث	٥٠٠	ل	ف	ذ	ف	ق
٢٤	.	ق	خ	خ	٦٠٠	م	ب	ث	ب	س
٢٥	.	ر	ذ	ذ	٧٠٠	ن	م	ف	م	ش
٢٦	.	ش	ض	ظ	٨٠٠	هـ	ء/ي	ب	و	هـ
٢٧	.	ت	ظ	غ	٩٠٠	و	و	م	ا	و
٢٨	.	ث	غ	ش	١٠٠٠	ي	ا	و	ي/ء	ي

(المعجم العربي ــ عدنان الخطيب)

القسم الخاص

من مقال للدكتورة نعمات أحمد فؤاد[1]

الإسلام والفنون في البلاد الإسلامية

العِمـــارة عَمار واســـتقرار ، والإسلام يحب العَمار ، قـــال تعـــالى(فَامشـــوا في مَنَاكِبِها وكُلُوا من رِزْقِـــه)[2].

والإسلام يحب البناء حتى يشبه به تماسك المجتمع الإسلامي قال عليـــه الصـــلاة والسلام "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً ".وإذا كان المسرح أبا الفنون فـــإنَّ العِمارةَ أُمُّها . وكما يعانق المسرح فنون الأدب ، والموسيقى ، والتمثيل ، والغناء فـــإنَّ العمارة تحتضِنُ فنون النقش والزخرفة والتلوين .

وقد اهتم الإسلام ببناء المساجد ، وجعل عِمارة البيت الحرام مرقى من مراقـــي القربى إلى الله تعالى ؛ قال تعالى:

" إنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليوم الآخِرِ "[3] .

ومسجد المدينة كان الرَّسول يعمل بيده في بنائه مع الصحابة والمسلمين تكريمـــاً للدين ، وتكريماً للعمل ، وتكريماً للبناء الذي يضيف ، ويرفع .

إنَّ إيثارَ الإسلام لِلمُسَاواة ، واحتفالَه بها ، وتأكيدَه عليـــها ، انعكـــس علـــى العِمَارة الإسلامية فمالت إلى الأفقية التي تحمل معنى المساواة،..ولايستثنى من الأفقيـــة الإسلامية المحببة إلى الفنان المسلم إلا المئذنة لحاجة الدين إلى انتشار دعوة الأذان علـــى مساحة واسعة لإقامة الصلاة أحد أركان الدين الخمسة ، ولايتحقق الانتشار المنشـــود إلاَّ إذا انطلق الصوت طليقاً من ارتفاع .

---

[1] – من مقال للدكتورة المصرية الجنسية نعمات أحمد فؤاد نشر في كتابها كتبت يوماً في الأدب ، النقد ، الفكر ، الفن طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ من ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

[2] – سورة المُلك الآية ١٥" هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامشُوا في مَنَاكِبِها وكُلُوا من رزقِهِ وإليه النُّشُور".

[3] – سورة التوبة من الآية ١٨ تتمتها :"وأَقَامَ الصَّلاةَ وآتى الزَّكاة و لم يَخْشَ إلاَّ اللهَ فَعَسى أُولئك أن يكونوا من المهتدين" .

وينعكس مبدأ المساواة في الإسلام ،مَرَّة أخرى، على العمارة الإسلامية ، في ميل المعماري المسلم إلى السقوف المنخفضة المتمثلة في المساجد الأولى كجامع المدينة والجامع العتيق [1].

الفَنُّ الإسلامي يشدّه بعضه إلى بعض ، رباط بلاشك . إنَ العنصر الرائع الذي يربط عطاءات الفن الإسلامي في أوطان عدّة ، إنما هو الفكر الإسلامي ... إنما هو روحُ الإسلام من مساواة ، وحرية ، وسماحة ، وتوحيد ثم تجيء الكتابة العربية فتستوعبه . وقمة العمران في مجتمعٍ ، المساواةُ بين أفراده .

إنَّ هذا النص ينطلق من مبدأ أن يكونَ الأديب مبدعاً ، وناقداً ، ومفكراً ، وفناناً ، وأن يعيش قضايا قومه يعرضها بصدق وشفافية، ويذود عنها.إنَ الأديب الحَقّ هو الأديب الذي ينتمي إلى أسرة الفنون جميعاً متذوقاً لها ،بارّاً بها ، يجمع بينها أسرة مؤتلفة تختلف وسائل ، وتلتقي غايات ، وقد نطق شوقي بهذا المعنى حين قال : " الخالدون أربعة ، شاعرٌ سَارَ بيتُه ، وَرسَّام ضَحِك زيتُه ، وموسيقي بكى وترُه ، ومثّال نطق حجره ".

الفنان الحقيقي هو الذي اختار أن يضع نفسه في مجال الخلق ، وأن يجعل من نفسه منطلقاً للتشكيل ، للبناء ، للتشوفْ إلى الرائع والجليل .

لقد عَرَّف "جوته" العِمارة بأنها موسيقى في الحجر ، الحجر الذي يتشكل صوراً شَتى وليس جامداً كما يظن بعضهم والنحت فن تحسيس الكتلة بأعماق الوجدان ، وحين لايستطيع الإنسان قراءة روائع الأدب في لغاته كلها يستطيع أن يقرأ الفَنَّ

---

[1] – تذكر الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في مقالها نقلاً عن المقريزي أنَّ الجامع العتيق كان منخفضاً حتى عهد الوليد بن عبد الملك حين قام عبد الله بن عبد الملك برفعه سنة ٨٩ هـ ، بل إنَّ المقّري في كتابه نفح الطيب ج٢ ص ٩٦ يذكر أن جامع قرطبة الذي أقيم بعد الفتح الإسلامي سنة ٩١ هـ ، كان يصعب على المصلين به القيام على اعتدال لتقارب هذه الأسقف من الأرض وظل هذا طابع المسجد في دولة الإسلام حتى القرن الثالث الهجري، فإن جامع ابن طولون الذي أقيم سنة ٢٦٥ هـ كان ارتفاع سطحه لايزيد على عشرة أمتار عن ارضية المسجد .

التشكيلي في كل مكان من العالم ، إن الفن أدباً ، أو موسيقى ، أو تشكيلاً هو أناقة المبنى ولطف المعنى ، ونصاعة الجوهر .

تقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد[1] : كان تأكيد الإسلام للمساواة وراء الخط الأفقي في العمارة الإسلامية ، بما في الأفقية من تواضع وقبول ..إنَّ القبّة هي الترجمة الإسلامية للهرم بعد أن تَشَرَّب الفنان المسلم سماحة الدين الجديد فَتَرَفَّق الخطُّ في يده ، واستدار بعد صلابة وثبات .

ثم تقول [2]:لقد قاربت المساواة في الإسلام بين المسلمين، وقَرَّبت بين الفنون الإسلامية ؛ في مؤتمر الفن الإسلامي بلندن في عام ١٩٧٦قال النقاد الفنيون في شبه إجماع : إنَّ الفَنَّ الإسلامي على اختلاف أوطانه ، متشابه ، وعزَوا هذا التشابه إلى الخط العربي ".

الإسلام بناء ماثل في سوق قرطبة ، وقصر الحمراء بغرناطة ، وآياته الباقية في إشبيلية ، وقد عنيت الشريعة الإسلامية بتخطيط المدن ، وقد وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه دستوراً لإنشاء المدن أذاعه على فاتحي الأمصار ، ومنشئيها في صدر الإسلام؛فجعل المسجد محور المدينة، أو مركز الدائرة بحيث تتفرع الشوارع حوله "[3].

إنَّ تعلق القلب المسلم بالمطلق كان وراء حُبِّ الفنان المسلم للتجريد حَتى في رسمه الأشكال يغطيها بالزخارف ، ويوشيها بالنمنمة ، أو يحيل الأجزاء إلى وحدة زخرفية في تحوير يكاد يبلغ مرتبة التصوير .

إنَ الفن التشكيلي له قدرة على الإقناع والإمتاع عبر حواجز الجنس والمسافة واللغة ، والقرآن الكريم فيه توجيه للتشكيل ، قال تعالى:"هو الله الخَالِقُ البارِئُ المُصَوِّرُ": سورة الحشر الآية ٢٤ .وفيه توجيه للنور والظلال قال تعالى :" والشَّمس وضُحَاها ،

---

[1] – كتبت يوماً في الأدب ، النقد ، الفكر الفن ص ٢٦١ – ٢٦٢ .

[2] – المرجع السابق ص ٢٩٣ – ٢٩٤ .

[3] – المرجع السابق ص ٣٠٠ .

والقمر إذاَ تَلاها والنَهَار إذا جَلاَّها ، واللَّيلِ إذا يَغْشَاَها ، والسَّمَاء وماَ بناهـــا والأرض وما طَحَاها ، ونفس وماسَوَّاها ، فألهمها فجورها وتَقْوَاها قد أَفْلَح من زَكَّاها ، وقـــد خاب مَنْ دَسَّاها".سورة الشمس ١ - ١٠ .

الخالق هنا المُقَدّر و"البارئ" المنشئ المخترع و"المُصَور: مصور الصور ومركبـــها على هيئات مختلفة ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل .

(وضحاها)أي(ضؤوها وإشراقها)وهو قسم ثانٍ أي أقسم والشمس وأقسم وَضْوئِها.

(والقمر إذا تلاها) يقال : تلوت فلاناً إذا تَبِعتُهُ ، (وتلاها) أخذ منها ؛ يذهـــب إلى أنَّ القمر يأخذ من ضوء الشمس . وقال قوم والقمر إذا تلاهـــا حـــين اســـتوى واستدار ، فكان مثلها في الضياء والنور .

(والنهار إذا جَلاَها) أي كشفها ، وقال قوم الضمـــير في جَلاَّهـــا للشـــمسِ ، والمعنى أنه يبينُ بضوئه جرمها .

(والليل إذا يغشاها) أي . يغشى الشمسَ ، فَيَذْهَبُ بضوئها عنـــد ســـقُوطها . وقيل : يَغشى الدُّنيا بالظُّلَم ، فتظلم الآفاق .

(والسَّماء وما بناها) أي وبنيانها أي وَمَنْ خلقها ورفعها هو الله تعالى .

(والأرض وما طحاها)أي بسطها من كل جانب،وطحاها ودحاها بمعنى واحد.

(ونفس وماسَوَّاها) المعنى ومَنْ سَوَّاها وهو الله عَزَّ وَجَلَّ وسَوَّى بمعنى هَيَّأَ خَلْقَها وَعَدَّل . وهذه الأسماء كلها مجرورة على القسم : أقسم جَلَّ ثناؤه بخلقه لما فيـــه مـــن عجائب الصنعة الدَّالة عليه .

(فألهمها فجورَها وتقواها) أي عَرَّفها طريق الخير وطريق الشَرّ .

(قد أفلح من زكَّاها) أي فاز من زكى اللهُ نفسَه بالطاعة .

(وقد خابَ مَنْ دَسَّاها) أي خسرت نفس دَسَّها الله عَزَّ وجل بالمعصيـــة أي : أفلحَ مَنْ زَكَى نفسه بطاعة الله،وصالح الأعمال ، وخاب من دَسَّ نفسه في المعاصي.

وقد غدا الخَطُّ العربي عنصراً بارزاً من عناصر الزخرفة الإسلامية،وانتقل حُبُّ ترتيل القرآن إلى ترتيل الخَطّ أي تحسينه ، فقال الإمام علي بن أبي طالب - كَرَّم الله وجهه - : الخَطُ الحسن يزيد الحق وضوحاً .

وحين أقسم الله بأداة الكتابة وهي القلم"ن والقلم وما يسطرون"سورة القلم[1].

ارتفع شأن العلم ، وارتفع شأن الخطّ باعتباره حامل المضمون وعنوانه ، وهكذا انبعثت قواعد الخَطّ العربي محاكاة لأصول الحروف في جميع البلدان الإسلامية كما لاحظ هذا وسجله الدكتور بِشْر فارس في سماحة تجمع المسيحية والإسلام عند العارفين[1]. لقد كانت الروح الدينية ، وقدسية اللغة العربية دافعَيْنِ خلقا في النفس العربية القدرة على الإبداع الفني لدى الفنان العربي ، والإحساس بالدهشة والرَّوعة لدى المشاهد العربي ، وتوسع فن الخط العربي ليشمل أنواعاً كثيرة ، حيث نلمس أنّ لكل نوع منه ميزة خاصة تعبر عن جمالية معيّنة ومتميزة ، ووجدت له تطبيقات كثيرة في مجالات الحياة المختلفة ؛ في عمارة المساجد حيث يتداخل مع النقوش،والعمارة الفنية، وفي كتابة المصحف الكريم وتزيينه ، وفي النقش على النقود ، وفي عمارة الدُّور الخاصة وفي الرَّسم على الملابس ، وأواني الخزف المختلفة وغير ذلك[2] .

إنَ الإسلام رسالة ثقافية فنية على أعلى مستوى حينَ حبَّب إلينا الجمال والزينة:

" قُلْ مَنْ حَرَّم زينةَ الله التي أخرج لعباده والطّيبات من الرّزق "

سورة الأعراف ٣٢

" والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافعٌ ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تَسْرَحون ".سورة النحل ٥ - ٦

أن نجعل من الحياة فَناً جميلاً،وأن نجعل من الفَنّ حياة جميلة تلك النعمة الكبرى ".

---

[1] - كتبت يوماً للدكتور نعمات فؤاد ص ٢١١.

[2] - مجلة اللغة العربية والوعي القومي ص ٣٥٦ من مقال للدكتور ياسين خليل: اللغة والوجود القومي .

واقع اللغة العربية

قال الشاعر حافظ إبراهيم من قصيدته المَشهورة التي يُصَوِّر فيها واقع اللغة العربيـــة ، وقد نظمها على لسانها ، بعنوان :

" اللغة العَرَبيَة تنعي حظَّها بين أهلها "[1]

١ - رَجَعْتُ لِنَفْسي فَاتَّهمْتُ حَصَـاتِي ... وَنَادَيْتُ قَوْمِـي فاحتَسَـبْتُ حَيَـاتِي

٢ - رَمَوْني بِعُقْمٍ في الشَّباب ولَيْتَنـي ... عَقِمْتُ فلم أَجْـزَعْ لِقَـوْلِ عُداتِـي

٣ - وَسِعْتُ كتابَ اللهِ لَفْظـاً وَغايـةً ... وما ضِقْتُ عَـن آيٍ بِـهِ وَعِظَـاتِ

٤ - فَكَيْفَ أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَـةٍ ... وَتَنْسِـيقِ أَسمَـاءٍ لِمُخْتَرعَـاتِ

٥ - أنا البحرُ في أحشائِهِ الدُّرُّ كَـامِنٌ ... فَهلْ سَأَلُوا الغَـوَّاصَ عَـن صَدَفَـاتِي

٦ - فَيَاوَيْحَكُم أَبْلَى وتَبْلَى مَحَاسِـني ... ومِنكُـم وإنْ عَـزَّ الـدَّوَاءُ أُسَـاتِي

٧ - فلاتَكِلُـوني للزَّمَـانِ فَـإنني ... أخَـافُ عليكُـم أن تَحِـينَ وَفَـاتِي

٨ - أَيَطْرُبُكُم من جانبِ الغربِ ناعبٌ ... يُنَـادي بِـوَأْدِي في رَبِيـعِ حَيَـاتِي

العربية لغة الملايين من المتحدثين بها في الوطن العربي ، أو الناطقين بها في العـالم الإسلامي ، وبعض أرجاء المعمورة ، وهي لغة مُوغلة في القِدم ، إلاَّ أنَّ المرحلة اللغويـة التي وصلت إليها اللغة العربية في أواخر العصر الجاهلي تُمَثِّلُ مرحلة ارتقاء وتقـارب بعد أن أصبحت وسيلة من وسائل التفاهم العام الذي ساد الجزيرة العربيـة،وصوتـاً

---

[1] – هذه الأبيات من قصيدة لشاعر العروبة في وادي النيل حافظ إبراهيم تقع في ثلاثة وعشرين بيتاً نشرت سـنة ١٩٠٣ ، ووردت هذه القصيدة في ديوان حافظ إبراهيم الجـزء الأول مـن ص ٢٥٣ – ٢٥٥ ضبـط ، وتصحيح وشرح الأساتذة : أحمد أمين ، أحمد الزين ، أحمد الأبياري نشر بيروت ١٩٦٩ رجعت لنفسـي : أي تأملت ، الحَصَاة : الرأي والعقل ، يقول على لسان اللغة العربية ، إنني عدت إلى نفسي ، وفكرت فيمـا آل إليه أمري ، فأسأت الظَنَ بمقدرتي ، وكنت أصدق فما رموني به من القصور ، وناديت النـاطقين في أن ينصروني فلم أجد منهم سميعاً ، فادخرت حياتي عند الله .

الناعب : المُصَوِّت بما هو مستكره . ربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

مُوَحِّداً للمشاعر المتبادلة ، والمصالح المشتركة والإحساس الواعي بأنَّ العرب ينتمون إلى أمة واحدة ، وقد فخرت العرب منذ القديم بلسانها وبيانها ، كما فخـــرت بأصولهـــا وأنسابها كأنما أدركت بسليقتها الصلة الوثيقة بين الجانبين،وأنَّ اللغة مرآة حياة الأمة ، ووعاء فكرها ، والسِّجلُ المُعَبِّرُ عن خصائصها وأساس التواصل الاجتماعي بين النَّاس ، فَلَمّا شُرِّفت العربية بنـــزول القرآن الكريم بها أصبح الاعتزاز منوطاً بتلـــك الكرامـــة الإلهية خاصة ، وباعثاً لدراستها لفهم آيات الذكر الحكيم ، وإدراك أسرار البلاغة فيها، وفهم الأحاديث النبوية ، وعمق دلالتها في أحكام الشـــريعة ، وفي آداب الســـلوك ، وحكمة الحياة وقيمتها[1].

وتتجلى في آيات القرآن الكريم مكانة اللغة العربية ، وسعتها وثباتهـــا ؛ فقـــد ذكرت عدة آيات أنَّه قرآن عربي :" إنا أَنْزلناه قُرْآناً عَربيّا لَعَلَّكم تَعْقِلُون "[2]

ونحو قوله تعالى :"لِسَانُ الّذي يُلْحِدُونَ إليه أعجميٌّ وهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبين"[3].

وقد تميّز العرب في الزمن الغابر بتقدير الكلمة الواضحة ، وتأثيرهم بها ، وفخـــر القرآن الكريم بأنه بلسان عربي مُبين " وإنَّهُ لَتنزيلُ رَبِّ العَالَمين نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمـــينُ على قلبِكَ لِتَكُونَ من المُنْذِرينَ بلِسانٍ عَرَبّيْ مُبين "[4].

وأنَّ القرآن الكريم كتاب مُبين (ذكرت في أربعةَ عَشر موضعاً) وأنَّه البـــلاغ المُبين (ذكرت في ثمانية مواضع) .

وأنَّ الرَّسول هو " النذير المبين " في اثني عشر موضعاً وذكر أن الرَّحمـــن عَلَّـــم القرآن خَلَقَ الإنسان ، عَلَّمه البَيَانِ"[5].

---

[1] – اللغة العربية والوعي القومي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية من مقال "العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي . الدكتور عبد العزيز البسام ص ٤٨ – ٤٩ .

[2] – سورة يوسف ٢ ، طه ١١٣ ، الزمر ٢٨ ، فُصِلَت ٣ ، الشورى ٧ ، الزخرف ٣ ، الأحقاف ١٢.

[3] – سورة النحل ١٠٣ ، سورة الشعراء ١٩٥ ، الأحقاف ١٢.

[4] سورة الشعراء ١٩١ – ١٩٥ .

[5] – سورة الرحمن ١ – ٤ .

إنَّ من أمتن ركائز إعجاز القرآن الكريم وضوح الفكرة ، وحسن التعبير، وهي خصائص كان العرب الذين نزل فيهم القرآن الكريم يقدّرونها ، ويتأثرون بها ، ومن أبرز ما تحدّى به القرآن الكريم المشركين أن يأتوا بكلام مثله "وَإِن كُنْتُم فِي رَيبٍ مِمّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورة من مِثْلِهِ"[1] .

فالعربية لغة القرآن الكريم ، وأساليبها هي الأساليب التي عبَّرَتْ عن المضامين التشريعية لهذا الدِّين الحنيف ، ولاشَكَّ أنَ ارتباط الفصحى بالقرآن الكريم كتب لها الحياة والاستمرار ، والغلبة ، والانتشار يقول يوهان فك : لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ، ففي ذلك العهد - وقبل أكثر من ١٣٠٠ عام - عندما رتل محمد (ص) القرآن على بني وطنه بلسانٍ عربي مبين، تأكدت روابط وثيقة بين لغته والدين الجديد ، وكانت ذات دلالة عظيمة في مستقبل هذه اللغة"[2] .

لقد اكتسبت اللغة العربية بفضل الإسلام بُعداً دينياً ، فازداد اعتزاز العربي بلغته، وكان طبيعياً أن يقترن الاعتزاز باللغة العربية بالأمة العربية التي اختارها الله لتحمل مسؤولية نشر الرسالة والدعوة إليها ، يقول الدكتور ياسين خليل [3]" لقد كان القرآن الكريم وهو أول كتاب عربي ؛ محور اهتمام العلماء والأدباء والمفكرين ، كما أصبحت السيرة النبوية محور اهتمام المؤرخين ، والمحدثين ، والفقهاء فإذاً القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف منبعان رئيسيان من منابع المعرفة العربية ، فكان أن نشأت حولهما الدراسات اللغوية والدينية ، والشرعية ، والتاريخية ، وكُلُّ ما يتصل بالحياة الاجتماعية الجديدة التي بَشَّرَ بها الإسلام ، وبهذا أخذ الوجود القومي العربي تترسخ

---

[1] - سورة البقرة ٢٣ .

[2] - يوهان فك : العربية دراسات في اللغة ، واللّهجات ، والأساليب ترجمة د . عبد الحليم النَجّار مطبعة الكاتب العربي ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥١ م ص ١ :

[3] - مجلة "اللغة العربية والوعي القومي من مقال للدكتور ياسين خليل"اللغة والوجود القومي" من ص٣٣٥ - ٣٦٠ .

دعائمه على أسس ثابتة من المعرفة ، والعلم ، والحكمة ، بحيث أخذت شخصية العربي تتوحد في خصائصها الجديدة ، وتتمايز بوضوح عن شخصيات لغوية وحضارية تنتمي إلى وجود قومي آخر ".

لقد استوعبت العربية تلك العلوم ، ووضعت المصطلحات ، فكانت ألفاظاً عربية ، صحيحة الوضع ، محكمة الدلالة .

واتسعت حياة العربية في ظل الحكم العباسي ، وعندما بدأت حركة الترجمة والنقل ، وبدأ احتكاك لغوي رائع بين علوم الفرس ، والهنود ، واليونان ، وبين لغة يُراد منها أن تستوعب كُلَّ جديد في الطِبَ، والصيدلة ، والرياضيات ، والفلسفة ، والمنطق استطاعت اللغة العربية أن تواجه هذا التحدّي الحضاري الذي هو تحدٌّ للوجود القومي العربي ، واجتازت هذا الامتحان الكبير ، وتمكّنت من استيعاب علوم الأوائل ، والتعبير عن الثقافات الأجنبية بدقة وموضوعية ، ونجحت لغتنا العربية بفضل المخلصين من العلماء أن تتغلب على الصعوبات والمشكلات الناجمة عن الترجمة والنقل واستطاع هؤلاء العلماء وضع المصطلح بالاشتقاق ، والتعريب ، ومنح اللفظ العربي القديم معنىً جديداً ، وغير ذلك من الوسائل التي تحيي اللغة ، وتجعل منها لغة العلم الحيّ ، والعصر المتطور وأثبتت العربية في فترة قصيرة من الزمن بأنها لغة رصينة للعلوم الإنسانية ، كما أنها لغة رصينة للعلوم الرياضية والطبيعية والعلوم التطبيقية [1].

كل ذلك يدل على أنَّ اللغة العربية حين حظيت من أبنائها بالرعاية والعزم والإخلاص ، استطاعت أن تستوعب ما نقل وما ترجم، واستطاعت أن تضطلع بعبء المصطلحات العلمية ، والفنية ، وتَثْبُت في عالم العلم لغة علم وتأليف وتدريس .

---

[1] – ينظر أ – د . مازن المبارك " اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي طبع دار النفائس – الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ص ١٢ – ١٣.

ب – اللغة العربية والوعي القومي من مقال الدكتور ياسين خليل المشار إليه آنفاً "اللغة والوجود القومي"

ثم تلت ذلك عصور متتابعة فقدت العروبة خلالها بهاءها ، وغلا فيها البهرج الزائف ، وخبا الجوهر الأصيل ، وخَلَفَ فيها خَلَفٌ أضاعوا أصالة اللغة ، فتركوا ألفاظها بلا روح ، وصورها بلا حياة ، ومصطلحها بلا ذوق ، فإذا هي لغة ضاع فيها الفكر تحت حجاب كثيف من الصنعة ، وابتعد بها أهلها عن حياة العلم والإبداع لابتعادهم أنفسهم عن تلك الحياة الزاخرة من حولهم في العالم المتطور وفي هذه الفترة من الزمن ، واللغة على ما وصفنا من ضعف وعزلة ، بدأ اتصال الغرب المتمدن بالشرق المتخلف فبدا واضحاً أنّ اللغة لا تستطيع أن تضطلع بأعباء التعبير عن متطلبات العصر ، ومعطيات العلم ، فكان هذا العجز الذي قيدت به اللغة فرصة للناقمين من أعدائها والجاهلين من أبنائها يأخذونها به طعناً وإزراءً [1] فشهد مطلع هذا العصر دعوات روجت للعامية بحجة أنها لغة الحياة في الشارع والسُوق ، والبيت ، وأنها مع ذلك سهلة ، لاتحوج الناطق إلى تَعَلُّم وتعليم ، وقد انطلقت هذه الدعوة - أول ما انطلقت - من حناجر طلائع الاستعمار الأوربي ، ورعاة مصالحه في البلاد العربية الحريصين على تمزيق وحدة هذه الأمة ؛حَتى تصير أشلاء ، لا حولَ لها ولا قوة، فتسهل هيمنتهم عليها ، وابتزازهم خيراتها ، وانتهابهم ثرواتها؛ من هذه الطلائع (وليم ولكوكس) الذي حشد كل ما استطاع من قوة ، داعياً إلى العامية ، والكتابة بها ، وجعلها اللغة الرَّسمية وكتب في ذلك وخطب ، وحشر الأعوان ، والأنصار واستأجر من الصحف ما استأجر لترويج دعوته هذه ؛ وإليه أشار شاعر العروبة في وادي النيل - حافظ إبراهيم - بقوله :

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادي بوأدي في ربيع حياتي.

إنّ قبول العامية قبول من حيث المبدأ بتعدّد اللغات في الأقطار العربية مستقبلاً،لأن العامية إذا قُبِلَت فسوف تنطلق هذه اللهجات العامية في طرق مختلفة في تطورها ، وتنتهي إلى

---

[1] - اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ص ١٣ - ١٤ .

تمزيق وحدة الأمة العربية ، فسوف يأتي يوم تصبح فيه لكل قطر لغة غريبة في إدراكها عن القطر الآخر ، بعيدة عن التراث ، وسفر الأمة العريق،منسلخة عن ماضيها التليد ، وتراثها الثَرّ وهذا ما تصبو إليه المؤسسات الاستعمارية ، والصهيونية ، والشعوبية فتعمل ما في وسعها لتحقيق هذا الهدف الخبيث ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد حسن الرحيم :"ومِمّا يؤدّي ذلك إلى قطع الاتصال اللغوي والفكري بين الماضي والحاضر ، وبين سكّان الأقطار العربية أنفسهم حين يجهل كُلُّ عربي لغته الأصلية ، ولايعرف إلاّ لغته المحلية كما حدث ذلك لمتكلمي اللغات الأوربية التي تفرعت عن اللغة اللاتينية كالفرنسية ، والإسبانية...الخ حيث بعدت الشقة بين اللغات الحديثة ، واللغة الأصلية "[1].

ولكن مهما يكن من أمر العامية وانتشارها فلقد بقيت الفصحى خالدة مادام القرآن الكريم خالداً ، وهذه الفصحى اليوم هي أداة التعبير عن الفكر والوجدان من الخليج إلى المحيط يقول د. شوقي ضيف [2]:"إن شعرا ء العالم العربي من الخليج إلى المحيط يتخذونها أداة للتعبير عن فكرهم ووجدانهم مع أن شعوبهم تتحدث بلغات عامية محلية كثيرة ، وهم أنفسهم يتحدثون في حياتهم العامة بهذه اللغات ، فلهم ولشعوبهم لغاتهم العامية الإقليمية ولهم في الوقت نفسه لغة موحدة هي الفصحى التي تشبه عملة يتداولها شعراء العرب منذ القديم في جميع بيئاتهم العربية " . فليست العامية خطراً إذا كانت لغة الشارع ، والبيت والعامة وهي تعايش الفصحى ، وتسير معاً جنباً إلى جنب تبقى فيه للفصحى المكانة المرموقة ، والقدح المعلّى ، والاحترام اللائق لأنها اللغة الرَّسمية التي تجمع شمل العرب ، وتوحد إذاعاتِهم وإعلامهم ، ومناهجهم ، وتراثهم ، وحصيلة أفكارهم ،لكن الخطر كل الخطر يكمن عندما تثار دعوات مشبوهة ، هدفها العزوف عن الفصحى ، وإحلال العامية بديلاً منها .

---

[1] – أحمد حسن الرحيم أصول تدريس اللغة العربية ، مطبعة الآداب النجف الأشرف ١٩٧١ م ص :٤ .

[2] – الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور دار المعارف مصر ١٩٧٧ م .

إن لغتنا العربية من أوسع اللغات قابلية للنمو بالاشـــتقاق إنّ هـــذه القابليـــة الاشتقاقية تضع في أيدي العاملين في حقل المصطلحات أداة فَعّالة ، وتُوَفِّرُ لهم إمكانات واسعة في صوغ الألفاظ للمدلولات العلمية المتزايدة يوماً بعد يوم .

لقد تطورت العربية بمفرداتها ؛ ومن بينها ما وضعته لمصطلحـــات العلـــوم ، و ماعَرَّبته منها ، في أساليبها وفنون التعبير بها ، فكانت بهذا كله وعاءً صـــان المعرفـــة الإنسانية بفلسفتها وعلومها ، كما كانت وعاءً أبدع أدباً إنسانياً رفيعاً ، ودلـــت في الحالين على حيوية وافرة ، وإمكانات في الغنى والتطور ، وثبتت بوصفها لغة الحضـــارة الإنسانية سادت الفكر العالمي عدة قرون ، وأثّرت في الحضارة المعاصرة ذاتها .

فليست العربية - بالنسبة لنا - كأية لغة أخرى ندرسها ، وليست مجرد وســـيلة للتعبير عن الأغراض، بل هي كما يقول الدكتور مازن المبارك[1]:"أعلى مـــن ذلـــك وأغلى، إنها لغة عاشت حياة أمتنا منذ أن تبلبلت بحروفها ألسن العرب إلى يوم النـــاس هذا ،فغدا بينها وبين المخلصين من الناطقين بها ما يشبه أن يكون صلة العضو بـالعضو، أو صلة الروح بالروح ؛ إنّ في كل حرفٍ من حروف لغتنا العربية ، وفي كل لفظ مـن ألفاظها معيناً من الذكريات ... لقد امتلأت بتاريخنا ، واستوعبت تراثنـــا وارتســـمت بألفاظها حضارتنا ... إن اللفظ من لغتنا ليس مجرد نبرة من صوت ، وإنما هو قطعة مـن فكر الأمة ، ونبضة من قلبها، بل هو شحنة غنية من كل عصر عاشه أو عاشته أمتنا، أثـــرٌ من تاريخ ، وقبس من فكر ، وطاقة من وجدان ".

ولهذا ذهب العَقّاد إلى أنّ الحملة على اللغة في الأقطار الأخرى إنما هو حملة على لسانها ، أو على أدبها ، وثمرات تفكيرها على أبعد احتمال ، ولكنَّ الحملة على لغتنا نحن حملة على كل شيء يعنينا ، وعلى كُلِّ تقليد من تقاليدنا الاجتماعية ، والدينية ، وعلى اللسان، والفكر ، والضمير في ضربة واحدة ؛ لأنّ اللغة إذا زالت خلفها في أكثر الأمـم

---

(١) - د. مازن المبارك نحو وعي لغوي طبع مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ص١٣٠ -١٣١.

مقومات أخرى لكنَّ زوال اللغة العربية ، لايُبقي للعربي أو المسلم قواماً يميزه عن سائر الأقوام ، ولايعصمه من أن يذوب في غمار[1] الأمم ؛ فلا تبقى له باقية من بيان ، أو عرف ، أو معرفة أو إيمان ، إن وحدة اللغة العربية وتواصلها ، واشتقاقها ، وتنوع تراكيبها وتعددها ، من أهم خصائصها ، ومن أهم دعائم الأمة ووحدتها ولن تقوم دولة العرب الكبرى من غير لغة موحدة تجمعهم، وتوحد مشاعرهم ، وتحقق مصالحهم ، وتعلي شأنهم بين الأمم ، وليس في العالم أمة لها لغة حيّة كلغة الضاد ، فيجب على العرب أن يعتزوا بلغتهم ، وأن يصونوها ، لأن الأمة التي تحتقر لغتها هي أمة تحتقر نفسها ، وتفرض على نفسها التبعية الثقافية ، إننا نرى في استخدام اللغة العربية في التعليم العالي شرطاً للإبداع العلمي ، وربطاً للجامعة بالمجتمع ، ورفعاً للمستوى الثقافي والعلمي للأمة ، إن دعوتنا إلى استخدام اللغة العربية في التعليم العالي لايعني أبداً إهمال اللغة الأجنبية أو التقليل من شأنها ، إن إتقان لغة أجنبية أمر واجب لابُد منه لمتابعة التقدم العلمي ولكن شَتَان ما بين إتقان اللغة الأجنبية وبين استخدامها بديلاً عن اللغة القومية .

إن الحفاظ على اللغة العربية وسلامتها حفاظ على الأمة ووحدتها ، وحمايتها من كيد الشعوبيين ، ودفاع عن الإنسانية وتقدمها ، والتمسك بها أول السبيل إلى الوحدة الكبرى ، وإنّ نشرها في العالم اعترافٌ بأمة العرب ودورها في بناء الحضارة الحديثة وخلق الإنسان الجديد .

---

[1] – عباس محمود العقاد أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص ١٢٧.

" من نهج البلاغة "

قال كُمَيْلُ بن زياد : أخذ بيَدي أميرُ المؤمنين عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى الجَبَّان[1] فلّما أَصْحَرَ[2] تنفس الصُّعداء ثم قال :

ياكُميلُ بنَ زيادٍ إنَّ هذه القلوبَ أوعيةٌ[3]، فخيرُها أوعاها[4]، فاحفظْ عَّني ما أقول لك :

الناسُ ثلاثةٌ : فَعَالِمٌ ربَّانيٌ[5] ، ومتعلِّمٌ على سبيل نجاةٍ ، وهَمَجٌ[6] رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ[7] يميلون مع كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ و لم يلجؤوا إلى رُكنٍ وثيقٍ .

ياكُمَيْلُ : العلمُ خيرٌ من المال ، والعِلمُ يَحْرُسُكَ وأنت تَحرُسُ المالَ ، والمالُ تَنْقُصُه النَّفَقَةُ ، والعلمُ يزكو على الإنفاقِ ، وصنيع المالِ يزول بزَوَالِهِ .

ياكميلُ بْنَ زيادٍ ، معرفةُ العلمِ دينٌ يُدَانُ بِهِ ، به يَكْسِبُ الإنسانُ الطَّاعةَ في حياتِهِ ، وجميل الأحدوثةِ بعدَ وفاتِهِ ، والعلمُ حاكِمٌ والمالُ محكومٌ عليه.

ياكَميْلُ ، هَلَكَ خُزَّانُ الأموالِ وهم أحياءٌ ، والعلماءُ باقون ما بَقِيَ الدهرُ ، أعيانُهم مَفْقُودةٌ ، وأمثالُهمْ في القلوب موجودةٌ .ها إنَّ هاهُنا لَعِلْماً جمّا (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبتُ له حَمَلَةً !

بلى أصبتُ لَقِناً غيرَ مأمونٍ عليه، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ للدنيا ، ومُسْتَظهِراً بنعمِ اللهِ على عباده ، وبحُجَجه على أوليائِه ، أو مُنْقَاداً لَحَمْلَةِ الحقِّ لابصيرةَ لَهُ في أَحْنائِهِ ، يَنْقَدِح الشَّكُّ في قلبه لأوَّلِ عارضٍ من شُبْهَةٍ . أَلاَ لاذا ولاذاك ! أو مَنْهُوماً باللَّذَّة سَلِسَ القِيَاد للشَّهوةِ ، أو مُغْرَماً بالجَمْعِ والادِّخارِ ، لَيْسَا مِنْ رُعاةِ الدِّينِ في شيءٍ ،

---

(1) ـ الجبَّان: كالجبانة ، المقبرة .

(2) ـ أَصْحَرَ : صار في الصحراء

(3) ـ أوعية : جمع وعاء .

(4) ـ أوعاها : أَحْفَظُها .

(5) ـ العالِم الرَّبَّاني : هو المتألِّه العارف بالله ، والمُتَعَلِّم على طريق النجاة إذا تمّ علمَه نجا .

(6) ـ هَمَجٌ : الحمقى من الناس، رَعَاع : الأحداث الطغام الذين لامنزلةَ لهم في الناس .

(7) ـ ناعق : مجاز عن الداعي إلى باطل أو حق .

أَقْرَبُ شيءٍ شَبَهاً بِهِما الأَنْعامُ السائمةَ ! كذلك يموت العلمُ بموتِ حامِلِيهِ. اللهم بلى! لا تخلو الأرضُ مِنْ قائمٍ لله بحُجَّةٍ :إمَّا ظاهِراً مَشْهوراً أَوْ خائِفاً مغموراً لِئلاَّ تَبْطُل حُجَجُ الله وبيِّناتُهُ. وكَمْ ذا وأينَ أولئكَ؟؟ أولئك - والله - الأَقَلُّونَ عَدَداً، والأعظَمُونَ عندَ الله قَدْراً ، يَحْفَظُ اللهُ بهم حُجَجَهُ وبيِّناتِهِ حتى يُودِعُوها نُظَراءهم ، ويَزْرَعُوها في قلوب أَشْبَاهِهم ، هَجَم بهمُ العِلْمُ على حقيقةِ البصيرة ، وباشَرُوا روحَ اليقين ، واستَلاَنُوا ما استَوْعَرَهُ المُتْرَفُونَ،وأَنِسُوا بما استَوحَشَ مِنْهُ الجاهِلُونَ،وصَحِبُوا الدُّنْيا بأَبْدَانٍ أَرْوَاحُها مُعَلَّقةٌ بالمَحَلِّ الأَعْلى . أولئكَ خلفاءُ اللهِ في أرضِهِ ، والدُّعاةُ إلى دينِهِ .آهٍ آهٍ شَوْقاً إلى رُؤْيَتِهِمْ!.

دراسة النص :

هذا النصُّ واحدٌ من نصوص حكيم الإسلام ورابع راشديه التي تكشف لنا بعض ما كان يتمتَّع به الإمام (عليٌّ) كرَّم الله وجهه من سبقٍ معرفيٍّ وإدراكٍ لقيمة العلم الذي به تُقاس حضارات الشعوب . في مجتمع غلب عليه الجهلُ - وقلَّ فيه حَمَلَةُ العلم ، ولعلَّ ذلك هو السبب في إخراجِ الإمام (عليّ) كُمَيْلاً إلى ظاهر الصحراء ، ضَنّاً بما عنده عن آذان الجَهَلة . والإمام (عليٌّ) يُدْرِك ما سيُلْقي من قولٍ ثقيلٍ على مسامع(كُمَيْلٍ)ولذلك نجدُهُ يُوقِظ فيه انتباهَهُ ، ويشحَذُ حضورَهُ ، فيخاطبه قائلاً :

"إنَّ هذه القلوب أَوْعِيَةٌ ، فخيرُها أَوْعاها ، فاحفَظْ عنّي ما أقول لك " ولايَخْفى أنَّ المخاطَبَ " كان شريفاً مطاعاً ثقةً"[1] مولعاً بحبّ أمير المؤمنين (علي) مُنْتَفِعاً بعلمه .

شَرَع الإمام بعد ذلك بتقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف. أمَّا الصنفُ الأوَّل فهو : العالِمُ الرَّبانيُّ ، وأمَّا الصنف الثاني فهو: المتعلِّم على سبيل نجاة ، وأمَّا الصنف الثالث فَهَمَجٌ رَعَاعٌ .ولو تأمَّلْنا هذا التقسيم تأمُلاً يَقْتضيه مقتضى الحال لرأَيْنا أَنَّ شُرّاح هذا النصِّ النَهْجي لم يُوفُوهُ حقَّه . فبعضُهم يرى أنَّ " العالم الربَّانيَّ "هو : المتألِّه العارف

---

[1] - انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني :٣ / ٣٠٠ ، ط : دار الكتاب العربي . والأعلام ، للزركلي : ٥ / ٢٣٤ ، دار العلم للملايين ، ط : التاسعة ، ١٩٩٠ م .

بالله ، وأنّ المتعلّم على سبيل نجاة هو الذي إذا أتمّ عِلْمَه نجا ، وأنّ الهَمجَ الرَّعَاع هم الحمقى من الناس[1] وبعضُهم يرى أنّ هذه القسمةَ صحيحةٌ وذلك لأنّ البشر باعتبار الأمور الإلاهيه : إمّا علمٌ على الحقيقة يعرف الله تعالى ، وإمّا شارعٌ في ذلك ، فهو بَعْدُ في السَّفَر إلى الله ، يطلُبُه بالتعلُّم والاستفادة من العالم ، وإمّا لا ذا ، ولاذاك ، وهو العاميُّ الساقط الذي لايَعْبَأُ الله[2]، وهذا الشرح لايوافق النصَّ ، إذ لو كان الأمر على نحو ما قيل لوجب أن يكون قول الإمام :"الناس ثلاثةٌ : فعارفٌ ربّانيٌ .." لكنَّ (عليّاً) لم يَقُلْ هذا - لأنّ العلم أعمُّ والمعرفة أخصُّ ، ولأنّ العلم يُقال لإدراك الكليِّ أو المركّب ، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط ، ولهذا يُقال : عَرَفْتُ اللّهَ دون علمته[3] . فالعالِمُ إذن هو الذي يُدْرِك القضايا الكليَّة ، وعلائقَ هذه القضايا بعضها ببعضٍ ، وليس المقصود بالعالم هنا العارفَ بالله ، أو المتأله ، فقط . وإنّما جاء وصْفُ الإمام (عليّ) لهذا العالم بأنّه : ربانيٌّ ، لا أنّه متفرِّغٌ لمعرفة الله تعالى فقط ، بل لِغَرَضٍ آخر ، إذْ كُلُّ عِلْمٍ أفْضى إلى مرضاة الله فهو عِلْمٌ ربّانيٌ ، ولايجوز أن ننسى رأي الإمام (علي) بأولئك الذين لبسوا العباءة ، وتخلّوا عن الدنيا ، فقد جاء أنّ العلاءَ ابن زياد قال لأمير المؤمنين : إني أشكو إليك أخي عاصم بن زياد . قال : وماله ؟! قال : لبس العباءة ، وتخلّى عن الدنيا ، قال : عليٌّ به ، فلّما جاء قال : يا عُدَيَّ نفسه ، لقد استهام بك الخبيث ، أما رَحِمْتَ أهْلَكَ وَوُلْدَك !! أترى الله أحَلَّ لك الطيِّبات ، وهو يكره أن تأخذها ؟! أنت أهْوَنُ على الله من ذلك[4] ولاريبَ أنّ الإمام (عليّاً) أدرى

---

[1] - انظر : نهج البلاغة ، شرح الإمام محمد عبده ، ص / ٧١٣/ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، الأولى ١٩٩٠ م.

[2] - انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي : ١٨ / ٣٤٧ - ٣٤٨، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: البابي الحلبي الثانية : ١٩٦٧م .

[3] - الكليّات ، لأبي البقآء الكفوي : ٣ / ٢٠٥ ، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري ، منشورات دار الثقافة ، دمشق : ١٩٨٣ م .

[4] - نهج البلاغة ، شرح الإمام محمد عبده : ٤٩٤ - ٤٩٥ .

بكلام النبي ﷺ، وأَوْلى بالاقتداء به ، والنبيُّ الكريم يقول : "كُلكم عِيالُ اللهِ ، وأحبُكم إليه أنْفعكم لِعِياله " وعلى هذا فالعالم الرَّبانيُّ هو الذي وضَعَ عِلْمَهُ لِنَفْعِ الناس كافّةً ، لا الذي لبِسَ العباءة ، وتخلّى عن الدنيا .

وأمّا الصنف الثاني من تقسيم حكيم الإسلام فهو المتعلّم على سبيل نجاة . وهذا القول يوحي لنا أنّ هنالك متعلّماً على سبيل نجاةٍ ، ومتعلّماً آخر على سبيل هَلاك ، فإذا كانت الغاية من طلب العلم إصلاح الشأن الخاصّ والعامّ، وإحقاق الحقّ، وفِعْلَ الخير كان على سبيل نجاة ، وإذا كانت الغاية من طَلَب العلم وسيلةً لتسخير كلّ شيءٍ طَلَباً للنفع الخاصّ وتعالياً على الناس ، كما يقول الإمام (عليٌّ) في سياق النصّ ، كان على سبيل هلاك .

وأمّا الصنف الثالث من تقسيم الإمام للنّاس فالهَمَجُ الرَّعاع ، أتباع كُلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريحٍ ، لم يَسْتَضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى رُكْنٍ وثيق . وهذا الصنف - كما نلاحظ - يصفه حكيم الإسلام بخمس صفات : همجٌ رَعَاع - أتباعُ كلّ ناعقٍ - يميلون مع كلّ ريحٍ - لم يَسْتضيئوا بنور العلم - لم يلجأوا إلى رُكْنٍ وثيق . وهذه الصفات الخمس تُعْتَبَر بنظر أمير المؤمنين خمسة أدواءٍ فتّاكةٍ ، تجب معالجتُها ، ولاتُوجبُ إسْقاطَ أصحابها - فالمريض الذي استعصى مرضُهُ يوجب على الطبيب بَذْلَ المزيد من العناية في معالجته حتى يَبْرأ ، ولايُوجبُ له تَرْكه في دائه حتّى يَقْتُلَه . وإذا نَظَرْنا إلى قول الإمام (عليٌّ) في عَهْدِه الذي عَهَد به إلى الأشتر النَخْعيِّ ، حين ولاّه مِصْر رأينا فيه رأفة الطبيب بمريضه ، وحُنُوَّه عليه ، يقول للأشتر :"أَشْعِرْ قلبَك الرحمةَ للرعيَّة ، والمحبَّةَ لهم ، واللطفَ بهم ، ولاتكوننَّ عليهم سَبُعاً ضارياً ،تَغْتَنِمُ أكْلَهم ، فإنّهم صِنْفان : إمَّا أخٌ لك في الدين ، وإمَّا نظير لك في الخَلْق ، يَفْرُط منهم الزَّلَل ، وتَعْرِض لهم العِلَل ، ويُؤْتى على أيْديهم في العَمْدِ والخَطَأ، فأَعْطِهم من عَفْوِك وصَفْحك مثلَ الذي تُحِبُّ أن يُعْطِيَك اللهُ من عفوه وصَفْحِهِ ، فإنَّك فوقَهم ، ووالي

الأمر عليك فوقَك،واللهُ فوق مَنْ ولاّك،وقد استَكْفاك[1] أمْرهم، وابتلاك بهم [2]"فالهَمَج الرعاع هم ضُعفاء الرأي ، وضَعْف الرأي هذا يسوق صاحبَه إلى اتِّباع كلِّ داعٍ ، سواءٌ أكان يدعو إلى حقٍ أم كان يدعو إلى باطل ، وذلك لِعَدَم قُدْرته على المحاكمة العقليَّة الصحيحة ، ومَنْ كانت هذه حاله فليس له رأيٌ ثابتٌ ، يميل مع الآراء حيث قالت . وما أحسنها من استعارةٍ حين قال :" يميلون مع كلِّ ريح"!! ومَنْ كان كذلك فهو لم يتسلّح بالعلم الذي يعطي الإنسان القدرة على تمييز الأشياء بعضها من بعض ، فيعرف خَيْرَها فيتَّبعُهُ ، ويعرف شرَّها فيجتَنِبُهَ ، فهو لم يلْجأ إلى ما يَعْصِمُهُ من الزَلَل لأنَّه لم يجعلِ العلم دليلَهُ ورائده .

معالجة هذا الصنف من الناس ليست بالأمر اليسير على الطبيب الحكيم ، ولكنَّها واجبةٌ بدليل قوله للأشتر:"وقد استكفاك أمرهم،وابتلاك بهم"ألا يشير هذا الابتلاء بهم إلى صبر الطبيب في معالجة مريضه المزمن؟حتَّى إذا استعصى الداء على الدواء ، كان آخر الدواء الكَيّ . وما أجملَ قولَ بدويٍّ الجبل في بيان قَسْوة أحكام المعريّ:

إنْ يَقْسُ في نَقْدِ الطِّباعِ ، فلم تكُنْ تُرجى لرحْمتها يَدُ الجَّراحِ[3]

فقسوة يد الجّراح في استئصالِ الداء حَنُوٌّ على المريض واهتمَامٌ به ، وعطفٌ عليه في آخر الأمر .

الإمام (عليٌ) لايلجأُ إلى هذا الدواء ما وجد إلى غيره سبيلاً ، وهو يطرح المعالجات الأخرى ، فيقول :"أَطْلِقْ عن الناس عُقْدَةَ كلِّ حِقْدٍ[4]" - "وأَلْزِمْ كلاً منهم ما لزمَ نَفسَهُ "[5] - " اختَرْ للحُكْم بين الناس أفْضَل رعيَّتكِ في نفْسِكِ ممَّن لاتضيق به

---

[1] - استكفاك أمرهم : طلب منك كفاية أمرهم ، والقيام بتدبير مصالحهم .

[2] - نهج البلاغة - الإمام محمد عبده/٦٢٢/ .

[3] - ديوان بدوي الجبل :/٣١٢/ - دار العودة - بيروت - ط : الأولى ١٩٧٨ م .

[4] - نهج البلاغة - شرح الإمام محمد عبده : / ٦٢٥ /.

[5] - المرجع نفسه : / ٦٢٧ / .

الأمور ، ولاتمحكه الخصوم [1]" - وتفقّد الخراج بما يُصْلِحُ أهْلَهُ ، فـــإن في صَلاحِـهِ وصلاحِهِم صَلاحاً لِمَن سواهم، ولا صلاح لِمَن سواهم إلاّ بهم ، لأن الناس كُلّـــهم عِيالٌ على الخراج وأهله "[2] " وأكثرْ من مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء"[3] هـــذه المعالجات تطيِّبُ مَنْ لم يَجِدْهم أهْلاً لِحَمْلِ عِلْمِهِ . فإذا زالـــت أســباب الأحقـــاد ، ووقف كُلٌّ عند ما ألزم نفسه، وأنْصَفَ القُضاةُ الخُصُومَ ، ونال الناسُ حقوقهم الماديَّة ، ودارسوا العلماء ، وناقشوا الحكماء ؛ أشْرفَ المريض على الشفاء . وذلـــك لأنّ زوال الأحقاد يروي القلوب بماء الحبِّ ، ووُقُوفُ كُلٍّ عند ما ألْزَمَ نفسه يمنع الجَوْر، ويوقف الطمع الذي يجر صاحبه إلى تجارة بائرةٍ ، وهذا شَأْنُ مَن استَعْمل آلة الدين للدنيـــا . وذلك لأنّ عدالة القضاء تمنع وُقُوعَ المظالم ، ولأنّ سلامة الإنْفاقِ وحُسْـــنَ ترشـــيدِهِ يَمْنعان الاحتكار ، ويُبْطلان الادِّخار ، ولأنَّ مُدارسَةَ العلماء ومناقشة الحكماء تقوِّيـان الرأي وتَجْلُوان العَقْل من صَدَأ الجهل .

هذه الأدواء تمنع صاحبها من أن يكون قائداً أو رائداً أو معلّماً تُقلّدُهُ الأمّـــة ، فإذا عُوفِيَ من تلك الأمراض أصبح مستعدّاً للنهوض واللّحاق بِرَكْب مَنِ اختارهم أمير المؤمنين حَمَلَةً للعلم الجمِّ الذي حواه صَدْرُهُ الواسع.ثمّ شرع في وصْف أولئك الحَمَلة ، فهم " الأقلُّون عَدَداً ، والأعْظمون عند اللهِ قَدْراً، يَحْفَظ اللهُ بهم حُجَجَه وبيِّناتِهِ، حتَّـــى يُودِعَها نُظراءهم،ويزرعوها في قلوب أشْباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ماااستَوْعَرَهُ المترَفون ، وأنسوا بمـــا اســـتوحش منـــه الجاهلون ، وصَحِبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلّقةٌ بالمحلِّ الأعلى ، أولئك خُلَفـــاء الله في أَرْضِهِ ، والدعاة إلى دينه"[4] .

---

[1] - نفسه : / ٦٣٢ / .

[2] - نفسه : / ٦٣٤ - ٦٣٥ / .

[3] - نفسه : / ٦٣٧ / .

[4] - نهج البلاغة - شرح الإمام محمد عبده : / ٧١٤ / .

وإذا تأمَّلْنا هذه الصفات وجدناها دواءً لتلك الأدواء ، فالهمج الرعاع دواؤهم الأقلُّون عدداً ، الأعظمون عند الله قَدْراً ، فأولئك حمقى ، وهؤلاء حكماء . وأتباع كلِّ ناعق دواؤهم من يَحْفَظ الله بهم حُجَجَه وبيِّناته ، لأنَّ أولئك ضعفاء الرأي وهؤلاء ينبوع الأدلّة والبّينات . ومَنْ يميل مع كلِّ ريحٍ دواؤه مَنْ باشروا روحَ اليقين ، فذلك لاثبَاتَ له وهذا راسخٌ كالجبل لاتزعزِعُهُ العواصف. ومَنْ لم يَسْتَضِئ بنور العلم، دواؤه من هجم به العلم على حقيقة البصيرة ، لأن ذلك تبلّد عن الانتفاع بالعلم ، وهذا اتَّقدت بصيرته بعلمه . ومَنْ لم يلجأ إلى رُكْنٍ وثيقٍ ، دواؤه مَنْ صحِبَ الدنيا بأبدان أرْواحها معلّقةٌ بالمحلِّ الأعلى ، لأنَّ ذلك لم يَسْتندِ إلى مايَحْفظُهُ مِنَ الانهيار ، وهذا تعلّق بعالَم الخلودِ والبقاء . وهكذا نرى أنَّ حكيم الإسلام يشخِّص الداءَ ويصف الدواء ببيانٍ هو الغاية في الرَّوْعة والتِّبيان .

ويقف (عليٌّ) عند أمْرين اثنين هما تنهض المجتمعات الإنسانيَّة هما:العلم والمال ، يحدِّد دور كلٍ منهما ، ويصحِّح خَطأ فَهْمِ الناس لمفهومَيْهما ، ويفاضل بينهما - وهما عاملا الحياة المعنوي والماديُّ فيقدِّم العلم على المال، ويقيم على ذلك الأدلّة باعتماد مقارنة الضدِّ بضدِّه (وبضدِّها تتميّز الأشياء) ، وذلك على النحو التالي :

العلم حارس	المال محروسٌ
العلم يزكو على الإنفاق	المال تُنْقِصُهُ النَّفقة
العلم فائدتُهُ باقية	المال صنيعه يذهب بزواله
العلمُ حاكم	المال محكومٌ عليه

العلم يكسب صاحبَهُ الطاعة في حياته :

وجميل الأُحدوثة بعد وفاتِهِ هَلَك خُزّان المال وهم أحياء

تفضيل العلم على المال في قول (عليٌّ) ليس إلغاءً لدور المال ، لأنَّ المفاضلة لاتكون إلاَّ بين شيئين مشتركين في صفةٍ ما ، وهذه الصفة هاهنا هي الخير ، ولكنَّه تصحيح لفَهْم الناسِ الخاطئ في تقديمهم المالَ على العلم ، لأنَّ العلم هو الذي يخطط

للخير الإنساني، ويرسم منهج الوصول إليه ، أمّا المال فهو الأداة للوصول إلى ذلك ، ولاشكَّ أنّ المنهج هو الأهم . فالمنهج السليم هو الذي يعلّمنا كيف تصيح الأرض البور مواسمَ خِصْبٍ وعطاء ، وهو الذي يجعل من صخور الأرض الصُمِّ قلاعاً ومدارسَ ومشافيَ ، تقدِّم الحمايةَ والوَعْي والعافية للناس ، وهو الذي يجعل من سُمِّ الأفاعي دواء ، وهو الذي يحوِّل العائق إلى واسطة، والمِحْنة إلى مِنْحة .

أمير المؤمنين في هذه المفاضلة يشير إلى أهميَّة هذين العنصرين في حياة المجتمعات الإنسانيَّة ، ويحذِّر من سوء استعمالهما مشيراً إلى خطورة ذلك ، لاسيَّما أنّ الفطرة الإنسانية مشدودةٌ بعنفٍ إليهما ، ولايفوتنا أن نذكر في هذا السياق قول الرسول /ص/ :"منهومان لايشبعان : منهوم بالعلم ، ومنهوم بالمال ". فإذا ما استُخْدِم المال بإدارة العلم تطوّر المجتمع ، وارتقى سُلَّم الحضارة ، وإذا ما سُخِّر العلم تحت قيادة المال كان وبالاً على البشريَّة جمعاء ، وكانت الحال كما يُقال في المثل الشعبي : فلان يمشي على رأسه ، ويفكر بقدَميْه ، فتأكيدُ (عليّ) على تقديم العلمِ وتفضيلِهِ على المال تأكيدٌ على المنهج الإنساني القويم .

هذا بعضٌ من ظلال نصّ الإمام (عليّ) يتجلّى من خِلالها أنّ النصَّ النهجي قبل كلّ شيءٍ هو نصٌ منهجيٌ عِلاجيٌ يقوم على وعْيٍ عميقٍ لحال المجتمع الإنساني ، وقد بيَّن فيه أمراض هذا المجتمع الفتّاكة ، ووصف لها دواءها ، ورسم منهجاً دقيقاً لتوظيف طاقات ذلك المجتمع توظيفاً يقوِّم أَوَدَهُ ، ويصحِّح أخطاءه . كلّ ذلك ببيانٍ أذْهَلَتْ بلاغتُهُ قُدامى دراسية ومحدَثيهم،وحُقَّ لبعضهم أن يقول: إنّ كلام أمير المؤمنين أمير الكلام . ولاغرابة في ذلك فالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم قال " أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها " .

نصان جغرافيان:

١ ـ آلية حدوث الهطول

قال ابن رشد :

إنّ الهواءَ الحارَّ الرَّطبَ بارتفاعه وتبَّرده يتعرَّض لتكاثف بخارِ مائه مُتكوِّناً منه السَّحاب الذي بازدياد التكاثف فيه يتحوَّلُ إلى قَطْرٍ من الماءِ يسقط إلى سطح الأرض. وما لايمكن أن يسقط من الغيم لصغره ، أو مالا يستحيل منه إلى ماء فيتخذ شكل الضَّباب الذي هو دليلٌ وعلامةٌ لصحو السماء .

وأمّا السببُ في اختلاف المطر حتى يكونَ منه الوابل والرَّشُ وغير ذلك من أصنافه ، فهذا يعود إلى درجة حرارة الهواء الرَّطب المرتفعِ والمبرَّدِ مع ارتفاعه ، فإذا كان حاراً حَدَثَ تكاثفُ بخارِ مائه بسرعةٍ كبيرة مُتشكِّلاً منه نقطٌ كبارٌ منها الوابلُ ، وبخاصة إذا ما كان هناك تضادٌ كبيرٌ بين الهواءِ الحارِ المتصاعدِ وبردِ الهواءِ الأَعْلَى ، أمَّا إذا كان الهواءُ الرطبُ معتدلاً في حرارته ، وتبرَّدَ ببطءٍ عند صعوده فسيكونُ الهطولُ بصورة الرَّشِّ والرذاذ ، وما كان بين هذين الطرفين فهو متوسط .

من "الآثار العلوية" لابن رشد (ص ٢١- ٢٢)

٢ ـ صعود البخار

وجاء في إخوان الصفا ـ الجزء الثاني ، الرسالة الثامنة عشرة ص : ٧٤ عن صعود البخار :

"... فإذا ما تعرّضَ البخارُ الرطب إلى بَرْدِ الزمهرير من فوق ، غَلُظَ البخارُ ، وصارَ ماءً ، وانضمَّت الأجزاءُ بعضُها إلى بعضٍ وصارت مطراً ، وإذا عرضَ لها الثِّقلُ أخذتْ تهوي من أعلى سمكِ السَّحابِ ، ثم تتراكمُ وتلتئمُ تلك القَطْرُ الصِّغارُ بعضها إلى بعضٍ ، حتى إذا ما طَرَحَتْ من أسفلها ، صارت مطراً كبيراً ، فإنْ عَرضَ لها بَرْدٌ مُفْرِطٌ في طريقها جَمُدَتْ وصارت بَرَداً قبل أنْ تبلغَ إلى الأرض ، فما كان منها من

أعلى السحاب هو الذي يصير بَرَداً ، وما كان من أسفل السحاب كان مطراً مختَلِطـــاً مع البَرَد".

إضاءة على النصّين :

شغلت علومُ الأرضِ أذهانَ العربِ منذ القدم فحللـــوا الظـــاهراتِ الكونيـــة والطبيعية،وكادت آراؤهم تضاهي التفسيرات العلمية الحديثة في كثيرٍ من القضايا العلمية على الرغم من أن أدوات البحث لم تكن متوافرةً لدى العلماء العرب قديماً .

لقد برع العرب في علم الفلك بسبب بيئتهم الصحراوية الصافيـــة ، وفسَّـــروا الظاهراتِ الجوية " المناخية" ذات العلاقة بنشاطهم الاقتصادي ، وحياتهم الاجتماعيـة ، وراعَوا في تنقُّلاتهم وتجارتهم تقلُّباتِ الطقس ، والتغيّرات المناخية المتباينة ، وقد صوّر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى "لإيلافِ قُريش إيلافِهم رحلةَ الشتاءِ والصيف..."[1].

ولم يكتفِ العلماءُ العرب برصد الظواهر فحسب ، بل عملوا على دراســـتها وتعليلها ، وتدوين ذلك فيما تركوا لنا من مؤلّفات ، فهذا الفيلسوف والعالِم "ابـــن رشد"[2] الذي أطلق عليه الأوربيون اسم "الشارح" لاهتمامه بشرح كتب أرســـطو ، يوضّح حدوث المطل في كتابه "الآثار العُلْوية " فيقول : إن الهـــواءَ الحـــارَّ الرطـــب بارتفاعه وتبرّده يتعرض لتكاثف بخار مائه متكوّناً منه السحاب الذي بازدياد التكـــاثف فيه يتحوّل إلى قطر من الماء يسقط إلى سطح الأرض ..." ففي هذا الكلام يحدد ابـــن رشد آليةَ تشكُّلِ المطر وهطوله ، والشروطِ المناخية التي تساعد على تكوّن قطـــرات المطر . ويتابع قائلاً " وما لايمكُنْ أنْ يسقطَ من الغيم لصغره ، أو ما لايستحيلُ منه إلى ماء فيتخذ شكلَ الضباب الذي هو دليل وعلامة لصحو السماء " وهنا يفسِّرُ ابن رشد

---

[1] – سورة قريش : الآية ٢٠١ .

[2] – ابن رشد : هو محمد بن أحمد بن رشد ، يُكنّى بأبي الوليد ، وُلِدَ في قرطبة بالأندلس ١١٢٦ م أهم كتبـــه : تهافت التهافت – وهو كتاب في الفلسفة ، وألفَ رسالة في العقل وأخرى في النفس ، وثالثـــة بعنـــوان : الكشف عن مناهج الأدلة .

ظاهرةَ تشكّلِ الضباب ، وهي الحالة التي تبقى فيها ذراتُ الماء عالقـــةً في الهـــواء لأن قوانين سقوطها إلى الأرض ، من جاذبية أرضية وتأثير ثقالتها لم تتهيَّأ ، ونشير هنـــا إلى أن العلم الحديث لم يُضِفْ شيئاً إلى ما توصَّلَ إليه ابن رشد منذ مئات السنين .

وقد بيَّنَ لنا ابنُ رشد في نصّه السابق أنواعَ المطر ومسمياتها ، وربط بين هـــذه الأنواع والظروف المناخية كدرجة الحرارة والرطوبة والارتفاع،ودور كل عامل من هذه العوامل في تشكّل نوع المطر أو اسمه* .

إن النصَّ السابقَ يوضِّحُ لنا ظاهرةً طبيعية بمنهجٍ علمي ، والنتائج التي توصَّـــلَ إليها ابن رشد لاتتعارض مع ما توصَّل إليه العلم الحديث بأدواته وطرائقـــه المتقدِّمـــة قياساً إلى عصر ابن رشد ، ويكمن الفرقُ في استخدام المصطلحات العلميـــة الحديثـــة كما أرساها العلم الحديث في هذه الأيام .

وقبل ابن رشد ، قام "أخوان الصفا وخلّان الوفا"** في القرن العاشر الميـــلادي ، بإيراد أمثلةٍ تجريبية عن كيفية صعود البخار وتكاثفه على شكل قطرات مـــن المـــاء ، وبهذا كانوا سبّاقين إلى تعليل بعض الظاهرات الطبيعية التي أرستْ أسسَ علمِ الميـــاه " الهيدرولوجيا" فقد أشار "أخوان الصفا" إلى نظرية التصادم والالتحام الحديثة التي تفسِّرُ آلية حدوث الهطل "المطر" من الغيوم الدافئة ، وكانت أبحاث العلماء المعاصرين مـــن مثل لونغموير (Longmuir) ولُودلِم (Ladlan) و:دوين (Dwen) مؤكّدةً لما توصّل إليـــه أخوان الصفا .

---

* – أورد الثعالبي في كتابه " فقه اللغة " ثلاثة وأربعين اسماً للهاطل المائي" المطر" مُدّللاً فيها على أنـــواع المطـــر ، وأوصاف كل نوعٍ منها .

** – أخوان الصفا وخلان الوفا : جمعية سرية من العلماء والأدباء والفلاسفة ، جمعت بينهم رابطة العلم والثقافـــة ، فألّفوا جمعية في مدينة البصرة ، من أشهر أعضائها : المقدسي (أبوسليمان محمد بن معشر البستي) وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد المهرجاني ، والصوفي ، وزيد بن رفاعة ، وقد دوّنوا فلســـفتهم في / ٥٢ / رسالة ، مُقسَّمة إلى أربعة أقسام .

، ويتضح من خلال النص السابق كيفيةَ تشكُّلِ الهطل الصلب (البَرَد والثلج) من الغيوم الباردة جداً ، كما في قولهم "... فإنْ عرضَ لها بَرْدٌ مُفْرِطٌ في طريقها ، جمدت وصارت بَرَداً ، وما كان من أسفل السحاب ، كان مطراً مختلطاً مع البَرَد ." وهذا التعليل يشكل أساساً لنظرية العالِم : بيرجيرون (Bergeron) . وما توصّل إليه أخوان الصفا بشأن تشكّل البَرَد لم يزل مُعْتمداً علمياً حتى يومنا هذا ، وهذا ما يدفع بنا إلى القول : إنَّ علماءَ العرب سبّاقون في كشف قوانين الطبيعة ونواميسها ، وقد برعوا قديماً في علوم اللغة والفلسفة والطب والرياضيات ، وأسسوا نظريات علميةً حديثة ، استفاد منها الأوربيون كثيراً في مرحلة عصر النهضة ، وقد آن لنا أن نسير على طريق علمائنا في البحث العلمي والاستفادة من تراثنا ومن معطيات عصرنا العلمية لبناء نهضة عربية شاملة ، تعيد لأمتنا دورها الريادي ، وموقعها المشرِّف في خارطة العالم المعاصر.

نص فلسفي: كينونة الإنسان

أورد أبو حيّان التوحيدي في المقابسة[1] الرابعة والخمسين سمعت عيسى بن علي ابن عيسى يقول :

لو أنّ الأوّلينَ اجتمعوا في صعيد واحد ، وأُعيرَ كلُّ واحدٍ قوةَ الباقين ثم مّجدوا العقل مُطْنبين مُسْهبين ، ووضعوا شعاعه ونوره ، وشرفَه ، وبهاءَه ،ونبلَه وكمالَه ، وبهجتَه وجمالَه ، وزينتَه وفعالَه ، لما بلغوا منه حّداً ، ولااستوعبوا من ذلك جزءاً، انظرْ إلى مَنْ فَقَدَهُ ولو يوهبْ له شيء منه ، كيف يُرفضُ ويُخذلُ ، ويُعادي ويسترذل ويُهرب منه ، ويَستوحِش من قربه وكلامه حتى ولده .

قال : وأمّا الحياةُ ، فإنها ينبوعُ الفرح واللّذة ، والفهم والمعرفة ، والحس والحركة ، لاتمام للإنسان إلاّ بها ، ولاقوام له إلاّ معها ، ولذلك إذا نُظرَ إلى الميت استُوحِشَ منه ، وعُوجِلَ به إلى القبر ، وأُبعدَ في الأقطار ، لأن الحياةَ ، التي كانتْ مهادَ الأنس ، ورباطاً بين النفس والنفس قد فُقدتْ "

قال : وتجري العافية بعد هذين مجراهما . ذلك أن العليل متى طالت علّته ، واشتدتْ وَعَظُمَتْ ، تلكأ عنه آنسُ الناس به ، وهربَ منه أَحْدَبُ الناسِ عليه ، فالعقل والحياةَ العافية أثا في النعمة الكبرى ، ودعائم العطية الأولى ، وكل ما عداهنّ فهو دونهنَّ ، وكلما فارقهن يسقط عنهنَّ ، فالحياة وعاء ، والعقل متاع ، و العافية استعمال ، ثم قال : نسأل الله حياة طيبةً ، وعقلاً نافعاً ، وعافية متصلة .

قيل له : لِمَ لَمْ تذكرِ الفقر ،وهو من قبيل الموت، ولاالغنى وهو من خير الحياة ؟ فقال : كل هذه الأشياء ، بعد الحياة والعقل والعافية فروع . فإن الإنسان بعقله يصبر على الفقر ، وبعقله يجتلب الغِنى ، وبعافيته يبلغ الغاية ، ويكسب السعادة ، والعقل بجميع أحوالهِ يتصرّف بثمر الراحة مرَّة ، والصبر مرة ، ويريه الحكمة فيما ساء وسرّ ، ويؤديه إلى السعادة في كل ما أقبلَ وأدبر ، لأنَّ العقلَ جوهر متى حلَّ شخصاً أضاءَه وأَنارَهُ ومتى فارَقَ شخصاً كدَّره وأبارَه . انتهى

---

[1] – من المقابسات "ص ١٨٢ –١٨٤ تحقيق وتقديم : محمد توفيق حسن دار الآداب، بيروت ، ط٢ ١٩٨٩م.

إضاءة على النص:

أبو حيّان التوحيدي واحدٌ من ألْمع أدباء العربية،وأجملهم بلاغةً ، كَتبَ فأبدعَ، واختار فأحسنَ الاختيار ، ووظّف ثقافته ومعارفَه فأجاد في التوظيف ، ولذلك استحقَّ بجدارةٍ لقب " أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ".

والنصُّ الذي اختارَهُ ، واخترناه لكَ هنا ، هو لعيسى بن علي الرُّماني أحد الفلاسفة العرب الذين لم تكتُبْ لهم ديمومة الشهرة على الرغم من اهميته ، وشهرته في زمانه ، والسببُ الأساسُ في ذلك هو أنه على شديد أهميتهِ ، وعلو مكانته في الفكر والفلسفة والأدب ، لم يُوجد بين أفكاره من الصِّلات ما يمنحها وحدةَ المذهب الفلسفي ، مما يرقى به إلى استحقاق لقب الفيلسوف بالمعنى الاصطلاحي .

بدأ الرُّماني التعبيَر عن فكرته بشرطية امتناع الوجود التي توحي باستمرارية الامتناع ، ومادةُ هذا الامتناعِ هي اجتماعُ الناسِ كلِّهم في مكانٍ واحد ، مع امتلاكِ ، أو كَوْنِ كلِّ واحدٍ منهم ، في قوةِ عقلهِ وفكره وجسده مُسَاوِيا لما يمتلكه الآخرون ، كلّهم معاً ، وَوُظِّفَتْ من ثمَّ هذه القوى من كل واحدٍ على حدة في محاولة إعطاء العقل حقّه من الوصف والتقريظ لأخفقوا في بلوغِ جزءٍ واحدٍ من أجزاءِ أهمية العقل، وما يستحقُّه من التقريظ . وهذا يُحيلُنا على الفور إلى ما انجلى مؤخَّراً من حقائقَ علميةٍ عن قدراتِ الدِّماغ ، التي تؤكّد أنَّ الإنسانَ ، في الوَسَطي ، لايستثمر أكثرَ من واحد في المليون من قدرات دماغه .

لكنَّ رهافةَ فكرِ فيلسوفِنا ، وإيمانَه بقدسيةِ الإنسان ،وتميّزَه ببصيرة ثاقبة ، نأتْ به عن التعامل الكَمّي مع العقل ، فاستنبطَ له من صفاتِ الألوهةِ أوصافاً ، جعلها معاييرَ لتقويمِ هذا العقل في سبيلِ تمجيده ، وقد كان من الذائع في الفلسفة العربية الإسلامية ، أنَّ الله قد خَلَقَ الإنسانَ على صورتِه ، وخصَّه دون الخلائقِ ببعض صفاتِه ولأنَّ الله – عزَّ وجلَّ – تعالى على النَّقصِ ، وجلَّ عن السوءِ ، فإنَّ العقل كذلك أيضاً في صفاته وخصائصه ، لأنه وديعةُ الله في الإنسان ، فكان واجبُ العقلِ ألاّ ينظرَ إلى

العقلِ ، أيْ إلى ذاتِه ، إلاّ من خلال النور والبهاء ، والشرف والكمـــال ، والبهجـــة والجمال ، والزينة والفعال .

ويُستدلُّ على وجوبِ النَّظَر إلى العقل من خلال هذه الصفات ، تلك المعاملـــةُ التي يلقاها مَنْ فَقَدَ عقلَه ،أو لم تُوهَبْ له نعمة العقل ، حيث يُرفَضُ ويُخْذَل ، ويُعـلدَى ويُسْتَرْذَل ، ويهرب منه البَشرُ ، حتى لايُطاقُ له قربٌ من أَقْرَبِ الناسِ إليه .

فإذا كان العقلُ هو المنحة القدسية التي سَمَتْ بالإنسانِ على الخلائقِ في ذاتـــه ، وفي الخلائق الأخرى ، فإنَّ العقلَ من دون الحياة لامعنى له ولاقيمة ، والحياةُ في نَظَـــرِ الرُّمـــاني ليستْ محضَ انبثاثِ الروحِ في الجسدِ ، وإنما هي الحيوية ، أو تَدفُّقِ الســـيالةِ الوظيفيـــة في أوصالِ هذا الجسد بتدبير العقلِ ، أي قيام العقلِ بما أُنيطَ به من وظـــائفَ محمولـــةٍ علـــى الصفات التي اختُصَّ بها كالنور والشرف والكمال وزينة الفعال ... وقيـــامُ العقـــل بهـــذه الوظيفة هو مَبْعَثُ الفرحِ واللذّةِ في الفهم والحسِّ والحركةِ والمعرفة،لأنـــه بذلـــك يكـــون إنساناً، ولو كان عقلاً مَحْضاً لكان مَلاَكاً والإنسانُ أعزُّ عند الله من المَلاَك وأسمى .

لكن العقل مع الحياة لايكفيان لاكتمالِ كينونةِ الإنسانِ فوجودُهما مُنْفصلَيْـــن أو مجتمعَيْن في الذاتِ الإنسانيةِ،يخرجهما عن ممارسة وظيفتيهما أو يحولُ دون ممارسة هـــذه الوظيفة على ما ينبغي أن تكونَ عليه .

ولذلك لابدَّ لهما من السلامة مِمّا يعطلهما عن أداءِ دورِهما ، فإذا ما تحقق لهمـــا ذلك ، تكون كينونةُ الإنسان قد اكتملَتْ ، ونعمةُ اللهِ عليه في ذلك قد تَمَّتْ ، مـــهما أصابه من أعراضٍ لأنَّ كلَّ عرضٍ قابلٌ للتغيّرِ أو للزوالِ .

النصُّ في الحقيقةِ غنيٌّ بأفكاره ، وهو مفتوحٌ على كثيرٍ من آفـــاقِ الـــرؤى ، و ميادين الكلام ، وما قدمناه هنا ، ليس إلا وجهاً من أوجه هذه الرؤى ، ويمكننا إجمالها ثانية في النقاط التالية :

١ - تميّز الإنسان من الخلائقِ بالعقل .

٢ - عدم اكتمال التميّزِ بالعقل من دون الحياة .

٣ - العقل والحياة لايكتملان من دون العافية .

٤ - كلٌّ ماعدا العقل والعافية والحياة أعراضٌ لاجواهر .

٥ - هذه الأعراضُ فروعٌ لا أصول .

٦ - الأصول تقوم من دون الفروع ، ولاتقوم الفروع من دون الأصول .

٧ - اكتمال الأصولِ سبيلٌ لسلامة الفروع .

٨ - الأصول أساسية وجوهرية والأعراض مُتغّيرة وقد تزول .

وفي الختام لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذه الأفكار قد نُسِبَتْ إلى "الرُّماني" بالسماع، لكن "التوحيدي" نقلها إلينا ، بلغته المُنمَّقة ، وبأسلوبه الناصع المُشرِق .

نص في الشريعة والحقوق

أوصى "عمرُ بنُ الخطاب " رضي الله عنه الخليفة من بعده فقال :

أُوْصِيكَ بتقوى الله وشدّةِ الحذر منه ، ومخافة مَقْتِهِ أنْ يطّلعَ منكَ على رِيبـــة . وأوصيك أنْ تخشى الله في الناسِ ، ولاتخشَ الناسَ في الله . وأوصيكَ بالعدل في الرَّعيـةِ والتفرّغ لحوائجهم وثغورهم . ولاتُؤْثِرْ غَنِيَّهم على فقيرهم فإن ذلـــك - بـإذن الله - سلامةٌ لقلبكَ ، وحَطٌّ لوِزْرِكَ ، وخيرٌ في عاقبة أمركَ... وآمُرُكَ أنْ تشتدَ في أمر الله وفي حدوده ومعاصيه على قريبِ الناسِ وبعيدهم ، واجعلِ الناسَ سَواءً عندك ، ولاتبـــالِ على من وَجَبَ الحقُّ ، ولاتأخُذْكَ في الله لومة لائم ، وإياك والأَثَرة والمحابـــاة ، فيمـــا ولاّك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجورَ وتظلِمَ ، وتحرمَ نفسَكَ من ذلك ممـــا قـــد وَسَّعَهُ الله عليك .

وقد أصبحتَ بمنزلةٍ من منازلِ الدنيا والآخرة ، فإنْ اقترفتَ لدنياك عدلاً وعفّـــةً عما بسط الله لك ؛ اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإنْ غلبَكَ عليه الهوى ، ومالتْ بـــك شهوةٌ اقترفتَ به سخطَ الله ومعاصيه وأُوصِيكَ ألاّ تُرَخِّصَ لنفسك ولا لغيرك في ظلـــمِ أهلِ الذِّمَّةِ وقد أَوْصَيْتُك وحَضَضْتُكَ ونصحتُ لك ، فابتغِ بذلكَ وجـــه الله والـــدار الآخرة .

من البيان والتبيين : ٢ / ٤٦ - ٤٧ / .

إضاءة على النص :

لما أُسنِدَت الخلافة إلى "عمر بن الخطاب " رضي الله عنـــه ، نهـــض بأعبائـــها برجاحة عقله ، ونفاذ بصيرته ، وبلاغة لسانه ، وقد تحققت في عهده الميمون إنجـــازات عظيمة للدولة الإسلامية الناشئة ، فانطلقت جيوش الفاتحين لنشرِ الدعوة الإســـلامية ، وتمّ لها فتحُ بلاد فارس والشام والعراق . وأفاء الله على المسلمين آنذاك الكثـــير مـــن الفيء والخراج والغنائم ، غير أنّ ذلك كلّه لم يغيّر ، أو يبدّل من سلوك الخليفة الثاني ، صاحب المنزلة الدينية والدنيوية الأولى في الدولة الإسلامية الشاسعة ، لابل إنه كـــان

قدوةً للرعية في بساطة حياته وسلوكه ، ولعل أكثر ما عُرِفَ عنه : عدله ومساواته بين الناس،مما جعل منه قدوةً ومِثالاً يطمحُ إلى مجاراته الكثير من الخلفاء والحكام ممن أتـــوا بعده ، والنص الذي بين يديك يعبِّرُ عن بعض خصاله الرفيعة وسجاياه النبيلة .

يمكننا أنْ نلخِّص أهمَّ الأفكارِ في الوصية على النحو التالي :

١ - الخوف من الله وليس من الرعية .

٢ - إشاعة العدل والمساواة بين الناس ، وعدم التمييز فيما بينهم أمام القانون .

٣ - الشدة في تنفيذ حدود الله دونما تفريق بين الرعية .

٤ - السهر على راحةِ الناسِ وأمْنِهم .

٥ - التذكير بالثواب والعقاب .

٦ - رعاية أهل الذِّمَّة .

وقد تنّوع الأسلوب الذي استخدمه الخليفة الثاني في وصيته هذه ، فهو ينتقـــل من النهي "لاتؤثر ، لاتبالِ ، لاتأخذْك...." إلى الأمر " واجعلْ " إلى التحذير "إيـاكَ" ثم يأتي التكرار ، ولاسيّما في الفعل."أوصيك" مع بداية كـــل فكـــرة ، وتتـــوالى هـــذه الأساليبُ دونما إكراه أو استعلاء على الرغم من صيغة الأمر والنهي ، ولعل الصيغـــة التي توحي بالشدّة ، ويتخذ فيها الخليفةُ موقعَ الآمر هي في قوله "وآمُرُك أن تشـــتدَّ في أمر الله ، وفي حدوده ، وفي معاصيه..." وهي كما ترى تتعلق بالأوامر والنواهي الإلهيـة حيث لامجال للتهاون ، أو الإغضاء عن تنفيذها .

ولعلك تلاحظ كيف يتبّدلُ المعنى مع تقديم كلمةٍ على أخرى كمـــا في قولـــه: "وأوصيكَ أن تخشى اللهَ في الناسِ ، ولاتخش الناسَ في الله "، فالجملة الأولى تعـــني : أنْ تعامِلَ الناسَ بالعدل والحقّ ، أمّا الجملةُ الثانية فمعناها ألا تهتـــمَّ برضـــى النـــاس أو سخطهم ، إذا كان ما تفعله هو الحق ، وإذا كان منسجماً مع الشَّرعِ الإسلامي .

ومما يُلاحظُ على هذا النص : الوضوحُ في الأفكار والمعاني على الرغم من ورود بعضِ الكلماتِ غير المُستَخدَمةِ في لغتنا المعاصرة لدى عامة الناس ، مثـــل : الثغـــور ،

وأهل الذِّمَّة ، فالغاية الأساسية ليست انتقاء المفردات أو اختيار التراكيب الفخمة - وهو المقتَدر على ذلك بما عُرِفَ عنه من الفصاحة والبلاغة - وإنَّما الغايةُ الأساسية تتعلق بالتأكيد على جملةٍ من المفاهيم والقيم التي يصلح بها حال المجتمع ، وتزداد مناعته وترابطه من خلالها ، وهي قيمٌ منبثقة من روح الشريعة الإسلامية السمحاء ، ومن سُنَّةِ الرسول الكريم (ﷺ).

فالمهمُّ هنا هو الفكرةُ ذاتُها ، وليس طريقةَ عرضِها أو تقديمها إلى المتلقي ، لهذا نلحظ ندرة الأسلوب البياني من تشبيهات واستعارات وكنايات ، كما نرى غياب الإيقاع الموسيقي المتأتي من السجع ،سوى ما نلحظه في قوله" فإنَّ ذلك سلامةٌ لقلبكَ، وحَطٌّ لوِزْركَ ، وخيرٌ في عاقبةِ أمرك " حيث تتكرر الكاف في نهاية كل عبارةٍ من العبارات الثلاث ، مما يولِّدُ إيقاعاً موسيقياً ناتجاً عن التكرار ، ولاننسى أنْ نشيرَ إلى الإيقاع غير الموسيقي الناتج عن استخدام ظاهرة الطباق كما برزت في هذه الثنائيات المتناقضة : غني : فقير ، قريب : بعيد ، الدنيا : الآخرة . العدل والفقّه : الهوى والشهوة فلقد استُخدِمَت هذه المتناقضات في سياقٍ تتوضَّحُ فيه دلالاتها ومراميها وماكان منها مُخالِفاً للشريعة سُبِقَ بصيغة التحذير والنهي ، أمّا ما كان مُحقِّقاً لأمرِ الله فقد سُبِقَ بالحضِّ والنصحِ وتبيان عاقبة كلٍّ منهما .

إنَّ ظاهرة التكرار في النصّ السابق لاتكمن في الأسلوب فحسب ففكرة "العدل" تتكرر أيضاً بألفاظٍ متعددة ، وبتراكيب مختَلِفَةٍ ، وإذا أردنا أن نستقصي المواضع التي وردت فيها فكرة العدل وجدنا أنها تمثّل المحور الأساس في هذه الوصية كما نرى في هذه العبارات : خشيةُ الله في الناس- التحذيرُ من الأثرة والمحاباة - جَعلُ الناسِ سواسية - الشدّة في أمور الله على قريبِ الناس وبعيدهم ، غنيّهم وفقيرهم - ... وهذا الإلحاح على مفهوم العدل لم يكن غريباً من خليفة لُقِّبَ بالعادل وكان قدوةً للناس في سيرته وسلوكه ، وفي ظلّ هذه السياسة الحكيمة والقيادة الحازمة للخليفة الثاني أَمِنَ الناس على حياتهم وأعراضهم وأموالهم،وأدركوا أنَّ هناك عيناً تسهر عليهم،

وقلباً عطوفاً يكلؤهم ، ويداً حازمةً إذا لزم الأمر ، لكنَّ يداً آثمة امتـــدت إلى جســـده الطاهر ، فحرمَت الأمة الإسلامية من رجلِ دولةٍ ، عزَّ نظيره ، ومن خليفةٍ لم يتكـــرر حزمُهُ ، أو عدلُه ، أو زهده في متاع الدنيا .

إن الغاية من قراءة هذه النصوص المضيئة من تراثنا ، وتقديمها لأبناء عصرنـــا ، هي إظهارُ الحسِّ العالي بالمسؤوليةِ أمامَ الله ، وأمام الرعيّة ، ذلك الحسّ الذي تميَّزَ بـــه الخلفاء الراشدون ، وما أَبْداهُ أولئك الخلفاءُ من الحرصِ والسهرِ على تطبيق الشريعة = القانون ، والتمثلِ الصحيحِ لكل القيم الإنسانية النبيلة من قبل الخلفـــاء = الحكّـــام ، وحضِّ الرعيّة على تمثُّلِها أيضاً ، وهذا الإخلاص في تحمّل المسؤولية تركَ لنا إرثاً نفيســاً نفيدُ منه : حكّاماً ومحكومين ،فرادى وجماعات ، ونستلهم من هذا الإرثِ كلَّ ما مـــن شأنه أنْ يدفعَ بنا قدماً على طريق الخير والفضيلة ومصلحة الأمة جمعاء .

نص سياسي وطني قومي (١)

سد الفرات

من مقالة للشاعر نزار قبّاني بمناسبة تحويل مجرى نهر الفرات في الخامس من تموز ١٩٧٣ .

" كان نهرُ الفرات بَدَوياً يلبسُ عباءَته ونعليه المصنوعتين من جلدِ الماعز ، وينطلقُ كما شاءَ له الهوى ، لاحُدودَ لِحُبِّه ، لاحُدودَ لكرهه ، لاحُدودَ لانفعالاته كان عاشقاً خطراً إذا أَحَبَّ طَرَّزَ جَسَدَ حبيبتهِ بالورد والقمح والحنطة ، وإذا غَضِبَ زحف إلى جسدِ حبيبته في الليل وخَنَقَها بالماء .

وفي الخامس من تموز دخل نهر الفرات إلى المدرسة من جديد لِيتعلَّمَ كيف يقرأ ، وكيف يكتب ؛ وعلى باب المدرسة نزع السَّيدُ الرئيسُ "حافظ الأسد" عن الفرات عباءَته الطينيةَ وَقصَّ له شعرَه الأشعثَ ، وأظافرَه الطويلةَ ، وأعطاه قلماً ودفتراً ، ودواةَ حبرٍ أخضرَ ليكتبَ يومياتهِ كنهرٍ مُتَحضِّر ".

إضاءة على النص :

يتحدث الشاعر والأديب " نزار قبّاني " في هذا النص عن حَدَثٍ كبيرٍ ، وإنجازٍ عظيمٍ في تاريخِ سوريةَ الحديث ، وهو تحويل مجرى نهر الفرات على يد القائد الخالد حافظ الأسد.

وعلى الرغم من أهمية هذا الحدث ، فإنه لم يكن سوى خطوةٍ في طريق مستمرٍ من الإنجاز والبناء ، بغية تحقيق الاستقلال الحقيقي ، والاكتفاء الذاتي من الموارد الأساسية والضرورية للإنسان .

لقد تغنّى شعراؤنا قديماً بالمطر ، ودعوا بالسقيا لقبور موتاهم ، ورحل أجدادنا من مكان إلى آخر طلباً للماء ، وابتهل أسلافُنا في صلواتهم راجينَ قطرات المطر ، لأن الماءَ أساسُ الحياة كما جاء في القرآن الكريم"وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حي"وها هي ذي

الأيام تثبت أنَّ الماءَ ثروةٌ وطنيةٌ ، ودعامةٌ مهمّةٌ في السيادة والاستقلال ، وأنَّ هذه الهبةَ الإلهيةَ يمكن أن تتحوّلَ - بالعلم والعمل - إلى قناديلَ تمحو الظلام ، وأرغفةٍ شهية للجائعين ، وثيابٍ مُلّونةٍ للأطفال .

إنَّ المشروعات التي قامت على نهر الفرات ، حوّلت الأراضي القاحلة الجرداء إلى بساتين خضراء من الغلال الأساسية كالقمح والقطن والشوندر وغير ذلك ، و لم يعد المزارعُ تحت رحمة الطبيعة أو غضبها ، فشعرَ بالأمان وازداد عطاؤه والتصاقه بأرضه وتحوّلت قوة الماء إلى طاقة كهربائية تنير القرى والمدن وتُدار المعامِلُ بها ، وقد أسهم ذلك كله في رفع سوية حياة الإنسان في سورية كلها ، وبدلاً من أن يكون النهرُ مصدراً للخوف والدمار ، أصبح مبعثاً للثقة والاستقرار وفرح المواسم ، لقد أصبح نهراً متحضّراً كما يعبّر الشاعر .

وقد أشار الشاعر إلى أهمية العلم والعمل ، لكن بأسلوبه الفّني في تحويل قوى الطبيعة غير العاقلة إلى وسائل لخدمة الإنسان ، وتحقيق رفاهيته وسعادته ، فقد أصبح النهر المتمرد الشموس على هيئة تلميذٍ أنيق يتأبّطُ القلم والدفتر ، ويتعلّمُ فكَّ أسرار الطبيعة والحياة ، وتخلّص من كل ما يدلُّ على بداوته وتخلّفه ، ويرجع هذا الإنجاز ، وغيره من الإنجازات الكثيرة ، إلى إيمان القائد الخالد حافظ الأسد بقيمة العلم والمعرفة في بناء سورية الحديثة ، فمنذ فجر التصحيح المجيد تحوّلت سوريةُ إلى ورشةٍ للبناء والإعمار في المجالات جميعها . وقد انعكس هذا البناء الشامخ على حياة الإنسان ، وسلوكه ، وتفكيره ، وما أشبه سورية قبل التصحيح ، بصورة الفرات قبل السد العظيم، لكِنَّ الإرادة والإيمان والعقل ، والحُبَّ قبل هذا كله ، جعلت من الفرات نهر الخير والعطاء ، ومن سورية وطن العزّة والإباء ، فليبارك الله كل الأيدي التي تبني ، وكل السواعد التي تحمي البناء والناس والوطن .

نص سياسي وطني قومي (٢)

القائد الخالد

قال الشاعر الأديب الدكتور زياد نجيب ذبيان من القطر اللبناني الشقيق من قصيدة بعنوان "أنشودة المجد": مهداة إلى عظيم الأمة وقائدها الرمز الرئيس الخالد حافظ الأسد:

١- مَهمَا طَغَتْ ظُلمَةُ التَّاريخِ والحِقَبِ ... ياشَامُ وَجْهُكَ يبقى نجمةَ العربِ

٢- من يومَ قَادَكِ في دَرْبِ العُلى أَسَدٌ ... كَأَنَّ أرضَكِ عنها الشَّمسُ لم تَغِبِ

٣- قلْبْتَ ياقائِدُ الأَيَّامَ تَقْرَؤُها ... تَرَى بأوراقِها ما ليسَ في الكُتُبِ

٤- تقولُ للغَاصب المُحتَلِّ: أرضُ أبِي ... ليست هَمُونُ لِمُحْتَلٍّ ومُغْتَصبِ

٥- فَمَن سِوَى حافظٍ في ليلِ أمتِنا ... يَقُودُ أُمَّتَنا للنَّصرِ والغَلَبِ

٦- ياحَافِظَ العَهْدِ أرضي قُلْتُها يَبِسَتْ ... حَتى أَتَيْتَ لها بالرِّيحِ والسُّحُبِ

٧- بيروت والشام كُلٌّ منهما بلد ... وَوَاحدٌ كان في كلتيهما نَسَبِي

٨- مَعاً سَكَبْنَا دَماً في كُلِّ معركةٍ ... وقد رَسَمْنَا مَعاً شَمْساً على القِبَبِ

٩- فالنَّصرُ آتٍ وبَاقٍ أنتَ قائدَنا ... ياحَافِظَ الشَّام بل ياحافظَ العربِ

هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشاعر اللبناني نجيب ذبيان عام ١٩٩٥ ، وتتناول هذه الأبيات فكرتين مهمتين أساسيتين :

الفكرة الأولى : عظمة دمشق ، وشموخها ، وكبرياؤها في ظلّ القيادة التاريخية الفَذّة للقائد الخالد حافظ الأسد الذي حَوَّل دمشق إلى منارة تشعّ ، وغدت دمشق نجمة العرب المضيئة المتلألئة ، وشمسهم المشعة نوراً وهَّاجاً ، يبدّد الظلام الدامس الذي يخيمّ على الأرض العربية .

لقد استطاع رئيسنا الخالد حافظ الأسد بعمله الدَّائب ، وتفانيه الذي لايعرف الحدود،وحبِّه الذي لايدانيه حبٌّ لأرضه وشعبه وأمته أن يبني صرح سورية الحديث ،

ويؤسس نهضتها المعاصرة ، ويضمن أمنها واستقرارها ؛ وتمكن- رحمه الله- بفضل حكمته السديدة ، وبصيرته الثاقبة أن يقرأ أبعاد التاريخ ، ويستشرف آفاقه ، ويكشف أستار غموضه ، فشمخ بقطرنا إلى أعلى مراتب العِزّة والفخار ، والأنفة الوطنية والقومية ، مدافعاً عن الحق العربي والمستقبل العربي ؛ فغدا سيادته أمل الأُمّة في الدِّفاع عن الأرض والحَقِّ والمصير، وعن عزّة الأمة وكرامتها ، وصار الأمل في استمرار مسيرة النصر والتحرير التي ترسخ جذورها ، وتسمو فروعها وينمو غرسها يوماً بعد يومٍ إنجازاتٍ ، وعطاءاتٍ ، وانتصاراتٍ . إنه موسم الخير والعطاء في زمن القحط العربي.

وتتحدث الفكرة الثانية عن وحدة القطرين العربيين: سورية ولبنان، وتاريخهما المشترك ، وتلازم وحدة مساريهما حفاظاً على كرامة العرب ، والحقوق العربية دون التفريط في الأرض والحقوق .

لقد سَجَّل التاريخ اسم الرئيس الخالد حافظ الأسد صانعاً للتضامن العربي وبانياً جسور التقارب والتفاهم بين أمة العرب الواحدة ، كان يؤمن أنّ قُوَّةَ العرب في وحدتهم ، وضعفهم في تفرقهم ؛ فأصبحت سورية العربية قلعة العرب الصامدة ، وقلب العروبة النابض ومحط آمال الجماهير العربية المتطلعة إلى النَّصر والتحرير .

قَدَّم - رحمه الله- الدِّماء من أجل استعادة لبنان وحدته وسلمه، قَدَّم الشهداء من أجل تثبيت وحدة الشعب اللبناني ، لم يميّز السيد الرئيس حافظ الأسد بين لبنان وسورية؛فهما بلدان توءمان ومقولته الشهيرة " شعب واحد في البلدين": تعبير عن إيمانه الراسخ بأنّ ما يضر لبنان يضر سورية ، وإنّ ما يُعَزِّزُ مكانة سورية يرفع شأن لبنان .

وهذا ما ألح عليه الشاعر حيث بيّن أنّ أواصر الدم والقربى تجمع بين البلدين التوءمين ، ويُوَحِّدُ بينهما المصير المشترك الذي تَعَمَّد بالدم دفاعاً عن أرض العرب ، وعزها ، وكرامة العرب ضد المعتدين والغزاة ، حتى استطاع الشعب العربي في سورية ولبنان أن يشيّد صروح العزّ ، والفخار ، والأنفة الوطنية والقومية .

ثم يختم الشاعر أبياته متطلعاً إلى النصر القريب المؤزر ، وسيبقى الرئيس الخـــالد حافظ الأسد ملاذ العرب ، وستظل أعماله خالدة ، وفكره شعلة متوهجة تهدي شعبنا وأمتنا وتستمد منها القوة ، والمنعة ، والتفاؤل ، وندعم باسمه توقنا المشروع إلى الحيـاة الأجمل والأفضل ، نصون منجزاته ، ونحمل في عقولنا وقلوبنا كُلَّ كلمـــــة كريمـــة ، وحكمة قالها .

رحل عنّا القائد الأسد بجسده الطاهر ولكنه – رحمه الله– باق في قلوبنا وأفئدتنا بما انتهجه من قيم ، وجسده من مبادئ ومواقف ، وما بناه لسورية وللعرب ، فـــــهو باقٍ معنا بمسيرته الظافرة على مدى ثلاثين عاماً التي بقيت في أيد أمينة يقودهـــا نجلـــه الدكتور بشار الأسد الذي تربّى في مدرسته ، ونهل من نبع ســـــجاياه ، وأخلاقـــه ، وكان محطّ عنايته الفائقة ، فاكتسب تربية سياسية راقية ، وأخلاقاً قيادية واعيـــة ؛ إنَّ إجماع جماهير الشعب على مبايعة الدكتور بشار الأسد هو إجماع على نهـــج القـــائد الخالد حافظ الأسد ، ورؤيته في التعامل مع التطورات على أساس نهج علمي شـــامل يجعل سورية قادرة على المجابهة وارتياد آفاق المستقبل ، وبناء الدولة العصرية .

نص فقهي حقوقي

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء في كتاب الجهاد من الجزء الرابع من كتاب سبل السلام تأليف الإمام محمد ابن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير (١٠٥٩- ١١٨٢هـ) الذي شرح فيه كتاب بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكتاني العسقلاني القاهري (٧٧٣ -٨٥٢ هـ)المشهور بابن حَجَر العسقلاني ما نصّه:

(وعن عبدِ اللهِ بنِ عمَرِ رضي اللهُ عنهما قالَ: جاءَ رجلٌ إلى النبيّ صلى اللهُ عليه وسلّم يستأذنُ في الجهادِ ، فقالَ : أحيٌّ والداك[1] ؟ قالَ: نعمْ ، قالَ : ففيهما فجاهدْ . متفقٌ عليه[2]) سمّى إتعابَ النفسِ في القيام بمصالحِ الأبوين ، وإزعاجَها في طلبِ ما يُرضيهما ، وبذلَ المال في قضاءِ حوائجهما جهاداً من بابِ المشاكلة ، لّما استأذنهُ في الجهادِ من بابِ قولهِ تعالى : "وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُهَا" (٤٠) الشورى - ويحتملُ أنْ يكونَ استعارةً بعلاقةِ الضديّةِ لأنّ الجهادَ فيهِ إنزالُ الضررِ بالأعداء ، واستُعمل في إنزالِ النفعِ بالوالدين . وفي الحديث دَليلٌ على أنهُ يَسقطُ فرضُ الجهادِ معَ وجودِ الأبوينَ أو أحدِهما لما أَخْرَجَهُ أحمدُ والنسائي منْ طريقِ معاويةَ بنِ جاهمةَ " أنّ أباه جاهمةَ جاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالَ : يارسولَ الله أردتُ الغزوَ وجئتُ لأستشيركَ، فقالَ: هلْ لكَ بي أمٌّ ؟ قالَ: نعم . قالَ : الزمْها " وظاهرُهُ سواءٌ كان الجهادُ فرضَ عينٍ[3] أو

---

[1] – والداك أو أبواك : الأب والأم .

[2] – مُتّفقٌ عليه : أي رواه البخاري ومسلم وهما من أئمة الحديث ، ويأتي صحيح البخاري ، وصحيح مسلم في مقدمة كتب الحديث الصحيح عند المسلمين .

[3] – فرض العين : هو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من أفراد المكلفين به ولايُجزي قيام مُكلّفٍ به عن آخر كالصلاة والزكاة والحج واجتناب المحرمات كالخمر والزنا .

فرضَ كفاية[1] وسواءٌ تضرَّرَ الأَبوان بخروجه أو لا . وذهبَ الجماهيرُ منَ العلماءِ إلى أنّه يحرمُ الجهادُ على الولدِ إذا منعه الأبوان أو أحدُهما بشرطِ أنْ يكونا مسلمين لأن برَّهما فرضُ عين والجهادُ فرضُ كفاية، فإذا تعيّنَ الجهادُ فلا. فإنْ قيلَ،برّ الوالدين فرضُ عينٍ أيضا والجهادُ عند تعّينه فرضُ عينٍ فهما مستويان، فما وَجْهُ تقديم الجهاد؟ قلتُ: لأنَّ مصلحتَه أعمُّ إذ هي لحفظِ الدينِ والدفاعِ عن المسلمين، فمَصلحتُه عامةٌ مقدمةٌ على غيرها وهو يُقدّمُ على مصلحةِ حفظِ البدن[2]. وفيه دلالةٌ على عِظَم برِّ الوالدين فإنهُ أفضلُ الجهاد، وأنَّ المستشارَ يُشيرُ بالنصيحةِ المحضةِ ، وأنه ينبغي له أنْ يستفصِلَ من مستَشِيره ليدلَّه على ما هو الأفضلُ .

تعقيب أو تعليق :

مصادر الأحكام الشرعية التي اتفق جمهور المسلمين على الاستدلال بها - أي التي عَدُّوها أدلَّةً شرعية تُستنبطُ منها الأحكام الشرعية- أربعة : هي القرآن الكريم ، والسنة الشريفة،والإجماع، والقياس . وتعريف القرآن الكريم:"هو كلام الله تعالى المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم باللسان العربي،للإعجاز بأقصر سورة منه، المكتوب في المصاحف،المنقول بالتواتر،المتعبد بتلاوته،المبدوء بسورة الفاتحة،المختوم بسورة الناس[3]. وعرفه بعضهم بقوله"القرآن هو كلام الله المنزّل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المنقول بالتواتر،المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته،المعجز ولو بسورة منه [4]".

---

[1] – فرض الكفاية : ما طلب حصوله من غير نظر إلى من يفعله ، وإنما يطلب من مجموع المكلفين . وذلك كتعلم الصنائع المختلفة ، وبناء المستشفيات ، والجهاد . فإذا فعله بعضهم سقط الطلب عن الباقين ، وإذا أهمله الجميع أثموا جميعاً .

[2] – يقصد بذلك أن الجهاد قد يصبح فرض عين في بعض الظروف كالاعتداء على أرض المسلمين وهنا يجب على المسلمين جميعاً . وتُقدّمُ مصلحة الأمة على المصلحة الشخصية ، ويقع في الإثم من لا يشترك فيه ، ويُقدَّمُ على رعاية الوالدين مع ماجاء في الدعوة إلى برهما في كل من القرآن والسنة النبوية ، وهما المصدران الأساسيان لاستنباط الأحكام الشرعية.

[3] – أصول الفقه الإسلامي د . وهبه الزحيلي ص ٢١١ .

[4] – د . نور الدين عتر ، القرآن الكريم والدراسات الأدبية .

أما تعريف السنة النبوية عند علماء أصول الفقه فهي : كل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقدير .

وتعريف الإجماع عند جمهور العلماء هو : اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي .

أما تعريف القياس فهو : إلحاق أمر غير منصوص على حكمه الشرعي بأمر منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم .

إننا عندما نعود إلى القرآن الكريم نجد أنه قد نصَّ على برّ الوالدين ، نذكر من ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء " وقضى ربُّكَ ألا تعبدوا إلاّ إيّاهُ وبالوالدينِ إحساناً إمّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ الكِبَرَ أحدُهُما أو كِلاهُما فلاتقلْ لهُما أُفٍّ ولاتنْهَرْهُما وقلْ لهما قَوْلاً كريماً(٢٣)واخفِضْ لهما جناحَ الذُلِّ منَ الرحمةِ وقلْ ربِّ ارحمهُما كما ربّياني صغيراً (٢٤).

وقوله تعالى في سورة لقمان "ووّصيْنا الإنسانَ بوالديهِ حملتْهُ أمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وفِصالُهُ في عامين أنِ اشكُرْ ليْ ولوالديكَ إليَّ المَصير (١٤).

أما في السنَّةِ النبوية فنجد الأحاديث الكثيرة التي تدعو إلى برِّ الوالدين وترى عقوقهما من الكبائر، ومنها الحديث الشريف الذي أوردناه آنفاً ، وحديثه عليه الصلاة والسلام الوارد في كتاب الأدب من صحيح البخاري "... سألت النبي صلى الله عليه وسلّم أيُّ العمل أحبُّ إلى الله قال : الصلاةُ على وقتها ، قالَ : ثمّ أيٌّ ؟ قالَ: ثمّ برّ الوالدين، قال: ثمّ أيٌّ ؟ قالَ : الجهادُ في سبيل الله؛ وماتلاه في الصحيح نفسه في باب مَنْ أحقُّ الناس بحسن الصحبة من كتاب الأدب وفيه " جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:يارسولَ الله من أحقُّ بحسنِ صحابتي ؟ قالَ : أمُّك، قال: ثمّ مَنْ ؟ قال أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أمُّك، قال : ثمّ مَنْ قالَ: ثمّ أبوك[٢] .

---

[٢] ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني أول باب الأدب .

ولقد استدل جمهورُ الفقهاء بآية سورة لقمان ، وبهذا الحديث على أن الأم تُفضَّلُ على الأب في البر، هذا ونبين استطراداً في الحديث أن الأب والأم يُعدّان في الفقه الإسلامي من أصحاب الفروض من الورثة ، وهم فئة من أقرباء الميت ، والفرض في الاصطلاح الفقهي " مقدار معين من التركة ، مستحق وجوباً لوارث معين ".

وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة النساء " ولأبويه لكل واحد منهما السُّدُسُ مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وَوَرِثهُ أبواه فلأمه الثُّلثُ فإن كان له إخوةٌ فلأمه السُدُسُ"الآية"ولقوله عليه الصلاة والسلام" ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما تركت الفرائضُ فلأَوْلى رجلٍ ذكر".ولهذا رأى الفقهاء في أحوال الأب في الإرث ثلاثاً هي :

آ -السدس ، ويستحقه عند وجود الفرع المذكر ، الوارث بالتعصيب ، كالابن ، وابن الابن .

ب - السدس مع التعصيب،ويستحقه عند وجود الفرع المؤنث الوارث بالفرض وحده، كالبنت ، وبنت الابن .

ج - التعصيب المحض:ويستحقه عند انعدام الفرع الوارث بالفرض أو التعصيب ، سواء أوجد فرع وارث بالرحم أم لا "[1] .

وأحوال الأب هذه محل إجماع الفقهاء دون خلاف ، وقد أخذ به قانون الأحوال الشخصية السوري ، وقانون المواريث المصري أيضاً .

أما الأم فلها حالات ثلاث هي :

آ - السدس ، وذلك عند وجود فرع وارث بالفرض أو التعصيب ، أو وجود اثنين فصاعداً من الأخوة والأخوات من أية جهة كانوا ذكوراً ، أم ذكوراً وإناثاً ، أم إناثاً فقط.

---

[1] - الأحوال الشخصية ، أحمد الحجي الكردي جامعة دمشق ١٩٨٥ - ١٩٨٦ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

ب ـ الثلث : عند انعدام الفرع الوارث بالفرض أو التعصيب ، وانعدام التعدد من الأخوة والأخوات ، فلا يحرمها من الثلث الأخ أو الأخت الواحدة ، كما لا يحرمها منه الفرعُ الوارث بالرحم ذكراً كان أم أنثى .

ج ـ ثلث الباقي بعد فرض أحد الزوجين ، وذلك في مسألتين فقط هما : أن يكون مع الأم أب وزوج فقط ، أو أب وزوجة فقط .

فإنها في هذه الحالة تستحق ثلث الباقي بعد فرض الموجود مع أحد الزوجين. وقد اتفق الفقهاء على استحقاق الأم السدس مع الأولاد ، وهناك آراء لعبد الله بن عباس تخالف رأي الصحابة والفقهاء في استحقاقها مع الاثنين من الأخوة وفي ثلث الباقي ، أو ثلث التركة .

ونجد الفقه الإسلامي يضع الأب صاحب الأهلية المعتبرة شرعاً في المرتبة الأولى في الولاية على ولده القاصر وعلى ماله ، وعلى ولده المجنون أو المعتوه ، أو المفقود ، أو المحجور عليه لسفه أو دَيْنٍ مستغرق مع اختلاف الفقهاء في الشروط .

هذا ونذكر نصوصاً من قانون الأحوال الشخصية السوري الصادر بالمرسوم التشريعي رقم/٥٩/ تاريخ ١٩٥٣/٩/١٧ المعدل بالقانون رقم/٣٤/ تاريخ١٩٧٥/١٢/٣١ تبين حدود تصرفات الأب بمال ولده القاصر مع الإشارة إلى أن القانون المذكور يستمد أحكامه من الشرع الإسلامي .

المادة ١٦٢ : القاصر هو من لم يبلغ سن الرشد وهي ثماني عشرة سنة كاملة

.....

المادة ١٦٣ : ٤ ـ تنتهي الولاية ببلوغ القاصر ثماني عشرة سنة ما لم يحكم قبل ذلك باستمرار الولاية عليه لسبب من أسباب الحجر أو يبلغها معتوهاً أو مجنوناً فتستمر الولاية عليه من غير حكم .

المادة ١٦٤ : ١ ـ ليس للقاصر أن يتسلّم أمواله قبل بلوغ سن الرشد .

.....

المادة ١٧٠ : ١ ـ للأب ثم للجد العصبي ولاية على نفس القاصر وماله وهما ملتزمان بالقيام بها .

المادة ١٧٢ : ١ - للأب وللجد العصبي عند عدمه دون غيرهما ولاية على مال القاصر حفظاً وتصرفاً واستثماراً .

٢ - لايترع مال القاصر من يد الأب والجد العصبي ما لم تثبت خيانته أو سوء تصرفاته فيه،وليس لأحدهما التبرع بمال القاصر ، أو بمنافعه أصلاً ، ولابيع عقاره أو رهنه إلا بإذن القاضي بعد تحقق المسوّغ .

المادة ١٧٦ : ١ - يجوز للأب وللجد عند فقدان الأب أن يقيم وصياً لولده القاصر أو الحمل ، وله أن يرجع عن إيصائه .

المصادر والمراجع المعتمدة :

١ - القرآن الكريم .

٢ - صحيح البخاري بشرح الكرماني ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ط٣ - ١٤٠٥ هـ

٣ - سبل السلام للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصفاني المعروف بالأمير نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط٤ - ١٣٧٩ هـ.

٤ - الوسيط في أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي المطبعة العلمية بدمشق ١٩٦٨ م .

٥ - الأحوال الشخصية للدكتور أحمد الحجي الكردي - المطبعة الجديدة . دمشق ١٩٨٥ م .

٦ - القرآن الكريم والدراسات الأدبية للدكتور نور الدين العتر المطبعة الجديدة دمشق ١٤٠٦ هـ .

٧ - علوم الحديث لابن الصلاح تحقيق وشرح الدكتور نور الدين عتر ط٣- ١٤٠٤هـ .

٨ - قانون الأحوال الشخصية السوري .

نص أدبي

قالت ليلى بنت طريف الشيباني في رثاء أخيها الوليد :

١- بتلٌّ نُباثا رسمُ قبرٍ كأنّه ... على عَلَمٍ فوقَ الجبالِ مُنيفِ
تضمَّنَ جوداً حاتميّاً ونائلاً ... وسؤرةَ مقدامٍ وقلبَ حَصيفِ
أَلاَ قاتلَ اللهُ الجُثاحَيْثُ أَضْمرتْ ... فتىً كانَ بالمعروفِ غيرَ عَفيفِ
فإنْ يَكُ أَرْداهُ "يزيدُ بن مَزْيَدٍ" ... فيارُبَّ خيلٍ فَضَّها وصفوفِ
٥- أَلاَ يالَقَوْمِي لِلنوائب والرَّدى ... ودهرٍ مُلحٍّ بالكرام عنيفِ
وللبدرِ مِنْ بينِ الكواكبِ إذْ هوى ... وللشمسِ هَمَّتْ بعده بكسوفِ
أَيا شجرَ الخابورِ مالَكَ مُورِقاً ... كأنَّكَ لم تَحْزَنْ على ابنِ طريفِ
فتىً لايحبُّ الزادَ إلاّ من التقى ... ولا المالَ إلاّ من قناً وسيوفِ
ولاالخيل إلاّ كل جرداءَ شَطبَةٍ ... وكلّ حصانٍ باليدينِ غَرُوفِ
١٠- كأنَّكَ لم تَشْهدْ هناكَ ولم تَقُمْ ... مقاماً على الأعداءِ غيرَ خفيفِ
ولم تُسْتَلَمْ يوماً لوردٍ كريهةٍ ... من السَّردِ في خضراء ذاتِ رفيفِ
ولم تَسْعَ يومَ الحربِ والحربُ لاقحٌ ... وسُمْرُ القنا ينكزنها بأنوفِ
حليفُ الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإنْ ماتَ لايرضى الندى بحليفِ
فَقَدْناكَ فقدانَ الربيعِ وليتنا ... فَدَيْناكَ من دَهْمائنا بألوفِ
١٥- ومازالَ حتى أزهقَ الموتُ نفسَهُ ... شجاً لعدوٍّ أوْ نجاً لضَعيفِ
أَلاَ يا لقومي لِلحِمام وللبلى ... ولِلأَرضِ هَمَّتْ بعدَه برُجوفِ
ولِليثِ كلِّ الليثِ إذْ يحملونه ... إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسَقيفِ
بَكَتْ "جُشَمٌ" لمّا استقلَّتْ على العُلا ... وعن كلِّ هولٍ بالرجالِ مُطيفِ

خفيفٌ على ظهرِ الجـــوادِ إذا عَـــدَا ... وليـــسَ علـــى أعدائـــهِ بخفيـــفِ

فلا تَجْزَعا يـــابني طريـــفٍ فـــإنَّني ... أرى الموتَ نَزَّالاً بكـــلِّ شَـــريفِ

٢١- فتىً لايلومُ الســـيفَ حـــين يـــهزُّه ... إذا ما اختلى من عـــاتقٍ وصَلِيـــفِ

شرح المفردات:

١ ـ تل نُباثا : اسم موضع ،ذَكَرَ " ابن خلكان "أنَّه تَلٌّ في بلدة نصيبين .

٢ ـ سؤرة : شدّة ، حصيف : جيّد الرأي .

٣ ـ الجُثا : القبور . أَضْمَرت : أَخْفَتْ .

٤ ـ يزيد بن مَزْيَد : أحد قادة هارون الرشيد ، انتدبه الرشيد لمحاربة الخوارج .

٧ ـ الخابور : أحد روافد نهر الفرات .

٩ ـ الشطبة : الفرس السبطة اللحم .الجرداء : مؤنث الأجرد : الفرس القصـــير الشعر ، ولايكون إلا في العِتاق من الخيل .

حصان غروف : سريع السير كأنه يغرفُ الجريَ غرفاً .

١١ ـ السرد : الدرع . الرفيف : السرعة .

١٢ ـ لَقَحتِ الحربُ : هاجَتْ بعد سكون .

١٤ ـ الدهماء : عامة الناس وسوادهم .

١٦ ـ رَجَفتِ الأرضُ : زلزلت .

١٨ ـ جُشَمْ : قبيلة عربية .

٢١ ـ الصليف : هو مَنْ تمدَّح بما ليسَ فيه .

إضاءة على النص :

الوليد بن طريف فارسٌ شجاعٌ ، سَقَطَ في معركةٍ ، بعـــد أَنْ أَبْـــدى بطولـــةً وفروسيةً نادرَتَيْن ، ولمّا علمت أُختُه "ليلى" بمقتله ، لبستْ عدَّة الحربِ ، وانطلقـــت لِتواجهَ الجيشَ الذي قتلَ أخاها ، ومثلُ هذا الفعلِ يعّبرُ عن تعلّقها الشـــديد بأخيـــها ،

ورغبتها في اللحاق به ، لكنَّ رغبتها لم تتحقق ، إذ ردَّها قـــائدُ الجيـــشِ دون أذى ، فأنشأتْ هذه القصيدة ، لتخلِّدَ بذلك من خلالها اسمَ فارسٍ ، سقط دفاعاً عن قيمـــه ومبادئه ، فكيف استطاعتْ " شاعرتنا " أنْ ترسمَ صورة أخيها ؟

تقوم قصيدةُ الرِّثاءِ في الشعر العربي على تعداد مناقب المرثي وفضائلـــه ، إنهـــا بمعنى من المعاني قصيدة " مديح" لكنه مديحٌ مُوَجَّهٌ إلى ميت ، والغايةُ من ذلك تخليـــدُ المرثي واستعادتُه من عالمِ الموتِ إلى الحياة ، لكن هذه الاستعادة تتمُّ بواسطة الشعر .

إنَّ الطرق التي يسلكها الشعراءُ في الرِّثاءِ مُتَعدِّدةٌ:فهناك البكاء وذرف الدمـوع ، وهناك الإشادة بمناقب الميت ، والدعاء بالسقيا لقبره ، وقد تَتضَّمنُ القصيـــدةُ بعـــضَ الحِكم المستمدة من فكرة الموت والخلود ، أو الدعوة إلى الثأر والانتقام ...وغير ذلك . لكنَّ الفكرة الأساسيةَ لهذه القصيدة هي : رسمُ صورةٍ للمرثي ، والرسمُ هنا كما ترى أداتُه الكلمة ، ولوحةُ الفارسِ المرثي تتشكَّلُ من جزيئات متعددة ، أغلبُها مرتبطٌ بالقيم المعنوية أو المُجَّردَة مثل : الكرم ، الشجاعة ، العفَّة ، التقى ، إغاثة الملهوف ، منـــاصرة المُستَضْعَفين ،... وهي قيم يعتزُّ بها شعبنا العربي على امتداد تاريخه ويزخر بها تراثنـــا الأدبي منذ الجاهلية حتى اليوم . ولهذا لاتبخلُ الشاعرةُ على أخيها بالفضائل والمنـــاقب التي تجعل من فقدانه مأساةً إنسانيةً ، فقد دُفِنَتْ هذه القيم مـــع المرثـــي ، وأَضْحَـــتْ لصيقةَ الترابِ الذي احتَضَنَهُ . وهذا ما يفسِّرُ لنا سببَ دعائها على الجثا ـ القبور الـــتي أضمرتْ أخاها واحتَوَتْهُ .

ولقد عملت الشاعرةُ على إشراكِ الطبيعة في مأساتها ، فوظَّفَتْ مكوِّنات الطبيعة بغية إيصال مشاعرها الحزينة ، فالمرثي بدر هوى من عليائه ، والشمسُ أوشـــكتْ أن تكسف حزناً عليـــه (البيت السادس)، أمّا الأرضُ فقد كادت أنْ تزلزل جرّاء فقـــده (البيت السادس عشر)، لكن ذروة هذا الحزن تتجلى من خلال العتاب المُوَجَّـــه إلى شجر الخابور ، وكأنَّ الشجرَ كائن حيٌّ ، يعقلُ ويفهم ، إذْ كيف يُورِقُ ويُزهِرُ ، وقد صار أخوها جزءاً من الأرض ، ودفيناً في ثراها ؟(البيت السابع).

وهذا "التشخيصُ"بمعنى اعتبار الشجر كالإنسان الذي يسمع النداء ، ويفـــهم ، ويجزعُ ، أسلوبٌ فنيٌّ ، يسهم في نقل إحساس الشاعرة ، ويُعمِّقُ وَقْعَ الفجيعة علـــى المستمع أيضاً .

ومن مظاهرِ إشراكِ الطبيعة أيضاً قول الشاعرة :

فقدنـــاكَ فقـــدانَ الربيـــعِ وليتنـــا فدينـــاكَ مـــن دَهْمائنـــا بـــأُلوفِ

فالمرثي ربيعٌ أحرقه صقيعُ الموتِ ، ونحن نعرف أن الربيعَ يعني ، فيما يعنيـــه ، الوعودَ والآمالَ ، الأزهارَ والثمار فيما بعد ، تفتُّحَ الحياة ؛ وفقْدانُ الربيعِ هو فقْـــدان لكل مظاهر الجمال والخير والعطاء ، أو موتُ الحياة في عرس الطبيعة البهي ، ولأجـــل ذلك كلّه تتمنى الشاعرة لو أنَّ أخاها قد افْتُدِيَ بالآلاف من عامـــة النـــاس ، لكـــن هيهات أنْ تتحققَ أمنيةٌ كهذه .

قد يستغربُ القارئ لهذه القصيدة حين لايجدُ كلماتِـــها مُغمَّســـةً بـــالدموع ، وآهات الألم والحزن ، ولاسيما أنَّ القصيدة تصدُرُ من امرأةٍ تجاه أخيـــها - المرثـــي ، وتعليل ُذلك أنَّ المرثي قد قضى من أجلِ مبادئ يؤمن بها ، وعقيدةٍ تُلزمه بالكفاح من أجلها ، وماموتُه سوى خطوةٍ نحو تحقيق المُثُلِ التي يؤمن بها ،ولعلَّ البيت العشـــرين : فلاتجزعا يابني طريف ...، يُبيِّن تلك النـــزعة العقلانية ، فالشاعرةُ تدعو ابنَي الميـــتِ لئلا يجزعا . لأنَّ الموتَ اختار سيّداً ، شريفاً ، شجاعاً ، كريماً ، تقيّاً ، لايموتُ اسمـــه بموتهِ ، فسجاياهُ باقيةٌ ، تلهج بها الألسنةُ ، ويفخر بامتلاكها كلُّ إنسان .

وعلى الرغم من أنَّ المرثي قد ثوى في قبره بتلّ نُباثا كما حددت الشاعرة ، فإنها تخاطبه وكأنَّهُ ماثلٌ أمامها ، ويتجلّى ذلك في مثل قولها " كأنكَ لم تشهد هنـــاك ، و لم تقم ، و لم تستلم يوماً لورد كريهةٍ ، فقدناك فقدان الربيع ،..." فصيغـــةُ المخـــاطَب توحي بأنه ما يزالُ حيّاً ، في وجدان الشاعرة على الأقل ، وربما جاء هذا الأســـلوبُ تعبيراً عن رغبةِ الشاعرة في استعادة أخيها من ســـكون المـــوتِ إلى صخـــب الحيـــاة وتدفُّقِها.

للقصيدةِ موضوعٌ واحد هو الرثاء ، وقد اتخذ هنا أحدَ الأشكال المعروفة في الرثاء ، أيْ رسم صورةٍ للمرثي ، وهي صورة معنوية في الغالب ، وعلى الرغم من الطول النسبي للقصيدة ، ووحدة موضوعِها ، فإن القارئ لايشعر بالملل أو الرتابة في قراءتها ، ويرجع ذلك إلى أنّ الشاعرة قد عمدت إلى التنويع في الأساليب الفنيّة واستخدامِ المكوِّنات الحسِّية لنقل إحساسها أو أفكارها المجرَّدة ، إنّ كلمات مثل : الجبل ، القبر ، البدر ، الشمس ، الشجر ، الأرض ، الخابور ، الحصان... تدلّ على مكوِّنات حسّية ، أي يمكن إدراكها بالحواس ، واستخدامها في القصيدة ، يُكسبها جمالاً وتلويناً وقدرةً على التأثير في المتلقي ، ولاسيما عندما ترد في سياق من التصوير الفنّي (تشبيه أو استعارة أو كناية).

يمكننا في النهاية أن نجمل أهمَّ أفكار القصيدة على النحو الآتي :

١ - تعداد مناقب المرثي : وهي كما تلاحظ موزَّعةٌ في أنحاء متفرّقة من القصيدة ، فهي ليست متتالية .

٢ - الأثر الذي تركه موت الفارس في البشر والطبيعة ، الأبيات (السادس ، السابع ، الثالث عشر ، السابع عشر).

٣ - ذكر أدوات الحرب : الخيل ، القنا ، السيوف .

٤ - أسلوب الاستغاثة كما ورد في البيتين الخامس والخامس عشر .

إنّ القيم التي افتُقِدت بموت المرثي قيمٌ عربية أصيلة ، طالما تكرر ذكرها في تاريخنا وشعرنا ، وهي تُمثِّل عماد الشخصية العربية ، ووجهها المشرق الأصيل .

نص اقتصادي اجتماعي

جاء في مقدمة ابن خلدون ، الفصل الثاني والأربعين :**"في أنّ نقص العطاء من السلطان نقصٌ في الجباية"** .

والسَّببُ في ذلكَ أنّ الدَّولةَ والسُّلطانَ هيَ السُّوقُ الأَعْظَمُ للعالَمِ وَمِنْهُ مادَّةُ العُمران ، فإذا احتجنَ السُّلطانُ الأموالَ أو الجبايات أو فُقِدَتْ ، فلم يصرِفْها في مصارِفِها ، قَلَّ حينئذٍ ما بأيدي الحاشيةِ والحامِيَةِ ، وانقطعَ أيْضاً ماكانَ يَصِلُ مِنْهُمْ لحاشيتهم وَذَويهِمْ وقلّتْ نفقاتُهم جُمْلَةً ، وهم مُعظَمُ السَّوادِ ، ونَفَقَاتُهم أكثرُ مادةً للأسواقِ مِمَنْ سِوَاهُمْ فَيَقَعُ الكَسَادُ حينئذٍ في الأسواق ، وتَضْعُفُ الأرباحَ في المتلحرِ ، فَيقِلُّ الخَراج لذلك ، لأنَّ الخَراجَ والجباية إنَّما تكونُ من الاعتمارِ ، والمعاملات ، ونَفَاق الأسواق ، وطَلَبِ الناسِ للفوائدِ والأرباحِ ، ووبالُ ذلك عائدٌ على الدولة بالنَّقْصِ لِقِلَّةِ أموالِ السُّلطانِ حينئذٍ بقلَّةِ الخَراج ، فإنَّ الدولةَ كما قُلْناهُ هيَ السوقُ الأعظمُ ، أمُّ الأسواقِ كلِّها ، وأصلُها ومادتُها في الدَّخلِ والخَرْجِ ، فإنْ كَسَدَتْ ، وقلّتْ مصارفُها ، فأجدِرْ بما بَعْدَها من الأسواقِ أنْ يَلْحَقَها مِثْلُ ذلك وأشدَّ منه وأيضاً ، فالمالُ إنَّما هو مُتَرَدِّدٌ بين الرعيَّةِ والسلطانِ ، منهم إليه ، ومنه إليهم ، فإذا حبسه السلطانُ عنده ، فقدتْهُ الرعيّةُ ، سُنَّةُ اللهِ في عبادِه .

ويقول ابن خلدون في الفصل الثالث والأربعين تحت عنوان:" **في أن الظلم موذن بخراب العمران"** .

" اعْلَمْ أنَّ العُدوانَ على الناسِ في أموالِهم ذاهبٌ بآمالِهم في تحصيلها واكتسابِها لما يَرَوْنَهُ حينئذٍ من أنَّ غايتَّها ومصيَرها انتِهابُها من أيدِيهِمْ ، وإذا ذهبتْ آمالُهم في اكتسابِها وتحصيلها انقَبَضتْ أيديهم عن السَّعي في ذلك ، وعلى قَدَرِ الاعتداء ونسْبَتِهِ يكونُ انقباضُ الرعايا عن السعي في الاكتساب ، فإذا كان الاعتداءُ كثيراً عامّاً في جميع أبواب المعاشِ كانَ القعُودُ عن الكَسْبِ كذلك ، لذهابِهِ بالآمال جُمْلَةً بدُخُولِهِ من جميع أبوابها ، وإنْ كان الاعتداءُ يسيراً ، كان الانقباضُ عن الكسب على نسبتِهِ ،

والعُمرانُ ووُفورُهُ ونفاقُ أسواقِه إنّما هو بالأعمالِ ، وسعيِ الناسِ في المصالح والمكاسب ذاهبينَ وجائينَ ، فإذا قَعَدَ الناسُ عن المعاشِ ، وانقبضتْ أيديهم عن المكاسب ، كَسَدَتْ أسواقُ العمرانِ ، وانتقضتِ الأحوالُ وابْذَعَرَ[1] الناسُ في الآفاق من غير تلك الإيالةِ في طلبِ الرزقِ فيما خرج عن نطاقِها ، فخفَّ ساكنُ القُطْر ، وخَلَتْ ديارُهُ ، وخرجتْ أمصارُهُ ، واختلَّ باختلالهِ حالُ الدولةِ والسلطانِ ، لِما أنها صورةٌ للعمران ، تفسُدُ بفسادِ مادتها ضرورةً ....." .

الصفحات : ٢٨٦ - ٢٨٧ .

من المقدمة ، ط١ ١٩٧٨ - دار القلم ، بيروت .

إضاءة على النص:

هذا النصُّ لمؤرِّخ ومفكِّر عربي ، تفصل بيننا وبينه مئات من السنين ، لكن وعيه وإدراكه لقضايا عصره قَدَّمَا لنا كتاباً فريداً ، ما يزال إلى يومنا هذا مُحْتَفِظاً بقيمته العلمية والفكرية ، وقد اشْتَهرَ هذا الكتاب باسم : مقدمة ابن خلدون.

ويبحث المؤلِّفُ في النص السابق قضايا جوهريةً وأساسيةً، في أي مجتمع كان ، وإذا استبدلنا بالمفردات والمصطلحات التي استخدمها " ابن خلدون " لغة عصرنا وجدنا أن نصَّهُ يندرج تحت ما يُعرفُ اليوم بعلم الاقتصاد ، وهانحن نعيد كتابة القسم الأول ، الفصل الثاني والأربعين ، بلغة اقتصادية معاصرة .

من المعروف أن العلاقة بين الدخل والإنفاق هي علاقة طَرْدية ، فالزيادةُ في الإنفاق نتيجةٌ منطقيةٌ لنمو الدَّخلِ ، وعليه ، فإن عملَ الدولة على زيادة الدخل القومي ، وتوزيعه بشكل عادل ، من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع في مستوى الدخل الفردي ، وهذا يعني من جملة ما يعنيه ارتفاع حجم الطلب الفعال ، وتوسيع السوق الوطنية ، حيث تحثُّ زيادةُ الطلبِ على التوسِّع في الإنتاج ، وغيره من أنشطة السوق، ومن جهة أخرى ، فإنَّ ارتفاعَ مستوى الدخلِ الفردي يزيدُ من قدرةِ الأفراد على الادِّخار ، ومن ثمَّ ، زيادة القدرة على التكوين الرأسمالي ، والتوجّه نحو الاستثمارات

---

[1] - ابذعرّ : تفرّق

التي تخلق المزيدَ من الأرباح ، فتتعاظَمُ قدرةُ المُستَثْمرين على سداد الالتزامات المترتِّبةِ عليهم تُجاهَ الدولةِ ، وبهذا تزدهرُ حصيلةُ إيرادات الدولة الناجمة أساساً عن حصيلةِ إنفاقِها ، مما يُعزِّزُ قدرتها على تحقيقِ زيادةٍ مُضْطَرِدَةٍ في الدخل القومي ، وهنا يلتئمُ طرفا الحلقة ، لتعود للتجدد مرةً أخرى .

أمّا في الحالةِ المعاكسَةِ ، أيْ عند انخفاض مستوى الدخل الفردي ، نتيجةً لانخفاضِ الدخل القومي ، أو لعدمِ عدالةِ توزيعه ، فإنّ طَلَبَ الأفرادِ على السلعِ والخدمات في السوق سينكمِشُ ، ومن ثمّ يحلُّ الكساد ، فتتراجع الأرباح ، هذا بالإضافة إلى انخفاضِ مستوى الادّخارِ ، الذي يقود إلى ضآلة الاستثمارات ، وانحسارٍ ملحوظ لرأسِ المالِ ، ومن البدهي أنْ يسهمَ هذا كلّه في انحسار إيرادات الدولةِ ، وكما أنّ الازدهارَ شاملٌ للمجتمع - شعباً وحكومةً - في الحالة الأولى ، فإنّ الانكماش سيصيبُ الجميعَ أيضاً في الحالة الثانية .

وكما نرى ، فإن "ابن خلدون" قد فطن إلى أهمية العلاقات الاقتصادية ، وأثرها في تطور المجتمع ، ورَبَطَ بين مصلحة الطرفين (الشعب والحكومة) في قيام علاقات اقتصادية مدروسةٍ ، وسنرى أنّ هذا المفكّرَ العظيمَ لايفصِلُ الحياة الاقتصادية عن الأخلاقِ ، فهو يحمل على الظلم والإرهاق المالي ، وانغماسِ الدولةِ في الترف والنعيم مِمَّا يؤدي إلى اختلال العمران ، وشيوع الكساد ، كما يؤكد في النصّ الثاني ، الذي يمكن التعبير عنه بلغة أخرى على النحو التالي :

إنّ حماية الحريات الفردية ، وضمان حقوق الأفراد في استغلال إمكاناتهم الاقتصادية والانتفاع بمواردها ، يشكلان عاملاً في خَلْقِ المناخَ الاستثماريَ الملائمَ لدفعِ عملية النموِّ الاقتصادي نموَ الازدهار . وعليه ، فمن البدهي أنْ يحجمَ الأفراد عن الاستثمار حين يتوقّعون انتهاكاً لحقوقهم المالية ، أو تهديداً من جهةٍ ما ، باستلابِ ممتلكاتهم أو عوائدِ ممتلكاتهم ، وهذا الإحجام عن العملِ ، أو الاستثمار سوف يترتب عليه تقلص في الدخول ، من شأنه أنْ يخلق حالةً من الكسادِ في الأسواقِ ، الأمر الذي

يدفعُ أصحابَ رؤوسِ الأموالِ ، والأفرادَ الطامحين للعمل إلى الهربِ خارج حدود الدولة ، سعياً لكسبِ العيشِ الكريم ، وطلباً للأمان والاستقرار . والنتيجة المنطقية لهجرة قوة العمل ، ورؤوس الأموال الوطنية ، هي حدوثُ اختلالات خطيرةٍ في الاقتصاد الوطني ، والتوزّع السُّكّاني .

ولايخفى أنَّ هذه التحليلات التي يقدِّمها "ابن خلدون " ، على الرغم من طابعها الاقتصادي ، تظلُّ مُنفتحةً على العلوم الإنسانية والطبيعية ، وتُبرزُ ، بشكل واضحٍ ، الأثر الأخلاقي للدولة في الاقتصاد ، وتأثيرَ النُظمِ السياسيةِ القائمةِ في الوضع الاقتصادي وتوجُّهاتِه العامة ، وأهمية العمل وأثره في انتعاش الفرد والمجموع ، مما يقود إلى استقرار الدولة ، وتقوية بنيانها ، وصيانة استقلالها السياسي أيضاً ، فالاقتصادُ فاعلٌ أساسي في شتَّى مناحي الحياة ، ولابدَّ من توافر وَعْيٍ علمي دقيق بقضاياه وظواهره من قبل الدولة بشكلٍ خاص.

نص اقتصادي معاصر

مقدمة:

شاعَ استخدامُ مصطلح "العَوْلَمة" في السنوات العشر الأخيرة ، وبرز في الأدبيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وتحديداً بعد انهيار المعسكر الاشتراكي مُمَثَّلاً بالاتحاد السوفييتي .

ويشيرُ التاريخُ إلى أن العولَمة ظاهرةٌ قديمة ، تطوّرت عبر مراحل مختلفة ، غير أنها ماتزال حتى الآن قيدَ التشكُّلِ والتكوّن ، وإذا بحثنا في مسوغات بروزها في السنوات الأخيرة وجدنا أن السبب الأساسي يكمن في تعميق آثار الثورة العلمية والتكنولوجية ولاسيما تَقَدُّم تكنولوجيا الاتصال والتجارة .

هذا ، وإنْ كانت العولمةُ في ظاهرها سَعْياً لتوحيد العالَمِ بأفكارٍ وقيمٍ وأساليبِ تفكيرٍ واحدةٍ بين مختلف الشعوب ، فهي في الوقت ذاته ، تخفي في جوهرها نزعات خطيرة ترمي إلى تجريد تلك الشعوبِ من مقوماتها الثقافيةِ الخاصّة ، وإخضاعِها لثقافةٍ واحدة ، هي ثقافةُ القطب الواحد ، الذي يمتلكُ وسائلَ الإعلامِ المتقدمة وتكنولوجيا الاتصال المتطوِّرة ، الأشدّ تأثيراً على بقية ثقافات العالَم.

إنّ جوهر العولمة يتمثّلُ في مضمونها المُسْتَند إلى الليبرالية الجديدة التي تنادي بفتح الحدودِ أمام رؤوسِ الأموال والبضائع والأفراد والمعلومات ، إلاّ أنّ ما يجري على أرض الواقع ينفي ذلك ، حيث تتكشَّفُ يوماً بعد يوم ، وبشكل فاضحٍ ، التناقضاتُ العنيفةُ التي تنطوي عليها ظاهرةُ العولمة . وإزاء ذلك فَإنّ خيارَنا الأمثل كَدولٍ ناميةٍ لمواجهة سلبيات العولمة هو اتباع استراتيجيات مُسْتَقِلّة على المسارات الاقتصادية والسياسية والثقافية كافة ، وهذا الخيار لايعني التقوقع والانغلاق ، وإنما أنْ تُبنى علاقتُنا بالخارج وفقاً لما تقتضيه احتياجاتنا في الداخل وليس العكس .

وها نحن نقدم إليكم رؤية باحثٍ عربي لهذا المفهوم"العولمة "من حيثُ النشأة التاريخية له ، والعناصر الفاعلة في تطوره .

كتب د. حازم الببلاوي تحت عنوان "العَوْلَمة ".

هبَّ علينا في الأيام الأخيرة للقرن العشرين اصطلاح جديد هو " العولمة " . فنحن الآن نعيشُ عصرَ العولمةَ ، الذي وَفَدَ علينا فجأة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات . وأصبح العالَمُ مُطالَباً بتحديد موقفه من هذه "العولمة" أهل هو معها أم ضدها؟

والحقُّ أنَّ هذا القرن الذي نعيش فيه قرن غريب وطريف في الوقت نفسه . فهو قرن لايخلو من ادّعاء ، فكل شيءٍ فيه عالمي من ناحية، كما أنه من ناحية أخرى شمولي النزعة ، فكل مذهبٍ أو رأي يدّعي أنه الحق المطلق وغيره باطل لاريب فيه .

... وإذا كان القرن العشرون قد اصطفى لنفسه ادّعاءَ العالميةِ لكل حروبه ونزواته ، فإنه لم يَخْلُ من شموليةٍ في تصنيفه للأمور . فالحرب العالمية الأولى هي مواجهة بين الحرية والديموقراطية ، وبين الأوتوقراطية والسيطرة ، والحرب العالمية الثانية هي أيضاً حربٌ بين هذه الحرية والديمقراطية من ناحية ، والفاشية والنازية ، أو بين احترام حقوق الإنسان والعنصرية والتمييز من ناحية أخرى ، وجاءت الحرب العالمية الباردة حرباً بين الرأسمالية والشيوعية . وكل منهما يدّعي أنه يمثل الحقَّ والفضيلة ، والآخر يمثل الشيطان والرذيلة . ويبدو أننا نسير على المنوال نفسه عند تناول الحديث عن هذه " العولمة" فهي تُقدَّم كما لو كانت الخير والتقدّم والرقي ، أو هي ، على العكس ، الشيطان والقضاء على الهوية ، والأصالة ، والضياع في عالَمٍ مجهول تحكمه أشباح من الشركات مُتعدّدة ، أو مُتعدّية الجنسية .

ويبدو أن الحقيقة أكثرُ بساطةً ، وأكثر تعقيداً في الوقت نفسه . أكثر بساطة لأنه لايوجد شيءٌ جديد أو مفاجئ قد هبَّ على العالم ، وإنما هو تطورٌ بدأ بطيئاً ، وأصبح سريعاً في مجالات عدّة في التكنولوجيا ، وخصوصاً في المعلومات والاتصالات ، وفي الاقتصاد ، وخصوصاً في أسواق المال ، وفي النظام المؤسسي لعلاقات الدول ، وفي الوعي العام . فالأمر ليس بوافدٍ جديدٍ هبَّ على العالم في الربع الأخير من القرن

العشرين ، بل هو تطور مُستمر منذ الثورة الصناعية ، بل قبلها مع الرأسمالية التجارية ، وربما قبل ذلك أيضاً . والجديدُ هو في سرعة التطور ومداه .

ومن هنا نرى أنّ العولمة أكثرُ بساطةً مما نتصوّر ، فإننا لم نستيقظ فجأة كأهل الكهف لنكتشف أموراً لم تكن تخطر لنا على بال ، بل إنّ الحقيقة أنّ المقدمات قائمةٌ وموجودةٌ أمامنا منذ وقت ليس بالقريب ، ولكن هذه البساطة "Simplicity"لاتعني التبسيط "Simplism" ، ولاتنفي بالتالي التعقيد والتركيب في الظاهرة . فالعولمة ليست مجرد سيطرة الشركات متعدّية الجنسية ، ولا هي أسواق المال أو حتى الرأسمالية ، والعولمة ليست وافداً جديداً بقدر ما هي تفاعُلٌ بين عناصرَ قديمةٍ ، لها جذورٌ راسخةٌ من ناحية ، وعناصر جديدة تبحث لها عن أرضية مناسبة من ناحية أخرى ، وهو تفاعل مستمر وذو أبعاد متعدّدة . وهكذا ، فإنّ ما يُطلق عليه اسم العولمة هو ظاهرة مركبة ومُلتَبسة يختلط فيها الجديد بالقديم ، وتتفاعل هذه العناصر في تطور بطيء أو سريع ، وتتضمّنُ عناصر متجانسةً ، مثلما تحمل بين طياتها عناصر أخرى متناقضة . فالعولمة ليست نموذجاً نظرياً منطقياً من اختراع مُفكّرٍ أو مُؤلّفٍ ، بقدر ما هي وصف للحظة من لحظات التطور الاجتماعي والتاريخي .

الصفحات : ٢٣٢- ٢٣٥

من كتاب : النظام الاقتصادي الدولي المعاصر

من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الحرب الباردة

العدد / ٢٥٧/ من عالم المعرفة ، أيار ، ٢٠٠٠ م

شاعر ومدينة

عبّر شعراؤنا ، منذ القديم ، عن ارتباطهم بالمكان ، وعن تعلّقهم بالحِمى والديار والأطلال ،وعملوا على تخليد الأمكنة من خلال أشعارهم ، فرسموا بالكلمات صوراً زاهية للأمكنة التي أحبّوها ، وذرف بعضهم الدموعَ حزناً على خلاء الديار واندراسها.

ولعلّ علاقة شاعرنا الكبير " نزار قباني " بالمكان من أهم التجارب المعاصرة ، والمكان المقصود هنا هو " دمشق" : أقدم مدينة مأهولة في التاريخ ، الروح والجنات والريحان ، قلب العروبة النابض ، وبوابة التاريخ ، ويعبّر شاعرنا عن ارتباطه بهذه المدينة قائلاً :"كلُّ أطفال العالَم يقطعون لهم حبل مشيمتهم عندما يولدون ، إلا أنا ، فإن حبل مشيمتي لم يزل مشدوداً إلى رحم دمشق منذ ٢١ آذار ١٩٢٣ .

إنها معجزة طبّية أن يبقى طفل من الأطفال، يبحث عن ثدي أمّه سبعين عاماً ."

فعلى الرغم من تنّقل الشاعر،وكثرة أسفاره وإقامته في مشرق الأرض ومغربها ، فإن المكان الذي وُلِدَ فيه وترعرع ، مايزال ماثلاً في ذهنه ، ومعرّشاً في شرايين قلبه ، وماتزال رائحة الفل والياسمين تعبق حوله كلما نطق باسم دمشق ، أو رَسَم حروفها ، فدمشق " ليست صورة منقولة عن الجنة .

إنها الجنة .

وليست نسخة ثانية للقصيدة ... إنها القصيدة .

وليست سيفاً أموياً على جدار العروبة ... إنها العروبة ."

وصورة دمشق في شعر نزار قباني ترتكز على معطيات حسيّة متنوعة ، أي تمتزج في صياغة هذه الصورة الروائح والألوان والأشكال والأصوات ، فترى في شعره رائحة الياسمين تنسكب على جناحي حمامة تحلّق في صحن الجامع الأموي ، وتنبثق من كلماته ثمرات المشمش والرّمان ملفوفة بالبروكار و الداماسكو ، وعلى أطراف اللغة

نافذةٌ ، يتدلى الياسمين على حوافها ، وتمتزج أصوات الأطفال ، بنـــداءات الباعـــة ، ويتوّجها صوتُ المؤذنِ منساباً من مآذنها السامقة .

إنَّ أي قارئ لشعر "نزار قباني" لايملك إلا أنْ يحبَّ دمشـــق، وأن يتعـــرّف إلى حاراتها ، وورودها ، وتاريخها ، وبطولاتها ، من خلال شعر أحد أبنائها ، ولنســـتمع إليه يقول من قصيدة له بعنوان "قمر دمشقي "

الفُلُّ يبـــدأُ مـــن دمشـــقَ بياضُـــه ... وبعطرِهـــا تتطيَّـــبُ الأطيـــــابُ
والماءُ يبدأ مـــن دمشـــقَ...فحيثمـــا ... أسندتَ رأسك ، جدولٌ ينســـــابُ
والشـــعرُ عصفـــورٌ يمُـــد جناحَـــهُ ... فوق الشـــآم ... وشـــاعرٌ جَـــوابُ
والحبُّ يبدأ مـــن دمشـــق فأهلُنـــا ... عبدوا الجمال ، وذوّبوه ...وذابـــوا
والخيلُ يبدأ من دمشـــق مســـارُها ... وتُشَـــدُّ للفتـــح الكبـــير رِكـــابُ
والدهرُ يبدأ من دمشق ... وعندهـــا ... تبقى اللغاتُ ، وتُحفَظُ الأنســـــابُ
ودمشق تعطـــي للعروبـــة شـــكلها ... وبأرضـــها ، تتشـــكّلُ الأحقـــابُ

فكل بيت من هذه الأبيات يحمل إلى القارئ رائحة ، أو لوناً ، أو صوتـــاً ، أو فكرة ، ويخلص القارئ من ذلك كله ، إلى تكوين صورة عن هذه المدينة ، أشبه مـــا تكون بلوحة فنان مبدع ، وهي ليست مدينةً للفل والماء والشعر والحب فحســـب ، لكنها مدينة تزهو بتاريخها الناصع ، وأصالتها ، وجذورها الضاربة في أعماق التاريخ ، وفوق هذا كله ، فهي قلب مفتوح لكل عربي ، وحصن منيع في وجه الأعداء .

وتنبع شعرية هذه الأبيات من ذلك المزيج الذي يقدمه الشاعر ، حيث تختلـــط رائحة الفل ، بصوت الجدول المنساب ، وتلمح خيول الفاتحين المسلمين متداخلةً مـــع صمود دمشق المعاصر ، والدافع الوحيد لهذا التصوير الجميل هـــو الحـــب والوفـــاء والصدق .

لقد كانت دمشق في شعر نزار قباني صورةً عن الوطن ، وليست مجرد مدينـــة أو عاصمة يحبّها ، لهذا نراه يعاتب ويلوم إذا حلّ خطب ، ويهزج ويعلو نشـــيده فخـــراً

حين تتحقق الأمنيات ، ويشمخ جبين الوطن ، وكانت "حرب تشرين " موقف عـــز وفخار لكل عربي ، فكيف لايصدح بهذا النصر المبين شاعرٌ يحمل الوطن بين جناحيه ؟

يقول من قصيدة له بعنوان " ترصيع بالذهب على سيف دمشقي"

جاء تَشْرينُ .... ياحبيبـــةَ عمـــري أحسنُ الوقـــتِ للـــهوى تَشْـــرينُ

ولنا موعدٌ علـــى "جبـــل الشـــيخ" كـــم الثلـــجُ دافـــئٌ وحنـــــونُ

سنواتٌ سبعٌ مـــن الحـــزن مـــرّتْ ماتَ فيها الصَفْصـــافُ والزيتـــونُ

كيف أهواكِ ؟والحِمـــى مُسْـــتَباحٌ هل من السهل أنْ يُحبَّ الســـجينُ؟

* * * * *

جاء تشرين ، إنَّ وجـــهكِ أحلـــى بكثـــيرٍ ، ماسِـــرُّهُ تشـــرين؟

كيف صارت سنابلُ القمح أعلـــى؟ كيف صارت عيناك بيتَ الســـنونو؟

يادمشق البســـي دموعـــي سِـــواراً وتمنّـــيْ ، فكـــلُّ صعـــبٍ يـــهون

وضَعي طرحـــةَ العـــروسِ لأجلـــي إنَّ مَـــهْرَ المنـــــاضلات ثمـــينُ

رضي الله والرســـولُ عـــن الشـــا م فنصـــرٌ آتٍ وفتـــــحٌ مبـــين

ويختم الشاعر قصيدته بقوله :

علّمينـــا فِقْـــهَ العروبـــةِ ياشـــــا مُ فـــأنت البيـــانُ والتبيـــينُ

شامُ ياشامُ ، غيرّي قَـــدَرَ الشمـــــ سِ وقولي للدهر : كُـــنْ فيكـــونُ

ويخاطب الشاعرُ حبيبته ، جاعلاً منها شبيهةً لدمشق ، يقول :

ألا حَظْتِ كيف احتضنتكِ مثل المجانين

كيف عصرتكِ مثل المجانين

كيف رفعتكِ ثم رميتكِ

ثم رفعتك ثم رميتك

فاليومَ عُرْسٌ وتشرينُ سيّدُ كل الشهورْ

ألاحظتِ كيف تجاوزتُ كلَّ ضفافي ؟

وكيف غمرتكِ مثل مياه النهورْ
ألاحظتِ كيف تألّقَ وجهكِ تحت الحرائقْ ؟
وكيف دبابيسُ شعركِ صارت بنادقْ ؟
ألاحظت كيف تغيّرَ تاريخُ عينيكِ في لحظاتٍ قليلهْ ؟
فأصبحتِ سيفاً بشكل امرأة
وأصبحت شعباً بشكل امرأة
وأصبحتِ كلَّ التُراثِ ، وكلَّ القبيلةْ
ألاحظتِ ... كم تشبهينَ دمشقَ الجميلةْ ؟

منهج البحث التاريخي

تشترك العلوم جميعاً في افتراض أنّ هناك علاقات منظمة بين الظواهر المختلفة ، وهي تحاول الكشف عن هذه العلاقات ، والتوصل إلى قوانين أو نظريات تعبِّرُ عنها وتفسِّرُها ، وذلك بقصد التنبؤ والضبط ، فهدف أيّ عالم أو علم هو القدرة على تفسير الظواهر المختلفة ، والتنبؤ بها ، وضبطها ، والغرض الرئيسي لأيّ بحث علمي أن يتخطى مجرد وصف المشكلة أو الظاهرة موضوع البحث إلى فهمها وتفسيرها ، وذلك بالتعرف على مكانها من الإطار الكلي للعلاقات المنظمة التي تنتمي إليها . وصياغة التعميمات التي تفسر الظواهر المختلفة من أهم أهداف العلم ولاسيما تلك التي تصل إلى درجة من الشمول ترفعها إلى مرتبة القوانين العلمية والنظريات[1] .

وقبل التحدّث عن خطوات الأسلوب العلمي يجدر بنا التفرقة بين مصطلحين رئيسيين في هذا المجال هما : الأسلوب العلمي ، ومنهج البحث .

فمصطلح الأسلوب العلمي يشير إلى ذلك الإطار الفكري الذي يعمل بداخله عقل الباحث ، فيما تعني كلمة منهج البحث الخطوات التطبيقية لذلك الإطار الفكري . ولاتعني هذه التفرقة تعارض المصطلحين ، فمن الناحية اللغوية يتقارب كثيراً معنى كل من أسلوب ومنهج ،ولكن يقصد بهذه التفرقة التوضيح والتفسير[2] .

ففي أيّ دراسة علمية تتخذ العمليات العقلية في ذهن الباحث ترتيباً ، وتنظيماً متكاملاً يوجه خطواته التطبيقية ، ولذلك يفضل أن يستقل كُلٌّ مصطلح بجانب من الجانبين ، فتستعمل كلمة أسلوب لتشير إلى ذلك التنظيم الفكري المتدخل في الدراسة العلمية وكلمة "منهج" لتشير إلى الجانب التطبيقي لخطوات البحث .

---

(١) – د . محمد زيان عمر البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ٤٣ .

(٢) – المرجع السابق ص ٤٦.

فالأسلوب يعني الإطار الفكري الذي يوجه منهج الباحث في دراسة ظاهرة ما . وكلمة "منهج " مشتقة من نهج أي سلك طريقاً معيّناً ، فهي تعني " الطريق"، لذلك كثيراً ما يقال طرق البحث بمعنى مناهج البحث .

وترجمة كلمة منهج باللغة الإنجليزية Method ونظائرها في اللغات الأوربية ترجع إلى أصل يوناني يعني البحث أو النظر أو المعرفة . والمعنى الاشتقاقي لها يدل على الطريقة أو المنهج الذي يؤدي إلى الغرض المطلوب .

وقد حَدَّ العلماء المنهج بأنه فَنُّ التنظيم الصحيح لسلسةٍ من الأفكار العديدة ، إمَّا من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة ، أو من أجل البرهنة على حقيقة لايعرفها الآخرون . وبهذا يكون هناك اتجاهان للمناهج من حيث اختلاف الهدف ، أحدهما يكشف عن الحقيقة ويسمى منهج الاختراع أو التحليل، والثاني يسمى منهج التصنيف[1].

فإذا نظرنا إلى مناهج البحث من حيث نوع العمليات العقلية التي توجهها ، أو تسير على أساسها، أمكننا القول إنّ هناك ثلاثة أنواع من المناهج .

المنهج الاستدلالي أو الاستنباطي :

وفيه يربط العقل بين المقدمات والنتائج ، وبين الأشياء وعللها ، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات .

المنهج الاستقرائي:

وهو عكس سابقه يبدأ بالجزئيات ليصل منها إلى قوانين عامة ، ويعتمد على التحقق بالملاحظة المنظمة الخاضعة للتجريب والتحكم في المتغيرات المختلفة .

المنهج الاسترادادي :

وهو يعتمد على عملية استرداد ما كان في الماضي ليتحقق من مجرى الأحداث، ولتحليل القوى والمشكلات التي صاغت الحاضر .

---

[1] – البحث العلمي مناهجه وتقنياته من ص ٤٦ – ٤٨ .

فإذا أردنا تصنيف مناهج البحث استناداً إلى أسلوب الإجراء وأهم الوسائل التي يستخدمها الباحث ، نجد أنّ هناك المنهج التجريبي وهو الذي يعتمد على إجراء التجارب تحت شروط معّينة ، ومنهج المسح الذي يعتمد على جمع البيانات ميدانياً بوسائل متعددة ، ويتضمن الدراسة الكشفية ، والوصفية ، والتحليلية ، ومنهج دراسة الحالة وينصب على دراسة وحدة معّينة فرداً كان أو وحدة اجتماعية ، ويرتبط باختبارات ومقاييس خاصة ، والمنهج التاريخي ويعتمد على الوثائق والمخلفات الحضارية المختلفة . ولايغيب عن الذهن أنه مع تنوع مناهج البحث فإنها جميعاً تخضع بشكل عام للأسلوب العلمي ، وسنتناول منهج البحث التاريخي .

دراسة التاريخ:

يقول ابن خلدون :"إنّ فَنّ التاريخَ فَنٌّ عزيز المذهب،جمّ الفوائد شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم حتّى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروقه في أحوال الدّين والدُّنيا، فهو (أي المؤرخ) محتاج إلى معارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان إلى الحَقّ ، وينكبان عن المزلات ،لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النَقل لم تؤمن مزّلة القدم ؛ والتاريخ في ظاهره لايزيد عن أخبار الأيام ، والدول ، والسوابق من القرون الأُول ، وفي باطنه (أي التاريخ) نظرٌ ، وتحقيق ، وتعليل ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها"[1] .

وهكذا فإنّ دراسة التاريخ هي تأمل بعمق في المصادر فهو يحكي قصة تجربة الإنسان في هذا الكون ، وقد أشار توينبي إلى أنّ التاريخ يمثل البحث عن النور في مسيرة الإنسان " [2]، ويرى بعض الباحثين أنّ التاريخ يعد مصدراً مهماً من مصادر العلوم ، فهو يعرض مراحل تطور العقل الإنساني في بستان المعرفة من دين ، وأدب ، وفن ، وسياسة ، واقتصاد ، واجتماع ، وتنظيم "[3] .

---

[1] – من كتاب البحث العلمي ، مناهجه ، وتقنياته ص ١٣٧ – ١٣٨ نقلاً عن ابن خلدون في مقدمته .

[2] – المرجع السابق ص ١٣٨ .

[3] – ينظر في هذا كتاب : البحث العلمي الوارد ذكره للدكتور محمد زيّات عمر ص ١٣٨ .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد أهمية التاريخ ، ودراسته ، حين أشـــار إلى قصـــص الأنبياء ، وتاريخَ العرب البائدة ، وقد ارتبط تطور الكتابة التاريخية عنـــد المســـلمين ارتباطاً وثيقاً بالسيرة النبوية وبعلم مصطلح الحديث .

أنواع الكتابة التاريخية :

ينقسم أسلوب الكتابة التاريخية من حيث طريقة المعالجة إلى ثلاثة أنواع هي :

١ً - التاريخ الأثري .

٢ً - التاريخ النقدي .

٣ً - التاريخ الاسترادادي .

أما النوع الأول وهو التاريخ الأثري فهو الذي تمتلـــئ بـــه صـــالات العـــالم، وردهات المتاحف حيث توجد العاديَّات القديمة كما يتمثل في المخلفات غير المنقولـــة كالأبنية ، والقصور ، والقلاع ، وأقواس النصر ، وبوابات المدن ، والنقوش المكتوبـــة على هذه الآثار ، والنُّصب التذكارية ، والأعمال الفنية الخالدة ، والأهرامات ، والآثار التي تدلُّ على مناحي الحياة الاقتصادية ، والمنشآت العسكرية والدينية . ويرتبط علـــم الآثار ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ الأثري إلى درجة أنَّ الباحث في التاريخ القديم يعتمد علـــى حكم الخبير الأثري إلاَّ أنَّ عليه أن يبرهن على كفاءته العلمية في مجال الدراسة والمقارنة لفهم مجرى الأحداث التاريخية ، وذلك بالاستعانة بالآثار ، وبإيجاز فإنَ الآثار تُعدُّ سنداً ومصدراً أولياً للمؤرخ الأثري .

ولعل أهم فائدة من دراسة التاريخ الأثري هي التأمل ومعرفة عظمـــة المـــاضي لتكون حافزاً لبناء المستقبل على الرَّغم مِما تعترض كتابـــة التـــاريخ الأثـــري مـــن مشكلات، وغموض في بعض الأحيان ، واستنتاجات مبنية على الخيال .

أما النوع الثاني ونقصد به التاريخ النقدي فهو أخطر أنواع الكتابـــة التاريخيـــة وذلك حين ينصب المؤرخ نفسه قاضياً يحاكم ، ويدين الأجيـــال ، والأفـــراد ، لأنَّ المؤرخ سيرسم الماضي ويفصل بين اختيار المادة التاريخية ، وطريقة معالجتها باســـتخدام

التحليل، والنقد الذي يُوَلِّدُ نقداً آخر ،وذلك بادعاء الموضوعية التاريخية ، أو العلمية ، ولكن هذا هو ما يُسَمّى بالمنهج الانتقائي الذي يختاره المؤرخ ؛ لأن الموضوعية في كتابة التاريخ تُعَدُّ في نظرنا مسألة نسبية خاصة في أثناء معالجة المسائل الدينية ، أو القومية لدى فريق من المؤرخين ...وبحجة البحث عن الحقيقة ، والموضوعية العلمية، ينصب المؤرخ نفسه قاضياً ، أمَّا واقع الأمر فإنَّ المؤرخ يعد موضوعياً من وجهة نظره حين يقيم الدليل ، وعليه أن يمتلك القدرة على الاكتشاف ، والتحليل والمقارنة ، وأن يتسلح بالخبرة ، والثقافة الواسعة ، وأن يتسم بالعدالة والحياد ليكون قاضياً عادلاً ،لأنَّ العوامل التي تؤدي إلى الاختلاف بين المؤرخين تتلخص فيما يلي :

أولاً – الأهواء الشخصية : سواء أكانت حبّاً أم كراهية ، موجهة إلى فرد أو جماعة أو طبقة أو أمة .

ثانياً – التحيّز أو الانتماء سواءٌ أكان هذا الانتماء لمعتقدٍ سياسي أم ديني ، أم عنصري ، أم اجتماعي .

ثالثاً – المدارس المختلفة للتفسير التاريخي .

رابعاً – المعتقدات والقيم الأخلاقية الأساسية .

أمَّا النوع الثالث من الكتابة التاريخية ، ونقصد به التاريخ الاسترادادي أو إعادة التجربة، فالمؤرخ لايستطيع استعادة الماضي، أو أن يبعث الحياة في ماضٍ انتهى، ولن يستطيع أن يمثل دور العظماء والقادة والفلاسفة،ولكنَّ التاريخ الاسترادادي يُعَدُّ ضرورياً بالنسبة للإنسان الذي ينظر إلى الماضي باحترام ؛ فهو يحرص على احترام مخلفات الماضي من قيم ، ومعتقدات ، وآثار، لأنه يعيش بروح أمته عبر تاريخها الطويل وأمجادها .إلاّ أنَّ المؤرخ تواجهه صعوبة التصور الكامل ، والإدراك للأحداث التاريخية وظروفها ، كما حدثت في الواقع ، وسيكون التصور ، والاسترداد التاريخي مبتورين وفقاً للمنهج الانتقائي الذي أشرنا إليه والذي يعتمده المؤرخ في تجميع وثائقه ، ومادته التاريخية[1] .

---

[1] – مرجعنا في هذا الكتاب " البحث العلمي مناهجه وتقنيّاته للدكتور محمد ذيّات عمر ص ١٣٩ – ١٤١ .

المصادر والعلوم المساعدة:

من النادر جداً أن يحصل المؤرخون على مادتهم العلمية مباشرة على عكس أغلب الباحثين في مجالات المعرفة ، فالفنان يضع أمامه اللوحة الفنية ، والفلكي يمسح السماء من خلال التلسكوب ، ويذرع عالِم الجيولوجيا والجغرافيا الأرض التي يقوم بدراستها ، ويجري عالم الطبيعة أو الكيمياء التجارب في معمله ؛ إلاّ أنّ المؤرخ يرتبط بالواقع العملي وعليه أن يدرس مشكلته من بعيد،وأن يتقبل رواية الآخرين قبل أن يبدأ في إعداد روايته ، وذلك فيما يتعلق بدراسة التاريخ القائم على السجلات والوثائق .

وسنورد فيما يلي أهم المصادر للبحث التاريخي [1] :

١ً - المخلفات الأثرية

ويعتمد التاريخ الأثري على العاديّات القديمة كالتحف ، والأدوات التي كان يستعملها الإنسان القديم والمنشآت المدنية ، والعسكرية ، والسُّدود ، والقناطر ، والقنوات ، والطرق ، والمباني ، والمقابر ، لقد بدأت كتابة التاريخ بالنقش على هذه الآثار القديمة ، فقد سجل فيها القدماء تاريخهم ومعتقداتهم ، ونظمهم القانونية ، والإدارية ، وتنظيماتهم الاجتماعية ، وانتصاراتهم العسكرية ، ومن هذه النقوش ظهرت أولى المحاولات لكتابة التاريخ ، ولذلك فهي تعدُّ مصدراً أولياً للمؤرخ ، ويعد بعض العلماء العملات المعدنية فرعاً من النقوش ، وللمنسوجات القيمة التاريخية التي هي للعملات ، والمخلفات الأثرية ، والنقوش فالمادة التاريخية على السجاد الشرقي تعكس الاتجاهات الدينية والتاريخ الحربي والسياسي ، وبعض التقاليد الاجتماعية ، والمستوى الفني لشعوب المنطقة .

---

[1] – البحث العلمي مناهجه وتقنيّاته من ص ١٤٢ – ١٥٣ .

٢ً - الكتب المقدّسة :

تشتمل الكتب المقدسة على قَدْر كبير من المادة التاريخيـــة وتشـــكل الكتـــب المقدسة رافداً هاماً من روافد المادة التاريخية ، فقد أورد القرآن الكريم أخبـــار الأمـــم البائدة مثل عاد ، وثمود التي كانت إلى وقت قريب موضع شَكٍّ عند غير المسلمين مـــن المؤرخين ؛ حتى أصبحت ذات قيمة تاريخية بعد أن أثبتت الاكتشافات الأثرية آثـــارهم في شمال الحجاز واليمن .

٣ً - المصادر التاريخية القديمة:

وهي تلك المادة التاريخية التي وصلت إلينا عن طريق الرّحالة والمؤرخين القدامـى مثل هيرودتس المؤرخ اليوناني ، وأسترابون رديودورس الصقلي ، وقد أثبت البحـــث الحديث صحة جزء كبير من المادة التاريخية التي كتبوها ؛ وإنْ كانت هذه المصـــادر لا تخلو من الخرافة والسذاجة ، والمعتقدات البدائية التي كانت سائدة في عصرهم .

٤ً - كتب الرَّحالة والتراجم :

تُعدّ كتابات الرَّحالة والجغرافيين مصدراً من مصادر المادة العلمية للمؤرخ لمختلف العصور التاريخية ابتداءً من الرَّحالة الإغريق إلى الوقت الحاضر ، وتستند قيمـــة هـــذه المصادر التاريخية إلى أنَ الرَّحالة جمعوا في كتبهم بين المعلومات الجغرافية ، والتاريخيـــة ، وهناك نماذج عديدة لكتب الرَّحالة والجغرافيين العرب تُعدّ ذات قيمة علمية كبيرة .

لقد برز المؤرخون العرب في مجال التراجم والأنساب ، فألفوا مجموعات فريـــدة من كتب التراجم ، والطبقات حسب التخصصات العلمية ؛ فهناك تراجم الصحابـــة رضوان الله عليهم ، والأدباء ، والفقهاء ، والخلفاء ، والأطباء ، والمحدّثـــين ، وتُعـــدّ كتب التراجم مصدراً غنيّاً بالمادة العلمية ، ومكملة للدراسات التاريخية .

٥ً - الوثائق والمخطوطات :

تمتلئ المكتبات والمتاحف ، والمصالح الحكومية في أنحاء العالم بالمادة التاريخية الـــتي لم تنشر ، وتُعدّ ذات قيمة علمية في مختلف مجالات التاريخ ، وهي تتمثل في الوثـــائق

السياسية والديبلوماسية ، والسجلات الرّسمية التي تتضمن المستندات الرسمية مثل محاضر جلسات المحاكم ، والقوانين ، والمراسيم التشريعية ، ومحاضر الجلسات ، والتقارير الإدارية ... وقد استفاد المؤرخون من تطوير المكتبات ، والأرشيف ، والمتاحف التي تحتفظ بمئات الألوف من الوثائق والمخطوطات حتى إنه يمكن أن تقول : إنّ تاريخ هذه المؤسسات يعَدُ جزءاً لايتجزأ من تاويخ الثقافة التاريخية. وقد أظهر العرب اهتماماً مبكراً في العصور الوسطى بالمكتبات ، وقد نشأت المكتبات الشهيرة في بغداد ، والقاهرة ، ودمشق ، وقرطبة .

وفي أوربا تُعدُّ مكتبة الفاتيكان في المرتبة الأولى لتباين محتوياتها ، وقدمها ، وقيمة مجموعات مخطوطاتها ، كما ظهرت مكتبات من الدرجة الأولى في فرنسا مثل المكتبة الوطنية في باريس ، وتحتوي على مجموعات كبيرة من المادة الوثائقية ، وكذلك المتحف البريطاني في لندن ، ومن أهم المكتبات العالمية أيضاً مكتبة الكونجرس في واشنطن ، وتمتاز بأهميتها للباحث التاريخي ، حيث تحتوي على مجموعة كبيرة من المخطوطات والوثائق ، والخرائط .

وتعد المخطوطات ، والوثائق ، والكتب الأعمدة الثلاثية لقاعدة البحث التاريخي ، وقد بذلت حكومات الدول اهتماماً كبيراً بتنظيم الأرشيف العام ، والمخطوطات ، وتكوين المكتبات الكبيرة لتشجيع البحث العلمي ، والإنفاق بسخاء على تنظيم المادة العلمية المتوفرة لمساعدة الباحثين باستخدام الوثائق الحكومية لأنها ذات فائدة للبحث التاريخي .

٦ً ـ السير الذاتية والمذكرات الشخصية :

وتعدّ السيرة الذاتية مفيدة للنظر في الحقائق الثابتة عن حياة شخص ما . وقد درج بعض المفكرين،والأدباء،والمؤرخين على كتابة سيرهم مثل ابن خلدون،وطه حسين .

وتعدُّ المذكرات الشخصية مثل الخطابات ، والمذكرات اليومية ذات فائدة أكثر عمقاً من المصادر الأخرى ، لأنَّ كاتبها لم يفكر في نشرها في أثناء إعدادها ، وتعد أكثر فائدة إذا كان الباحث يقوم بإجراء دراسة ميوجرافية "أي كتابة سيرة ".

٧ً - المشاهدة الشخصية وروايات شهود العيان:

إمَّا بمعرفة الكاتب ، أو معرفة من يتقابل معهم ، وقد عالج الكثير من المؤرخين الأحداث التي حدث جزء منها تحت بصرهم ، وجزء آخر تحت أبصار من كان في قدرتهم أن يستشيروهم .

وقد يحصل الباحث على مشاهدة حادثة مشابهة ، أو نقلٍ . وبسبب الرَّيبة في الذاكرة البشرية ، فإنَّ رواية شاهد العيان يتم تدوينها عادة في لحظة وقوع الحادثة ، وينظر إلى الشاهد الحاضر على أنه أكثر ثقة من الشاهد الذي يبذل جهداً من أجل تذكّر أحداث وقعت منذ زمن بعيد .

٨ً - المصادر الثانوية :

وهي تشتمل على البحوث ، والدراسات الأدبية والفلسفية ، والأطروحات العلمية ، والصحف ، والدوريات ، وهي ذات قيمة علمية للمؤرخ لأنها مبنيّة على استقصاء علمي ، وتزود هذه الدراسات الباحث التوثيقي بمواد، ومعلومات شريطة دراستها دراسة علمية . ذلك أن أيَّ كاتب ، أو فيلسوف ، أو أديب يعيش في إطار اجتماعي ، وهو يعكس في كتابته روح العصر - مهما كان ذاتياً - كما تعد الأطروحات العلمية مصدراً علمياً يمدُّ الباحث المبتدئ ، والمتخصص بمعلومات مهمة عن مشكلة علمية ما لأنها تكتب تحت إشراف علمي ، ويلتزم الباحث فيها منهجاً علمياً ، وتدل الأطروحات على مهارات بحثية كافية ، وتتخذ دراسةً أساسية لجمع المعلومات ، وتقديمها وعرضها بأسلوب علمي متزن .

كما يمكن الاستفادة من الصحف ، والمجلات ، والدوريات في البحث التاريخي ، فهي تمدُّ الباحث بمعلومات أساسية ، وتُعدّ سجلاً ثابتاً إلى حدّ ما للأحداث المحلية ،

والعالمية اليومية ، ويمكن إخضاع الحقائق التاريخية للبحث ، والتمحيص لفصل المعلومات الواقعية عن الانطباعات ، والآراء الشخصية... ولايستغني الباحث عن المجلات العلمية والدوريات ؛ فهي التي تجعله على اتصال دائم بزملائه في حقل تخصصه ، ومتابعة أحدث ما كتب في البحوث التاريخية ، وآخر الكتب التي نشرت .

إنَّ على الباحث الاستفادة من المصادر على مختلف مستوياتها،وتتحدّد قيمة البحث من استعانته بالمصادر ، وتحديد المادة العلمية المتعلقة بمشكلته واختيارها ، وقد لاتكون هذه المصادر سهلة المنال ، بل هي تحتاج إلى كثير من الجهد والبراعة لاكتشافها .

إن المادة العلمية التي يقتبسها مؤلف من مؤلف آخر لايمكن عدها مصدراً أصلياً ، وعلى الباحث الرجوع إلى المادة المقتبسة الأصلية ، ولايمكن اعتبار دوائر المعارف ، والتقاويم ، وكتب المراجع العامة وموجزات المعلومات مصادر أصلية .

وتقرير أصالة البحث يعتمد بالدرجة الأولى على دقة المجهود العلمي وأصالته في الدراسة ، والأساس الصلب الوحيد للاستنتاجات التي يتمُّ التوصل إليها في البحث التاريخي يكمن في استخدام المصادر الأصلية التي تقترب قدر الإمكان من المشكلة التي هي قيد البحث. ونظراً إلى أن المؤرخ يعالج كثيراً من القضايا العلمية في فروع التاريخ المختلفة كالتاريخ الاقتصادي ، والتاريخ الاجتماعي ، والسياسي ، والتاريخ القديم ، والتاريخ الثقافي ، وتاريخ الأديان ، والتاريخ الحضاري ، فإنه يجب أن يتسلح بثقافة علمية واسعة ، فالمتخصص في التاريخ القديم سيعتمد على علم الآثار اعتماداً كبيراً ، ويحتاج إلى معرفة اللغات القديمة . والذي يدرس التاريخ الحديث لاغنى له عن اللغات الحيّة ؛ لأنَ جزءاً كبيراً من المصادر والأبحاث كتبت بهذه اللغات كذلك فإنَّ الباحث التوثيقي الذي يعتمد في بحثه على الوثائق والمخطوطات يجب أن يلم بمبادئ علم قراءة الخطوط ومعرفة تطورها ، ولنضرب مثلاً على ذلك الخط العربي فقد مَرَّ بمراحل خلال التاريخ الإسلامي من العهد الأموي إلى الوقت الحاضر ، وهناك نماذج متميزة للخط العربي في الشرق والمغرب العربي ، وكذلك الخط الأندلسي .

ولاتقل أهمية العلوم الاقتصادية، وعلم النفس، والاجتماع، والعلوم الطبيعية، والفنون، والفلسفة، والأدب، والدين للمؤرخ عن إتقان المهارات البحثية، والتحقيق التاريخي.

وهكذا نرى أنّ كتابة التاريخ تستلزم الاعتماد على الأسلوب العلمي في تحقيق الأحداث التاريخية، والاستعانة بالعلوم الحديثة في تمحيص النُّصوص، والنقد الخارجي والداخلي لمحتويات الوثيقة كما يرى فلاسفة التاريخ أهمية الوصول إلى تعميمات، وقوانين عامة، واستنباط هذه القوانين من خلال الظواهر التاريخية؛ إلا أن العرض التاريخي يعتمد الأسلوب الفني في طريقة إعداده، وهذا يقودنا إلى التساؤل: هل التاريخ علم يمكنه الوصول إلى تعميمات، وقوانين، واعتماد الأساليب الكمية في التحليل، وإخضاع الأحداث التاريخية للتجربة كما يفعل العالم الكيميائي والفيزيائي؟ وهل يمكن تحقيق الموضوعية الكاملة في دراسة التاريخ؟

اشتد النزاع والجدل بين المؤرخين خلال هذا القرن حول ماهية التاريخ: هل هو علم أم فَنّ؟

لايغيب عن الذّهن أنّ أهم ما يهدف إليه أيّ بحث علمي هو الوصول إلى نظرية، أو قانون، أو مبدأ، أو تعميم معقول. إلا أنّ هناك اختلافات حول الأسلوب العلمي في المناهج التطبيقية، ومنهج التاريخ، فمثلاً إمكان التعميم في العلوم المادية يرتكز إلى الاتساق العام للطبيعة على التجربة والملاحظة، ويستطيع علم الطبيعة تقديم ضوابط اصطناعية لضمان خلق ظروف مماثلة لتكرار التجربة والوصول إلى النتائج والتجارب نفسها، وهذه غير ممكنة التنفيذ في التاريخ لوجود العامل البشري، ولايمكن تكرار التجربة الإنسانية، والحصول على النتائج نفسها نظراً لكثرة المتغيرات، وعدم الثبات، وقد رأينا أن المؤرخ يعتمد على عدد من العلوم المساعدة التي تتولى استخلاص القوانين العامة والتعميمات كالاقتصاد، والعلوم السياسية، والاجتماع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكثير من النظريات والقوانين في العلوم التطبيقية التي كان يعتقد أنها نظريات وقوانين ثابتة لا تخضع للتغير أثبت البحث العلمي أنّها قابلة

للتعديل على ضوء القوانين العلمية الحديثة ، وبعد إجـــراء مزيـــد مـــن التجـــارب ، والبحوث واختراع أجهزة ووسائل أحدث ، ولم يقتصر التعديل على العلوم الهندســـية والرياضية ، والفيزيائية ، والفلكية ، وتعارضت نتائج العلم الحديثة مع ما كان ســـائداً في بداية هذا القرن ، ولم تسلم العلوم النظرية ، والاجتماعية من هذا التعديل نتيجـــة المزيد من الكشف،وتحسن أساليب البحث العلمي.وهكذا نرى أن على المؤرخين إعادة النظر في منهج البحث التاريخي، وتطويره وفق أحدث الأساليب العلمية من آن لآخر .

ولقد أدرك المؤرخون أخيراً أنَّ العلم والفن ليسا بعيدين كما كان يفترض سابقاً ، فالفنان والعالم كلاهما يكتب بلغة إنسانية كما أن هناك تكاملاً بين الفن و العلم.

ويمكننا تلخيص أدلتنا على أنَّ التاريخ علم كما هو فن بالأمور الآتية:

١ - أن التاريخ يعتمد الأسلوب العلمي في مراحل التأليف كالتحقيق في الســـند والمتن .

٢ - أن المؤرخ يستخدم العلوم المساعدة التطبيقية في تحقيق أهدافه .

٣ - أن هناك تشابهاً بين علم التاريخ ووسائله في التحقيق ، وبعـــــض العلـــوم الطبيعية مثل علم الجيولوجيا، حيث يعتمد الجيولوجي أسلوب التحقيـــق في دراسة علم طبقات الأرض ، وتحديد أعمارها الزمنية ، ووثائق الجيولوجـــي هي الصخور ، كما يعتمد المؤرخ الأثري الأصـــــول والمصـــادر الماديـــة كالمخلفات المعمارية الثابتة والمنقولة وأدوات الإنسان.

٤ - أن المؤرخ يستخدم الأساليب الفنية ، والتحليـــل الفلســـفي ، والتفســـير التصوري ، وهو كالفنان يحمل ريشته ليرسم نتائج دراســـاته بأســـلوب الفنان .

٥ - أن هناك تداخلاً بين الأسلوب العلمي العقلي ، ومنهج الدراسات النظريـــة في كتابة التاريخ ، وعمل المؤرخ دمج التحليل العلمي بـــــالتصوير الفـــنّ المبدع .

قِدم اللغة العربية وعراقتها

العربية لغة الملايين من المتحدثين بها في الوطن العربي ، أو الناطقين بها في العالم الإسلامي ، وبعض أرجاء المعمورة ، وهي لغة موغلة في القِدم .

وترجع الروايات تاريخها إلى النبي إسماعيل عليه السلام وتذكر أنه أول من تكلم بالعربية[1] "و " أنه أول من فُتِقَ لسانه بالعربية المُبينة وهو ابن أربع عشرة سنة ، وأن الله ألهمه العربية إلهاماً "[2] .

ويذكر الدكتور عبد الغفار حامد هلال[3]: " ويدّعي باحث حديث أنّ العربية كانت لسان إبراهيم عليه السلام واستنبط ذلك من حديث رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عبّاس رضي الله عنهما . ومعنى ذلك أنّ العربية متأصلة في إبراهيم وولده إسماعيل فهما من أول المتكلمين بها"[4] .

وقد حاول الأستاذ الكبير عبّاس محمود العَقّاد أن يستدل على قِدم العربية وعراقتها من خلال دراسة الضمائر ، والعدد فيها، يقول[5]:

" من أقدم ألفاظ اللغة الضمائر، وما إليها من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة ، لأنها وُجدت مع أقدم الأسماء في وقت واحد ، لتنوب عن اسم الشخص المُخاطب ،

---

(1) – محمّد بن سَلاّم الجمحي طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة مطبعة المدني ١٩٧٤ الجزء الأول الصفحة التاسعة .

(2) – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البيان والتبيين تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ – ١٩٥٠ الجزء الثالث ص ٢٩٠ – ٢٩١ .

(3) – د. عبد الغفار – حامد هلال العربية خصائصها وسماتها الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ص ١٦٩ المقصود بالباحث المذكور الأستاذ علي الخطيب نقلاً عن مجلة اللسان العربي الجزء الأول المجلد الثامن ص ٤٧ – ٤٩ .

(4) – العربية خصائصها وسماتها ص ١٦٩ .

(5) – الأستاذ عبّاس محمود العقاد أشتات مجتمعات في اللغة والأدب دار المعارف مصر الطبعة السادسة الصفحة ٧٠ من بحث " مقارنة لغوية في ضمائر الجنس والعدد "

والغائب ومَنْ هو في حكمه ، فيقول المتكلم لِمن يخاطبه (أنتَ) ، ويقول عن الغائب أو الحاضر الذي لايتجه إليه الخطاب (هو) ، ويستغني بذلك عن إعادة الأسماء في كل خطاب أو إشارة . ولايخفى أنّ الأسماء لاتوجد في القِدم دفعة واحدة ، ولاتزال في ازدياد ، وتغيير مع تطور اللغة واتساعها ، فهي - لهذا - لاتصلح كلها للمقارنة بين اللغات المختلفة ، خاصة مقارنة اللغات التي يُراد بها الدلالة على القِدم أو على أحوال اللغات في مادتها الأولى ... أمّا الضمائر فهي محدودة معدودة لايصعب إحصاؤها ، أو تتبّع أدوارها في تطوراتها وتبديلاتها - فهي - لهذا - موضوع من موضوعات المقارنة بين أقدم اللغات ، وأحدثها وهي أدَلُّ من الأسماء على عراقة اللغة ، وتطور استعمالها على حسب الحاجة إليها ، واستناداً إلى هذا المقياس فإنَ الأساذ العَقّاد يحكم أنّ اللغة العربية من أقدم اللغات وأعرقها يقول[1] : وبهذا المقياس من مقاييس المقارنة يمكن أن يقال :إنّ اللغة العربية أقدم اللغات الحيّة بلا استثناء ، وإنها من أقدم اللغات جميعاً وبهذا المقياس أيضاً يمكن أن يقال : إنّ اللغة العربية أعرقها تطوراً وتدرجاً في الاستعمال على حسب الحاجة .

ويؤُكّدُ الأستاذ العَقّاد هذه الحقيقة بقوله :"أمَّا أنّ اللغة العربية أقدم اللغات الحيّة بدلالة الضمائر والأسماء الموصولة فهو ظاهر من احتوائها عليها جميعاً ، وبقاء أصولها جميعاً فيها إلى اليوم مستعملة لأغراضها التي تناسبها[2] " ويورد الأستاذ العقّاد هذه الحقيقة في كتابه "اللغة الشاعرة" يقول في مقدمة كتابه المذكور [3] :"بدأت اللغة العربية تاريخها المعروف بخصائصها المميزة لها اليوم في عصر سابق للدعوة الإسلامية ، يَرُدّه علماء المقارنة بين اللغات إلى القرن الرابع قبل الهجرة ، ويرجع - فيما نعتقد - إلى عصر قبل ذلك لأن المقابلة بينها ، وبين أخواتها السامية يدل على تطور لا يتم في

---

[1] - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص ٧٠ - ٧١ .

[2] - أشتات مجتمعات ص ٧١ .

[3] - الأستاذ عباس محمود العقاد " اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية " الصفحة الثالثة .

بضعة أجيال ، ولابُدَّ له من أصل قديم يضارع أصول التطور في أقدم اللغات ، ومنها السنسكريتية ، وغيرها من اللغات الهندية الجرمانية .

ويتابع الأستاذ العَقاد حديثه قائلاً [1] :"فلابُدَّ من أجيال طويلة تمضي قبل أن ينتهي تطور اللغة إلى هذه التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب ، أو بين صيغ المشتقات ، أو بين أوزان الجمع والمثنى ، وجموع الكثرة ، والقلّة في الأوزان السماعية، ولابُدَّ من فترة طويلة يتم فيها تكوين حروف الجرّ ، والعطف ، وسائر الحروف التي تدخلُ في تركيب الجملة بمعانيها المختلفة وتنفصل بلفظها في ألفاظ الأسماء ، والأفعال التي تولدت منها ، وهي في بعض اللغات لم تنفصل عنها حَتى اليوم".

وقد استدلَّ الأب أنساس ماري الكرملي على قِدَم اللغة العربية وعراقتها بسفر أيوب قال [2] : إن لغة الضَّاد قديمة يشهدُ على ذلك (سفر أيوب) فإنَّ كثيرين من العلماء يذهبون إلى أنَّ صاحبه وضعه بلغته العربية إذ فيه عبارات وتشبيهات ، ومجازات ، واستعارات لاتُعْرَفُ إلاَّ في العربية ، ولاشك أنه نُقل من اللغة العربية إلى اللغة العبرية ، وبقيت في النقل أصول اللغة ومبانيها ، وصيغها على أصلها أو يكاد .

ويرى الدكتور السيد يعقوب بكر أنَّ النقوش الثمودية واللحيانية ، والصفوية ، قد دلَّت على أنَّ اللغة العربية السابقة للفصحى ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وأنَّ أقدم نَصٍّ للفصحى نفسها يرجع إلى سنة ٣٢٨ ميلادية ، وهذا خير شاهد على قِدَم العربية وأصالتها ، وتواصلها حتى يومنا هذا[3].

وقد ذهب بعض علماء المسلمين من الهنود إلى تفنيد زعم طائفة من الأوربيين القائل بحداثة أصول العربية ، بالقياس إلى اللغات الهندية الأوربية معتمدين في تفنيدهم على معرفتهم بالعربية واللغات الأوربية ، فأصابوا كما يرى الأستاذ العَقّاد في تصحيح

---

[1] – اللغة الشاعرة ص ٣ .

[2] – الأب أنساس ماري الكرملي نُشوءُ اللغة العربية ونُموها واكتهالها القاهرة ١٩٣٨ ص ١٠١ .

[3] – الدكتور السيد يعقوب بكر " دراسات في فقه اللغة العربية بيروت ١٩٦٩ ص ٦ – ٧ .

أخطاء اللغويين الأوربيين عند المقابلة بين الكلمات ، كما أصابوا كثيراً في التنبيه إلى تلك الأخطاء ، وإثباتها بدلائل المعاني والألفاظ التي لاشَكَّ فيها ، من ذلك بحث مستفيض للشيخ محمد أحمد مظهر نشره تباعاً بمجلة الأديان الصادرة باللغة الإنجليزية في باكستان تحت عنوان :"العربية أمُ جميع اللغات [1] " أورد فيه مئات من الكلمات الأوربية التي عَدَّها من مشتقات العربية على صورة من الصور اللفظية أو المعنوية منها كلمة الذَرّة (أتومAtom) ، ومنها كلمة (بِت Bit) بمعنى قطع في الإنجليزية من (بَتَّ) في العربية بالمعنى نفسه ،و " آرايف Arrive " في الإنجليزية بمعنى وصل إلى المرفأ ، فهي مأخوذة من " أرفأ " العربية بهذا المعنى ، ويقول إنَّ كلمة "Aspire أسبير في الفرنسية " بمعنى تنفس مأخوذة من الزفير باللغة العربية ويقول إنَ كلمة captive كبتين "بمعنى الأسر والحبس مأخوذة من مادة الكفّ العربية .

وعَقَّب الأستاذ العقّاد قائلاً[2]: ونحن نعتقد أنَّ اللغة العربية أقدم من معظم اللغات الحديثة ، وأنَّ شواهد سبقها في التقّدم تزيد على الشواهد التي يستدل بها على سبق أقدم اللغات الأخرى ، غير أنه عمد إلى وسيلة رآها أيسر وأولى من مقابلة الألفاظ فعمد إلى أسماء الحيوانات الأليفة منها والمتوحشة ، لأنَّ العلم بها - كما يرى - أقدم شيء في لغات بني الإنسان ، وانتهى إلى أنَّ اللغة التي يمكن إرجاع هذه الأسماء فيها إلى مصادر أو معانٍ لها دلالاتها ، أقدم من التي وردت فيها تلك الأسماء مرتجلة يتعذر الرُّجوع بها إلى مثل تلك المعاني فيها ، وأكثر أسماء الحيوانات في العربية ترجع إلى مصادر أو معان معلومة مثل " الحمار" من حمرة لونه ، و " البغل " من مادة أصيلة فيها وهي الخلط والنَسب الدخيل :وكل ما هو غير خالص أو صريح ،و " الغراب" من الغربة ، و" الفرس" من حدّة النظر والاستعانة به على الفراسة . وهكذا عشرات

---

[1] - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص ١٥ .

[2] - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص ١٧ - ١٩ .

الأسماء التي تدل على وجود هذه اللغة ، في أقدم عهد عَرَفَت فيه الأمة العربية هذه الحيوانات ، وهو عهد بعيد في القِدم لم يعرف مثله عهد لغير هذه اللغة نقلت عنه تلك الأسماء بغير هذا اللفظ ، وغير هذا الاشتقاق .

والتفت الأستاذ العَقّاد بعد هذا إلى ما كشفت عنه الحفريات في جزيرة "كريت" من كتابات سامية ، يرتقي عهدها إلى ألفي سنة قبل الميلاد فقال [1] : أغلى الأستاذ سيروس جوردون رئيس مباحث " البحر الأبيض المتوسط بجامعة براندیس أنه اهتدى إلى مفتاح الكتابة التي نقشت على ألواح الجزيرة فوضح له أنَ اللغة "سامية، لاشك فيها ، وأنَّ بعض كلماتها تقارب الكلمات العربية التي نتكلمها في العصر الحاضر ، ومنها كلمة " قرية" وكلمة "ميت" ، وكلمة " داود" منطوقة بما يقربُ من نطق حروفها التي تكتب بها الآن ".

ثُمَّ يذهب العَقّاد أبعد من ذلك فيعقد صلات قوية بين الأبجديتين العربية واليونانية ، وهذا راجع إلى طبيعة العلاقات القوية التي كانت تربط بين الحضارتين منذ آلاف السنين حيث يقول[2]: فليس هناك محل للشك في علاقة هذه الحضارة العربية باليونان منذ عصر الملك "قدموس" وهو مقاربٌ في حساب التاريخ ، وحساب الأساطير لعصر الأميرة " أوربة " والملك " مينوس " على رواية الشاعر هوميروس.

ويوضح الأستاذ العَقّاد ذلك بقوله[3] : "نعم لاشَكَّ في هذا ، لأنَّ الأبجدية اليونانية باقية إلى اليوم تدل على تاريخ العلاقة القديمة فهذه الأبجدية التي يكتبها اليونانيون في عصرنا هذا موافقة بترتيبها حرفاً حرفاً لترتيب الأبجدية العربية ، ولايختلف هذا الترتيب مرّة إلا إذا تقابل حرف من حروف الحلق بحرف من الحروف التي تقاربه في نطق الأوربيين ، لأن الأوربيين لاينطقون حروف الحلق كما هو معلوم .

---

[1] – أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص ٢٢.

[2] – أشتات مجتمعات ص ٢٤ – ٢٥.

[3] – أشتات مجتمعات ص ٢٥.

يقول الأستاذ العقّاد[1] فالأبجدية اليونانية تبتدئُ بحروف (ألفا وبيتا وجما ودلتا) وهي حروف الألف ، والباء ، والجيم ، والدال في "أبجد" على هذا الترتيب . ثم تتقابل حروف "هوز" بما يقاربها مع اختلاف نطق " الهاء" ونطق " الواو " حين تكون حركة مدّ عندهم ، وحرفاً منطوقاً عندنا في بعض الأحيان ، ثم تأتي كلمة " كلمن" متتابعة كما هي عندنا بغير اختلاف لخلوها من حروف الحلق والمدّ ، وهم ينطقونها "كافاً ولاماً وميماً ونوناً" ويتبعونها ببقية حروفنا على النحو الذي أشرنا إليه ".

ولايفوت الأستاذ العَقّاد الرَّد على ما افترضه بعض المؤرخين الأوربيين ممن يتعصبون في نسبة الأبجدية السامية إلى مصدر أوربي قديم لأنهم يدركون هذا الشبه بين الأبجدية عندنا ، والأبجدية عند اليونان فيعترفون به ، ولكنهم يتساءلون لماذا لا يكون الساميون هم الذين اقتبسوا هذه الحروف من مصدر أوربي قديم ؟ يجيب الأستاذ العَقّاد بقوله [2] : وقد ظَلَّ هذا السؤال زمناً معلّق الجواب ، أو محتملاً للإجابة بنسبة الأصول الأبجدية إلى المصادر الأوربية ، لولا أنّ أسماء الحروف العربية عُرفت بمعانيها وأشكالها ، ولم يعرف لها معنى ، ولاشكل يعود بها إلى لغة من لغات الأوربيين ، ومن معاني هذه الحروف ما نفهمه في أحاديثنا اليومية إلى هذه الأيّام ، كالباء من البيت والجيم من الجمل ، والعَين من العين ، والكاف من الكف ، والنون من النون أو الحوت [3] .

فالأبجدية العربية - كما يرى العقاد - رموز مقتطعة من أسماء معروفة فيها كالباء من البيت ، والجيم من الجمل ، وهكذا بقية الحروف ، ولايمكن أن يرد شيءٌ منها إلى أيّ معنى في أية لغة أوربية ، وهكذا يقوم الدليل القاطع على أن العكس هو الصحيح ، وأنّ الأوربيين هم الذين اقتبسوا من الأبجدية العربية .

---

[1] - أشتات مجتمعات ص ٢٥.

[2] - أشتات مجتمعات ص ٢٦.

[3] - أشتات مجتمعات ص ٢٦.

لقد بدا واضحاً أنّ لغتنا العربية أقرب أخواتهـــا إلى الســـامية الأولى وأكثرهـــا احتفاظاً بخصائص السامية الأم،ومادامت كذلك فلا يمكن إلا أن تكون أقدمها جميعـاً، وإذا كانت العربية أقدم أخواتها الساميات ، فقد اتضح بما لاسبيل إلى الشك فيه قـــدم العربية وعراقتها فيه، لدرجة بدا لغير واحد من علماء اللغة ، أنها أقدم اللغات ".

الترجمـــة

حول الترجمة : شروطها ، والحاجة إليها ، كتب تيسير شيخ الأرض :

إن هناك شروطاً تجب مراعاتها عند اختيار الأثر الثقافي لترجمته ، وهذا يرتبـــط بنظرة من يختار ، وهو المترجم حيناً ومؤسسة النشر حيناً ؛ كما أن هناك شروطاً يجـب توافرها في المترجم ليكون على مستوى النص الذي يترجمه .

أ ـ شروط اختيار الآثار المترجمة :

ليس من الحكمة ترك اختيار الآثار التي تترجم للعمل العشوائي ؛ بل لابد مـــن وضع خطة منظمة لهذا الاختيار ، ترتكز على الأسس التالية :

- أن تشمل أمهات المراجع الأدبية والعلمية والفكرية والفلسفية ، بحيث يســـتطيع الدارسون الرجوع إليها واتخاذها منطلقاً لدراسات جديدة وإضافات مبتكرة .
- وأن يرافقها ترجمة لعيون الآثار التي كتبها كبار الأدبـــاء والعلمـــاء والمفكريـــن والفلاسفة ، لتكون شواهد يمكن الركون إليها في الحكم على النظريـلت والآراء الواردة في الأمهات ، إما تأييداً أو دحضاً .
- وأن يكون ذلك في المجالات المتنوعة كلها ، بحيث تشمل الأدب والعلم والفكـــر والفلسفة ، من دون أن تقتصر في أي منها على اتجاه دون اتجـــــاه ، أو علـــى الجديد دون القديم ، أو على ما وَجَدَ مؤيدين له دون ما لم يجد له مؤيدين .
- ولكن مع مراعاة حاجة الأمة التي تترجم الآثار إلى لغتها ، ومراعاة بنية الثقافـــة التي ستدخل إليها ، إذ الثقافة كالجسم الحي يرفض ما هو غريب عنه .

ب ـ شروط المشرف على الاختيار :

ومن هنا كان لابد من شخص أو هيئة معينة للإشراف على اختيار الآثار الـــتي تترجم . وبما أن هناك مجالات مختلفة ، فقد كان من الأحسن أن تقسم هـــذه الهيئـــة العامة إلى أشخاص أو هيئات فرعية تختص كل واحدة منها بمجال معـــين ، علـــى ألاّ

تفقد الارتباط فيما بينها . وهذا يتطلب رئيساً ينسق بينها ، يجب أن تتوافر فيه صفات معينة ، أهمها :

- أن يكون مثقفاً كبيراً تمثّل ثقافته القومية من جهة ، وحاز ثقافة عالمية من جهة أخرى ؛ ليتمكن من توجيه عملية الاختيار وفق الأسس المطلوبة .
- أن تكون ثقافته عامة لاتقف عند حدود اختصاصه ، بحيث يستطيع أن يضم إلى عمق الاختصاص شمول المعرفة .
- ولكن ، على أن يعمل وفق خطة ذات أولويات مدروسة توصل إليها بالمناقشة مع أعضاء الهيئة أو الهيئات التي يرأسها .

ج - شروط المترجم :

وعندئذ يأتي دور الشروط التي يجب توافرها في المترجم ، نقتصر على ذكر أربعة منها نعدها رئيسية :

- أن يكون متقناً للغة التي يترجم منها،ليتمكن من فهمها والنفاذ إلى أسرارها ، فيمتلك النص الذي يترجمه .
- ولكن فهم النص لاتكفي فيه معرفة لغته ، فهو يتضمن أفكاراً في اختصاص معين ، ولابد للمترجم مِنْ أَنْ يكون ملماً بهذا الاختصاص ، لينضاف إلى فهم اللغة فهم المادة .
- بيد أنه ما من أثر ثقافي ، مهما بدا ضيقاً في اختصاصه ، إلا ويحمل في تضاعيفه شيئاً من الثقافة العامة ، ولابد للمترجم من أن يكون ملماً بها ، ليكتمل له فهم نصه . ومن هنا كانت ضرورة الثقافة العامة للمترجم .
- هذه الشروط الثلاثة تمكن المترجم من فهم الأثر الثقافي ، ثم تأتي مهمة التعبير عنه ، وهي مهمة تتطلب إتقان اللغة المنقول إليها ومعرفة أسرارها ، ليتمكن من إعطاء النص صورة مقبولة لدى قراء هذه اللغة .

د - الشروط مجتمعة :

هذه الشروط بمجموعاتها الثلاث تمثل المثال الأعلى للمثاقفة بطريق الترجمة ، ونأمل الوصول إلى تحقيقه في يوم من الأيام . إن تحقيقه يعني تقارب الأمم والتمهيد إلى التفاهم بين الشعوب .

من مجلة "الوحدة" الصادرة عن المجلس القومي للثقافة العربية

العدد : ٦١ - ٦٢ / ١٩٨٩ م . محور العدد

بعنوان : الترجمة وتشكيل الفكر العربي المعاصر .

تعليق:

إن العصر الذي نعيش فيه ، يدفع بنا باتجاه التعّرف إلى "الآخر" ، وتشكل الترجمة نافذة أساسية في تحقيق هذا التعّرف ، وعلى الرغم من القصور الواضح في عملية الترجمة لدى أمتنا بشكل عام ، فإن الاهتمام بهذا الجانب قد بدأ يزداد ، وإن الوعي بأهميته آخذٌ بالنمو ، فقد بدأنا نشهد انعقاد المؤتمرات المتخصصة ، وإطلاق الدوريات المطبوعة ووسائل الاتصال الأخرى في هذا الاتجاه ، ويأتي الاهتمام باللغات الحيّة الفاعلة في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ضمن هذا التوجه نحو العالَم ، والتعّرف إلى ما فيه من أفكار في شتى مناحي المعرفة .

لقد اقترنت نهضتنا دوماً بالترجمة والتفاعل مع الآخر ، فالحضارة العربية الإسلامية كانت واحدة من الحضارات النادرة في التاريخ ، التي انفتحت على تيارات متنوعة من الثقافات الأجنبية ، وعندما دَشَّن الخليفة العبّاسي " المأمون " " بيت الحكمة " ، كان ذلك تعبيراً عن واقع متقدّم ، وطامح إلى الأرقى والأفضل ، وازدهرت حركة الترجمة آنذاك بهدف الاغتناء والاستفادة من الثقافات والتجارب الحضارية الأخرى ، فشملت الترجمة مختلف المعارف من رياضيات وفلك ومنطق وطب وكيمياء وفلسفة وهندسة وسياسة ، وقد أدت تلك الحركة النشطة في الترجمة إلى نقل الفكر اليوناني والروماني والفارسي إلى اللغة العربية ، ولاننسى أن نشير إلى

الدور الذي أدّته الترجمة ، حينما انتقلت خلاصة الفكر والثقافة العربيين ، عن طريق الأندلس ، وأسهمت إسهاماً كبيراً في عصر الأنوار الأوروبي .

ومع بداية القرن التاسع عشر ، وباتجاه تحقيق نهضة عربية حديثة ، وجّه " محمد علي " الكفاءات نحو الترجمة العلمية بالدرجة الأولى ، فاتجهت الأنظار إلى الغرب الذي أثبت تقدّمه في حين كان الشرق – ونحن جزء منه – ينوء تحت وطأة تخلّف سبّبتْه عواملُ كثيرةٌ ، وهذا الأمر ليس بغريب على الحضارات العظيمة في التاريخ البشري ، فلقد فاضت الحضارة العربية الإسلامية ، إبان ازدهارها ، وشكّلت مركزاً عالمياً للإشعاع الفكري والحضاري ، وعادت بعد قرون لتأخذ من حضارات مجاورة ، وتلك سنّةٌ من سنن التاريخ .

وليست الترجمةُ عمليةَ نقل للمعارف والعلوم فحسب ، إنما هي مصدر مهم في عملية التواصل الإنساني ، وهي، فضلاً عن ذلك ، تفاعل حضاري ولغوي يؤدي إلى إثراء لغتنا العربية وتنميتها ، ومن هنا يمكننا أن نعدّ الترجمة عملية تحدٍ تواجهُ اللغة فتستجيب لها ، بإغناء معجمها وتراكيبها واشتقاقاتها ومفرداتها المعرّبة التي تدخل في إطار قواعدها الأساسية ، وبما أن عملية الترجمة هي تفاعل ثقافي ومعرفي مع الآخر ، فإن العمل الذي يقوم به المترجم ، لايقتصر بأي حال من الأحوال على مقابلة كلمات من اللغة الأصل بكلمات من اللغة الهدف ، وإنما تشترط الترجمة معرفةً بالسياق التاريخي والمعرفي والاجتماعي للنص المنقول ، وهذا يعني أن الترجمة فعلٌ أقرب إلى الإبداع منه إلى النقل الآلي .

إن ما نشهده اليوم من تطور لافت في عملية الترجمة ، لايعني أننا في موقع متأخّرٍ فحسب ، وإنما يعني قدرة هذه اللغة على استيعاب علوم العصر ومنجزاته الفكرية ، كما استوعبت منذ قرون طويلة التراث الإنساني ، فحفظته وحاورته ، وتركت فيه بصماتٍ بارزة حتى يومنا هذا . فعندما قام العرب بترجمة تراث الحضارات السابقة لهم ، ولاسيما الحضارة اليونانية ، لم يقتصروا على مجرد النقل والاستيعاب ،

بل أدخلوا الكثير من التعديلات والإضافات والتعليقات على الأعمال المُتَرْجَمة ، ومـــا من شكّ في أن الترجمة المُثلى، هي التي تقوم على تمثُّل المعنى الحقيقي للنص ، والاهتمـام بكل أجزائه ومضامينه .

وإذا كانت أهمية الترجمة لا يحتاج إلى تفصيل وإطناب ، ولاسيما مـــع توافـــر وسائل الاتصال المباشر من إذاعة وتلفاز ، فإنه يبقى للترجمة مكان الصدارة في تحقيـــق المواكبة الفكرية والثقافية ، نظراً لأن الكتاب كان - وما يزال - العمـــــود الفقـــري للتحصيل الثقافي .

ومادمنا في نطاق الحديث عن الترجمة ، فلابدّ من التطرّق إلى مفهوم " التعريب" الذي يعني : نقل لفظة أجنبية بصورتها السمعية ، وكتابتها بحروف عربية ، كما هـــي الحال مثلاً في أسماء الأعلام والأماكن،وعادة ما يلجأ المترجمون إلى"التعريـــب " حـــين يتعذر إيجاد مرادفات عربية دقيقة لمفاهيم أو مصطلحات دقيقة عن طريق الـــتراث أو الاشتقاق ، وذلك باقتباس المفهوم الأجنبي بنفس نطقه الأصلي مع إحداث تغيير تبقـــى معه حروف المفهوم وحركاته ، فكما استخدم العرب القدماء في ترجمـــاتهم كلمـــات مثل : الأسطرونوميا " الفلـــك " ، البويطيقـــي" الشـــعر"الريطوريقـــي" الخطابـــة " الأرتماطيقا" الرياضيات "، يمكن اليوم أن نستخدم كلمات مثل : براجماتية،ديالكتيك ، أيدلوجية ، ديمقراطية... وقد أجازت المجامع اللغوية هذه الاستخدامات عند الضرورة ، ولاسيما بعد انتشار حركة تعريب الكثير من المصطلحات العلمية والفكرية الحديثة .

إن مسألة الترجمة مظهر مهم من مظاهر النهضة والتكوين الثقـــافي القومـــي ، المستقل والمنفتح معاً،وتتأتى ضرورتها الآن من حاجتنا إلى تنمية إمكاناتنا،وبناء حضارتنا ، والحفاظ على هويتنا المتميزة ، وهذا يدفع بنا إلى العناية بترجمة احتياجـــات مجتمعنـــا العربي والاستيعاب الواعي والحر لإبداع الثقافات الأخرى ، بعيداً عن التبعية العميـــلء ، والاستلاب المُذلّ ، وكل ما يسيء إلى أصالتنا وقيمنا ومبادئنا الوطنية والإنسانية .

، ونختم القول في هذا الموضوع برأي الجاحظ (١٥٩- ٢٥٥ هـ) يقول فيه : "ولابدَّ للترجُمانِ مِنْ أنْ يكون بَيانُه في نفس الترجمة في وزن علْمِه في نفس المعرفة . وينبغي أن يكون أعلَمَ الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ، حين يكون فيهما سواءً وغايةً . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلّم بلسانين علمنا أنه قد أدخلَ الضيم عليهما ، وكيف يكون تمكُّنُ اللسان منهما بمجتمعَتين فيه كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ، وإنّما له قوة واحدة ، فإنْ تكلّمَ بلغة واحدة استُفْرغَتْ تلك القوةُ عليها وكذلك إنْ تكلّمَ بأكثر من لغتين على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات ، وكلما كان البابْ من العلم أعْسَر وأضيقَ ، والعلماءُ له أقلّ ، كان أشدَّ على المتَرْجِم ، وأجدَرَ أنْ يُخطِئَ فيه ، ولن تجد البتة مترجماً يفي بواحدٍ من هؤلاء العلماء ".

ـ وحدة الفنون وتآلفها ـ

تكاد العلاقة بين الفنون تكون أمراً بدهياً لايشكُ فيه أحدٌ ، ويكفي أن ننظر في بعض الكلمات ، والتعابير الشائعة في النقد الفَنّي والأدبي ، لنعرف أنها توحي بهذه العلاقة الحقيقية والغامضة في آن واحد : إيقاع البناء ، معمار الرواية ، تصوير الكلمة وموسيقاها ، تجسيم الموقف والفكرة ، لون النغمة الموسيقية والشخصية... والفنون بأشكالها المختلفة ـ كما يؤكد أرسطو في بداية كتابه عن فَنِّ الشعر ـ تصور الحياة ، وتشترك في خاصية أساسية هي "المحاكاة : فالشعر عند أرسطو فَنٌّ وهو فَنُّ محاكاة .

ومن الطبيعي أن تقوم بين الفنون علاقات متبادلة ، وليس من الصعب على أيِّ إنسان أن يربط لأول وهلة بين الشعر والموسيقا ، وأن يحس بنفسه أنَّ العلاقة المباشرة بينهما تمدُّ جذوراً في مفهوم الشعر نفسه ، إذ يكفي أن يتذكر أنَّ الشعر لاينفصل عن الوزن ، والإيقاع ، والتنغيم ، والإلقاء .

ولو قَلَّبت في تاريخ الفَن ، والنقد ، والأدب لوقفت على نصوص كثيرة تقرّب بين الفنون ، وتلتمس الوحدة المشتركة بينها في البناء والغاية ، ولن نعدم مثلاً من يصف بناء المعبد الإغريقي بأنَّه تكوين موسيقي، ومَنْ يميل للمقارنة بينه وبين المأساة (التراجيديا) الإغريقية .

لاسبيل إذن لإنكار العلاقة بين الفنون، سواءٌ تصورناها علاقة توازٍ ، أو تبادلٍ ، أو تفاعل ، أو تأثير وتأثر عبر العصور والآداب ، فأديب الرُّومانطقية الألمانية وناقدها أوجست فيلهلم شليجلّ يرى أنَ الأدب الكلاسيكي أقرب بطبيعته إلى النحت ، وأنَّ الأدب الحديث والرومانطيقي أقرب إلى الرَّسم والتصوير ، وأنَّ الناقد الفني المشهور "هربرت ريد" يذهب إلى أنَّ أوزان الشعر عند الأنجلوسكوني يمكن أن تقارن بزخارفهم ، وأن منظراً طبيعياً رسمه الفَنّان "جينز بورو" في شبابه يذكرنا بقصيدة

"كولينـــز" " أنشودة للمساء" بينما تذكرنا المناظر الطبيعية التي رسمها ذلك الفَنّـــان في أواخر حياته ببعض خصائص شعر " ورد زورث" [1]

ولعلّ أقدم نصٍّ نعرفه في تاريخ الأدب والنقد الغربي عن هذه العلاقة الســـاحرة الغامضة بين الشعر ، والفنون التشكيلية هي العبارة المنسوبة إلى سيمونيدس الكيوسي[2] التي يقول فيها :إن الشعر صورة ناطقة أو رسم ناطق ، وإن الرَّسم أو التصوير شـــعر صامت ؛ ولا تلبث أن ترد على الخاطر تلك العبارة من كتاب" فَن الشعر : للشـــاعر الروماني هوراس : ٦٥ - ٨٠ ق.م " وهي التي يشبه فيها القصيدة بالصورة ، ويطالب ببذل الجهد لصقل البيت الشعري وتشكيله .

والمهم في هذه العبارة التي تعددت شروحها عبر العصور أنها أكّدت التشابه بين الفنون - ولاسيما الشعر والرسم -إلى الحدّ الذي جعل النُقّاد في عصر النهضة يقرؤونها على الوجه الآخر : كما يكون الشعر يكون الرسم . ولقد كانت هذه العبارة القصيرة وراء التأملات العديدة التي دارت حول نظرية الفن ، والعلاقة بين الفنون ، خاصة منذ القرن السادس عشر إلى معظم القرن الثامن عشر ، وبينما ذهبت قلّة من الشـــعراء إلى تفوق الرَّسم على الشعر في محاكاة الطبيعة البشرية ، جعلت الأغلبية من نفسها حمـــاة للشعر وراحت تؤكد أنّ الشعراء هم أعظم الرَّسامين . ومنـــذ أن وصـــف الكـــاتب الإغريقي الساخر لوكيان".من١٢٠-١٨٠م"شاعر الإغريق الأكبر هوميروس بأنّه رسَّام مُجيد في كتابة الصور أو الإيقونات،وأيّده في هذا شاعر عصر النهضة بـــترارك (١٣٠٤-١٣٧٤م) انطبقت صفة الرَّسامين أو المصورين العظام على عدد من الشعراء تمتدُّ مـــن "ثيوكرتيس"و"نرجيل" و " توركواتوتاسو " و " أريوستو "إلى"سبنسر" و"شكســـبير "

---

[1] - هذه المعلومات مأخوذة من الكتاب الذي أصدرته سلسلة عالم المعرفة الكويت وهي سلسلة كتب شـــهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بعنوان "قصيدة وصورة " الشعر والتصوير عـــبر العصـــور تأليف د. عبد الغفار مكاوي العدد ١١٩ربيع الأول ١٤٠٨هـــ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٨٧م ص٨ -١٢".

[2] - من جزيرة كيوس في بلاد اليونان ، وقد عاش من ٥٥٦ إلى ما يقرب سنة ٤٦٨ ق.م.

و "ملتون" وجماعة الشعراء الذين سَمَّوْا أنفسهم في القرن التاسع عشر باسم "السابقين على رافائيل"[1] .

و لم يخل الأمر من ناحية أخرى من وجود نقّاد يؤكّدونَ أنَّ الرَّسامين والمصورين شعراء ، وأنَّ فناناً رائع الخيال مثل " أنجلو" يشهد على شاعرية فن الرَّسم ، ويسمح بمقارنة الرَّسامين الشعراء بالشعراء الرَّسامين .

ومهما يكن الأمر فإن عبارة "هوراس" المشهورة قد نجحت في تأكيد العلاقة القائمة بين الشعر والرسم وغيرهما من الفنون ، وأثرت في نظريات الشعر والفن عبر العصور ، وهدت العديد من الشعراء والفنانين التشكيليين على دروب الإلهام ومسالكه الغامضة وحفزتهم على مواصلة نشاطهم الإبداعي المثمر.

لكن علاقة القرابة بين الشعر والرَّسم لم تلبث أن ظهرت مرة أخرى منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أيامنا الحاضرة...وكانت فنون الشرق التي تَعَرَّف عليها الغربيون على نطاق واسع منذ ذلك الحين هي المسؤولة عن هذا التحول . فقد أَحَسَّ الناس بشاعرية الرُّسوم الشرقية ، وبنزعة الشعر الصيني والياباني إلى الرَّسم والتصوير . وتزايدت الدراسات النقدية التي توضح العلاقة الوثيقة بين الشعر والرسم .

كان الشعراء الصينيون في معظم الأحيان رسّامين ، كما كان النقاد - في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بوجه خاص - قد أكّدوا التوازي بين الشعر والرَّسم في عبارات قريبة من العبارات المأثورة عن سيمونيد وهوراس . وها هو ذا واحد منهم - وهو كورسون - يقرر أنَ الرَّسم والكتابة فَنٌّ واحد ، وأنَّ الشاعر يستطيع أن يرسم الشعر كما يستطيع الرسام أن يكتب قصائد بلا صوت .

---

[1] - هم مجموعة من الشعراء الذين استلهموا الفنانين الكبار الذين سبقوا رافائيل ، واعتمدوا في تصويرهم على الرؤية والتجربة المباشرة دون التقيد بالقواعد الفنية ومن أهمهم "روسيتي" هنا المعلومات مأخوذة من كتاب قصيدة وصورة الشعر والتصوير عبر العصور السابق ذكره ص ١٤.

ومهما يكن من تحذير بعض نقاد الفن وفلاسفته من الغلوّ في هذه المقارنات بين الفنون إلى درجة تذويب الحدود بينها ، فإنه لايمكن أن تتجاهل التأثيرات المتبادلة بينها ، ولا أن نجرِّد رؤية الفنان للقصيدة من كلِّ قيمة ، ولا أن نغفل الثمار التي جناها الأدب والفن التشكيلي من التجاوب الروحي والعملي بينهما ، وإنّ التأكيد على الصلة الحميمة بينهما ، لايعني أنّ القصيدة الشعرية يمكن أن "تمثل " الصورة أو العمل التشكيلي بحيث تكون مطابقة لها ، أو أنّ هذين الأخيرين يمكنهما أن يترجما المشاعر والأخيلة ، والمواقف النفسية ، والعقلية التي تنطوي عليها القصيدة . فمن الفنانين أنفسهم من يحدّثنا عن صعوبة استيحاء المضمون الشعري وتحويله إلى صورة . وقد اعترف الفنان الألماني "باول كليه" بأنه من العسير إيجاد تشكيل فني يطابق الموضوع "أو الموتيف" الشعري مطابقة تامة ، والعكس كذلك صحيح . فمن الصعب أن نقف على الأعمال الفنية اللغوية (أي القصائد) التي تناظر الصور والتماثيل ، أو تعكس على الكلمة ما أظهره الفنّان في اللون ، والظل ، والخط ، والتشكيل ، ولكن لاتخفى الفائدة التي يمكن أن يجنيها الفن والأدب من أمثال هذه المقارنات ، بل إنّ الأمر ليتخطى حدود الفنّ والأدب لينعكس على علوم الاجتماع والنفس ، واللغة ، والأدب المقارن ، والجمال . ففي إمكان المهتم بأحد هذه العلوم أن يقوم بهذا اللون الفريد من البحث المقارن ليلتمس فيه الإجابة عن مشكلة تشغله . ففي إمكان عالم الاجتماع - على سبيل المثال - أن يعرف كيف تَلقى النّاس عملاً من الأعمال الفنية في عصر معيّن بكل ما ينطوي عليه تلقّي الفنّ من مضامين اجتماعية ، ودلالات على روح العصر وثقافة المجتمع ، وميول الطبقات المختلفة .

وفي استطاعة عالم النفس أن يتوسل بالنص الشعري للتغلغل في نفسية الفنّان ، والاطلاع على أسرار صنعته وإبداعه . ولن يتردد عالم اللغة عن دراسة القصيدة ليكشف عن دلالة الكلمات ، والصور ، والتكوينات اللغوية والإيقاعية ، وهل اقتصرت كلمة الشاعر على الإشارة والوصف ، أم حملت قوة الرَّمز وقدرته على الإشعاع ، والإيحاء ، والتلوين .

أمَّا مؤرخ الفَنّ ، وناقد الأدب ، وفيلسوف الجمال فسيجدون في هذه المقارنات موضوعات للبحث لاتنفد ، وربما وجدوا فيها حلولاً لمشكلات لم يكن من السهل الإجابة عنها قبل ولوج هذه الأرض الحرام التي كانت تفصل بين الفَن التشكيلي والأدب، لعلنا لانبالغ إذا قلنا : إنَّ العمل الفني الحقيق أشبه بمنجم غني بكنوز الأسرار ، وأسرار الكنوز . وكل من يتأمل ذخائره لابُدّ من أن يفعل هذا من وجهة نظر معينة تتحكم فيها عوامل لاحصر لها ، ويستخرج منه هذا الجوهر الثمين ، أو ذلك حسب قدرته ، وموهبته ، وثقافته ، وخبرته، ونظرته للحياة ، والكون، والفن، وربما اختلفت هذه القراءة عند القارئ الواحد من لحظة إلى أخرى ومن مرحلة من العمر إلى مرحلة ، وفي كُلِّ مَرَة يكتشف القارئ طبقة من طبقات النَّص كانت خافية عليه ، ستسعفه قراءاته السابقة بطبيعة الحال . وربما أعانته تجاربه الأدبية والفنية التي اكتسبها من خبرته بالتراثين الأدبي والفني على الغوص في تلك الأعماق . وعلى قدر العمق الذي بلغته هذه الخبرة الحيّة يكون عمق القراءة . ومن الأمور المتفق عليها اليوم أنَّ قراءة الشعر نوع من الخلق والإبداع ، فنحن عندما نقرأ شعراً نتمثل ما فيه من تجارب ومشاعر وأخيلة ، وتنفتح لعيون بصيرتنا مجموعة من الصور والمناظر ، والمواقف التي رسمها الشاعر ودفعنا على رسمها من جديد لنعايشها بحالة شاعرية وشعورية تكاد تكون قريبة من ذات الحال التي صادفته عندما كتب قصيدته وربما تكون الحال كذلك مع الصور واللوحات ، وأعمال النحت التي نتأملها ، ونحاول أن ندخل إلى عالمها . فهي تجسم أو تظهر - بالخط واللون والضوء والظل ، أو بالحجر والخشب والنحاس ...الخ - مجموعة من المشاعر والأفكار ، والتجارب التي اختلجت في عقل الفنان ووجدانه ، وفي الحالين نجد أنفسنا مدعوّين للمشاركة في تكوين أو تشكيل ، أو بناء خاص انصهرت فيه الألفاظ والصور والأوزان والإيقاعات من ناحية ، والخطوط والألوان والمساحات والظلال من ناحية أخرى .

ولنحاول أن نقرأ بعض الصور ، ولنبدأ "بالجوكوندا" أو " الموناليزا" التي تعدُّ من أشهر كنوز الفَنّ ، كما تُعدَّ ابتسامتها المميزة لغزاً أبدياً ربما يفوق في غموضه ، وحنانه ، وسخريته ابتسامة أبي الهول ...

ماذا تقول هذه الابتسامة التي لاتنطق ، وبماذا تتحدث هذه النظرة الهادئة المفعمة بالتعاطف والأسى ، والدعابة والتعالي ؟ إنَ الرَّزانة والصبر تحيطان هذه السيدة الإيطالية البيضاء المنعمة ، ويداها المشبوكتان على صدرها كحمامتين تتناجيان فتزيدان من الإحساس بالرِّضى ، والاستسلام ، والحنان .كُل شيء فيها ومن خلفها يكرس هذا الإحساس ويقلقه في آن واحد : المنظر الطبيعي الساكن الذي يوشك أن يحيلها هي نفسها إلى طبيعة ساكنة ، البحر البعيد ، والصخور البللورية ، والسماء المتلاشية الزرقة ، والماء الفضي المنحدر من الجبل ، والشجر وجذوع الشجر الناصعة البياض ، والظل الرَّاسخ الداكن الذي يتجدد على " الخلفية "، ولايفلح لمعان الماء الفضي ، ولانصوع الجبين الوضاء ، وأنوار الفجر المتوهّج من بعيد ، لاتفلح كلها في زحزحة هذا الظل الجاثم ، ومعه الأفول والنضوج والحكمة المترفقة ، لكن روعة المنظر الطبيعي الملتف في ثوب الغروب أو في ثوب الحداد لا تستطيع أن تشغلك عن النظر إلى العينين اللتين لا تتحولان عنك ،ولا يمكنك أن تُحوّل عينيك عنهما ! وهي تعجز بالتأكيد عن تشتيت انتباهك إلى الابتسامة التي لا تدري أهل تفترّ عن الحب أم عن القسوة ؟

وتهزُّ رأسك حيرة وعذاباً ، ثم ترفعه وتثبت عينيك على عينيها وشفتيها . لاشك في أنها تريدُ أن تقول شيئاً أو أشياء لكن أهل تقوله للفنان الذي كان عاكفاً على رسم صورتها ، أم تقوله لكل من سيقف أمامها في مستقبل الأيام والأجيال ، أم تخاطب به نفسها في عزفٍ منفرد يصمت في نطقه ،وينطق في صمته ؟ إنَّ النظرة الممتلئة بالحياة – على الرَّغم من سكونها الظاهره والبسمة التي تختلج على الشفتين محاولة الإفلات من اللون والظل ، والمكان الذي قيدت فيه منذ أكثر من خمسة قرون لترقص ، وتهتز ، وتتحرك في الزمان ، وتظل الحيرة من لغز الموناليزا أو ألغازها تطاردك : أهل كنت أمام المرأة العروس ، أم القديسة البتول ؟ أهل تكلمت إليَّ بصوت العرَّافة

القديمة ، أم رتلت صلوات المؤمنة الراضية ؟ أهل ضحكت أم بكت ، أهل رَحَّبَتْ بزيارتي أم طردتني من بيتها ؟ ليت شعري أهل اقتربت منها أم ابتعدت ؟

إنّ الفَنّان العظيم قد رسم "فلسفته" ، عندما رسم هذه المرأة وقد دعانا للمشاركة والحوار ، وصان مذهبه من التحجر والتعصب.

بقي علينا أن نعرِّجَ على أدبنا العربي ونطرح هذا السؤال : هل نجد أثراً لقصيدة الصورة في تراثنا الشعري والنقدي قديمه وحديثه ومعاصره [1]؟ وإذا صَحّ توقعنا للجواب فهل يمكننا إزاء التراث العريق ومراعاة لمقتضى الحال أن نتتبع الخيوط الأساسية للاهتمام بالصورة في جانبها الذي يؤكد المقارنة القديمة بين الشعر من ناحية ، والتصوير أو الرسم من ناحية أخرى ؟

من الطبيعي أن نجد الصورة الفنية على اختلاف أنواعها ومستوياتها،ووظائفها ، في الشعر العربي ، شأنه في ذلك شأن كل شعر آخر ؛ فقد كانت الصورة ، و لم تزل، هي جوهر الشعر الثابت،ووسيلته التي لايستغني عنها في الكشف عن الحقائق الشعرية ، والإنسانية التي تعجز اللغة العادية ، واللغة العلمية عن الكشف عنها وتوصيلها.

وربما يكون "الجاحظ" هو أول مَنْ التفت إلى طبيعة الشعر من حيث هو "ضرب من النسيج وجنس من التصوير " والعبارة تقدم لنا مصطلح التصور الذي يهمنا في هذا السياق ، والجاحظ يستخدمه في العبارة السابقة وفي كتبه ووسائله استخداماً يمكننا أن نستشف منه ثلاثة مبادئ :

أولها : أنّ للشعر أسلوباً خاصاً في صياغة الأفكار والمعاني وهو أسلوب يقدم على إثارة الانفعال ، واستمالة المتلّقي إلى موقف من المواقف .

ثانيهما : أنّ أسلوب الشعر في الصياغة يقوم على تقديم المعنى بطريقة حسيّة ، أي أنّ التصوير يرادف مع ما نسميه الآن " التجسيم " .

---

[1] – هذه التساؤلات الواردة مع المعلومات السابقة من كتاب قصيدة وصورة :"الشعر والتصوير عبر العصور"ص٣٠.

وثالث هذه المبادئ : أنّ التقديم الحسي للشعر يجعله قريناً للرّسم ، ومشابهاً لـه في طريقة التشكيل ، والصياغة ، والتأثير والتلقي، وإن اختلف عنه في المادة التي يصوغ بها ويصّور بواسطتها [1] .

ومن الواضح أنّ المبدأ الأخير يشير إلى دلالة كلمة التصوير على رسم لوحة ، أو تشكيل تمثال ، بحيث يصبح معنى الصورة مرادفاً للوحة المرسومة ، ويكون ربط الشعر بالرسم أمراً ناتجاً عن إدراكَ أنّ التقديم الحسيّ للمعنى أو التجسيم عنصر مشترك بين الشعر والرسم لأنّ كُلاً من الرّسام والشاعر يقدم المعنى بطريقة بصرية.

ومع أننا نعتقد الأساس النظري لفكرة المقارنة بين الشعر والرسم في كتابات الجاحظ المعروفة ، كما نفتقد التطبيق العملي لها على نصوص الشعر ، فإنّ بعض أحكامه النقدية تؤكد ميله إلى هذه المقارنة ، وإلى ذلك النوع من الشعر الذي يقدم مشهداً أو منظوراً واضحاً لمخيلة المتلقي كأنه لوحة يرسمها رسّام .

ويصل الكلام على الصورة والتصوير الشعري إلى ذروته عند عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم المشهورة ، إنه يحتج في معرض دفاعه عن الصورة في كتابه "دلائل الإعجاز" بعبارة الجاحظ السابقة ، والاستعارة أو التمثيل ، وجمالها ، وتأثيرها وقدرتها على تجسيم المعنوي وتقديمه تقديماً حسيّاً ، وتشخيصه ، وبث الحياة والحركة فيه حتى ليكاد تراه العيون ... ويبدو أن تركيز عبد القاهر على الجانب البصري الخالص من التقديم الحسي للمعنى وتجسيمه وتشخيصه أمام العين ، قد جعله يرد روعة الشعر إلى براعة التصوير ويقارن بين عمل الشاعر ، وعمل الرسام ، على أساس أنّ الاحتفال والصنعة في التصويرات والتخيلات الشعرية تفعل فعلاً شبيهاً بما يقع في نفس الناظر إلى "التصاوير"التي يشكلها الحذّاق من الرّسامين أو المصورين ، يقول

---

[1] – راجع الدكتور جابر أحمد عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي القاهرة ، دار المعارف (١٩٧٣) ص ٢٨١ – ٢٨٣ . وقد اعتمد صاحب كتاب قصيدة وصورة د. عبد الغفار مكاوي اعتماداً كبيراً على هذا الكتاب في عرض اللمحات القليلة عن الصورة والتصوير في تراثنا النقدي القديم .

عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز :"فكما أنّ تلك تعجب وتخلب ، وتروق ، وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها ، ويغشاها ضرب من الفتنة لاينكر مكانه ، ولايخفى شأنه ، كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور ، ويشكله من البدع ، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يُتوهم بها الجماد الصامت في صورة الحيّ الناطق ، والموات الأخرس في قضية الفصيح المعرب والمبين المميز ، والمعدوم المفقود في حكم الموجود المشاهد.

هل يمكننا الآن أن نلتقط من تراثنا القديم بعض النماذج الشعرية التي توضح الآراء النظرية السابقة ، وتُقترن برسم أو تصوير أو عمل فني محَدد ؟

إن أول ما يخطر على البال هو سينية أبي نواس . (١٣٠هـ/٧٤٧م- ١٩٠ هـ / ٨٠٦م تقريباً) التي أعجب بها الجاحظ وفضلها على غيرها من شعر أبي نواس ، ولايستبعد أن تكون وراء عبارته الشهيرة التي أكد فيها الصلة بين الشعر والتصوير ، وكان أبو نواس قد أخذ بعض صحبه ، ومَرَّ على المدائن مقر الأكاسرة فرأى بعض حاناتهم ، ودور لهوهم وأُنسهم التي لم يتبق منها غير أطلال ، فكتب قصيدته الشهيرة :

١ - ودار ندامى عَطّلوها وأدلجوا[١] بها أثَرٌ منهم جديدٌ ودارسُ[٢]

٢ - مَسَاحِبُ[٣] من جَرِّ الزِّقاقِ[٤] على الثرى وأضغاثُ ريحانٍ[٥] جنيٌّ ويابسُ

٣ - حَبَسْتُ بها صحبي، فجدّدت عَهْدَهم وإني على أمثال تِلك لحابسُ

٤ - ولم أدرِ مَنْ هم؟ غيرَ ما شَهِدت به بشرقيِّ سَابَاط[٦] الديارُ البسابِسُ

---

(١) - أدلجوا : ساروا من أول الليل .

(٢) - دارس : من درس إذا عفا الرَّسم وتغير .

(٣) - مساحب بدل من أثر في البيت السابق .

(٤) - الزِّقاق : جمع الزق أوعية الخمر

(٥) - أضغاث ريحان : جمع ضغث والضغث القبضة منه .

(٦) - ساباط : مدينة فارسية قريبة من المدائن، البسابس المقفرة .

٥ – أقمنا بها يوماً ، ويوماً ، وثالثاً ويوماً له يوم الترحل خامس

٦ – تُدار علينا الرَّاح في عسجديةٍ[٧] حَبَتْها بألوان التصاوير[٨] فارسُ

٧ – قرارتها كسرى ، وفي جنباتها مَهاً[٩] تَدَّريها[١٠] بالقِسيِّ الفوارسُ

٨ – فللخمر مازُرَّتْ عليه جيوبُها وللماء مادارت عليه القلانسُ[١١]

والأبيات الثلاثة الأخيرة تصف الكأس الذهبية الحافلة بألوان من التصاوير الفارسية ، ففي أسفلها صورة كسرى ، وعلى جوانبها صور بقر وحشي ، وفوارس تَخْتِلُها ، وتحتال عليها لترميها بالنشاب وقد ملئت الكؤوس حيث بلغت الخمر مواضع الجيوب ، أو الحلوق من تلك الصور ، وصب الماء عليها حيث الرؤوس التي تدور عليها القلانس ، أو أغطية الرأس الشائعة في ذلك الحين .

ومع أن الكأس التي وضعها أبو نواس قد زالت بما نقش عليها من تصاوير كما زالت الدار والندامى الذين كانت تدار عليهم ، ومع أنّ فرصة المقارنة الجمالية بين صور القصيدة والتصاوير الفارسية قد ضاعت إلى الأبد ، فإن المشاهد التي رسمتها أبياتها الثلاثة الأخيرة لم تزل متدفقة بالحياة ، ولو وضعناها في سياق القصيدة ، وفي علاقتها بالأبيات الثلاثة المتقدمة عليها لاستشعرنا "جدلية الحياة والموت " بكل قسوتها وصدقها ، لقد خلت الدار وصارت أطلالاً دارسة ، لم يبق فيها من الندامى الذين هجروها سوى آثار من جرّ الزقاق على الثرى وبقايا ريحان جنّي ويابس . وفي إطار الزوال والفناء الذي زاده الرحيل حزناً على حزن ، وضع الشاعر أحداث الماضي في صورة تثبته،وتجعله حاضراً في خيال كُلّ ناظر إليه أو قارئٍ لسطوره أو مستمع شعره . ترى كيف كان يبدو كسرى في قرارة الكأس ؟ هل كان يجلس على العرش؟ وكيف

---

(٧) – في عسجدية : في كنوز عسجدية ، والعسجد الذهب .

(٨) – يصف الصّور التي على جوانب الكأس .

(٩) – لمها : البقر الوحشي .

(١٠) – تدريها : تخْيلها لتصطادها من غير أن تشعر .

(١١) – القلانس : أغطية الرأس الشائعة في ذلك الحين .

بدت ملامح وجهه، ونظرات عينيه ؟ والفوارس ، والمها، وفعل الصيد بمختلف عناصره ومكوناته وزخارفه وحركاته وظلاله ؟ لاجدوى من الأسئلة التي كان يمكن أن تثري الإجابة عليها إحساسنا بالقصيدة ، وتذوقنا لها ، فنحن أمام قصيدة تصور لا قصيدة صورة أو تصوير لم يبقَ لها للأسف أثر .

ويمكننا أيضا أن نقف عند رائعة البحتري الشهيرة في وصف إيوان كسرى ، قصيدة المتنبي التي قالها في مدح سيف الدولة في أثناء مقامه في إنطاكية .

لاشك في أنّ النماذج القليلة تقربنا من قصيدة الصورة دون أن تفي بمقوماتها ، أو تتيح المقارنة الجمالية بين النص اللغوي والأصل الفني الذي أتت عليه يدُ الفنان . ويكفي أن نذكر في عصرنا الحديث بعض قصائد أحمد شوقي المشهورة مثل قصيدته عن معبد أنس الوجود أو قصيدته عن أبي الهول؛ولكن الحقيقة التاريخية تقول إن قصيدة الصورة بمعناها المفهوم في الشعر العالمي لم تظهر بصورة محددة إلاّ على يد الشاعر العالم الدكتور أحمد زكي أبو شادي (١٨٩٢-١٩٥٥)رائد جماعة أبولو ، ومؤسس مجلتها .

ومضى الشعر الحر على الطريق الذي بدأه أبو شادي . وظهرت قصيدة الصورة التي تصف اللوحة الفنية ، أو التمثال فتستوحي مضمونهما أو شكلهما ، أو تجعلهما مناسبة لتقديم رؤية الشاعر للعالم ، أو نقده للعصر والمجتمع ، أو تأملاته في وجود الإنسان ومعناه ، نقف على قصائد للشاعر صلاح عبد الصبور ، وعبد الوهاب البياتي ، وأمل دنقل ، وأدونيس ، وبد المعطي حجازي .

ولعلنا نخلص من هذا العرض السريع إلى نتيجة مشجعة على السير في الطريق ، بحيث يكون لنا نوع أو نمط أدبي مستقل يقبل عليه المبدعون والمتلقون على السواء ويحقق المتعة الجمالية التي يوفرها التفاعل بين الفنون [1]، ويعمل على نضج قصيدة الصورة التي لم تحظ حتى الآن بما تستحقه من عناية في أدبنا وفننا الحديث .

---

[1] – قصيدة وصورة " الشعر والتصوير عبر العصور ص ٥٦ وما قبل .

"البدويّ" يحاور "المعرّيّ"

من قصيدة "إيهٍ حكيمَ الدهر" لبدويّ الجبل ، وقد قيلت في مهرجان المعرّي الألفي ، اخترنا هذه الأبيات :

١ - الدهرُ مِلْكُ العبقريةِ وَحْدَها ... لامِلْكُ جبّارٍ ولاسفّاح
والكونُ في أسراره وكنوزِهِ ... للفكر لالوَغَى ولالِسلاحِ
لاتَصْلُح الدنيا ويصلحُ أمرُها ... إلا بفكرٍ كالشُعاعِ صُراحِ

*****

٢ - أعمى تلفّتِ العُصورُ فما رأتْ ... عند الشموسِ كنوره اللمّاح
نفذت بصيرتُه لأسرارِ الدجى ... فتبرّجتْ منها بألقِ صباحِ
مَنْ راح يحملُ في جوانحه الضحى ... هانتْ عليه أشعّةُ المِصْباحِ

*****

٣ - إيهٍ رهينَ المحبسين أَلَمْ يَئِنْ ... إطلاقُ مأسورٍ وفكُّ سَراحِ
ظفرتْ برحمتك الحياةُ وصنتها ... عن كل ناعسةِ الجفونِ رَداحِ[1]
أتضيقُ بالأنثى وحبُّك لم يَضِقْ ... بالوحشِ بين سباسبٍ[2] وبِطاحِ
ياظالمَ التفّاحِ في وَجَناتها ... لو ذُقتَ بعض شمائل التفاحِ
عِطْرٌ أَحَبُّ من المنى وغِلالةٌ ... بدْعٌ فمن وَهْجٍ ومن أفراحِ
هي صورةٌ لله جلّ جَلالُه ... عَزّتْ نظائرُها على الألواحِ

*****

إضاءة على أفكار النص :

يقرر الشاعر في البيت الأول ، بجملة خبرية ، أن العبقرية سبيلٌ إلى الخلود ، ويتابع في البيتين التاليين مُبيناً أثر الفكر الحرّ الجريء في كشف أسرار الوجود ، وتقديم

---

[1] – إمرأة رداح : ضخمة الرّدف سمينة الأوراك . الصُراح : الخالص مما يشوبُه .

[2] – السَّبْسب : القفر والمفازة ، والأرض المستوية البعيدة ، ج سباسب .

الأجوبة المناسبة ،فالأولوية للعقل المُفكّر الباحث عن حلٍّ لأسرار الحياة ، وليس للقوة ، وآلة الحرب والدمار .

وترد هذه الأفكار ضمن أسلوبٍ تقريري ، خبري ، جازم ، لاتكثر فيه الصور الفّنية ، وكأن الشاعر من خلال هذا التقديم لأهمية الفكر يمّهد للإشادة بموقع شاعرٍ مُفكّر ، فيلسوف ، كأبي العلاء المعرّي .

ويرسم الشاعرُ في المقطع الثاني بأبياته الثلاثة صورةً متفرِّدةً للمعّري، وهي صورة معنوية ، بمعنى أنها تركّز على ما تّميز به المعّري من عقل ناقدٍ ، وأفكار جريئة، وعلينا أن ننتبه إلى الصفة التي أوردها الشاعر في مقدمة المقطع " أعمى" فمن المعروف أن أبا العلاء المعري قد فقد بصره في سن مبكرة " الرابعة من العمر " وعاش بقية عمره كفيفاً ، فالشاعر يقرر هنا حقيقة معروفة وشائعة ، فكلمة "أعمى" وردت في موقع الخبر لمبتدأ محذوف تقديره "هو"وهذه الصفة هي المَلْمَح الحّسي الوحيد الذي يقدّمه الشاعر عن أبي العلاء المعري ، لكنه لايلبث فيما تلا ذلك ، أن ينسخ هذه الصفة من خلال صور بيانية رائعة ،فقد عوّض المعرّي فقدان البصر ببصيرةٍ نافذة ،وفكر متوهج . ولقد أجاد البدوي تصوير هذه البصيرة ، معتمداً على صور بيانية متدفقة ، مشبعة بالدلالات والإيحاءات لنتمعّن في قوله : تلفتت العصور

حيث أسند الشاعر للعصور"وهي معطىً معنوي"صفة من صفات الكائن العاقل وهي التلفت وبالتالي الرؤية على سبيل الاستعارة المكنية ، والاستعارة كما نعلم : تشبيه حُذفَ أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به) وهي أكثر تأثيراً من التشبيه في نفس المتلقي ، فالعلاقات القائمة في الاستعارة توحي بالتفاعل أكثر من علاقة المقارنة التي يؤديها التشبيه ، وغاية الشاعر من خلال هذه الصورة ليست استعارة التلّفت للعصور فحسب ، بل إضفاء سمة الإشعاع على المعرّي ، وتنبع جمالية المعنى من كون المعري "أعمى" لكنه يشعُّ نوراً ومعرفة ، فالتضاد هنا شكّل حالةً شعرية ، أحسنَ الشاعر توظيفها ، وإذا كان المعرّي قد فقد البصر ، فإن الله قد حباه بصيرة نافذة استطاع من

خلالها أن يجوس في مجاهل واقعه ، فيصل إلى الأعماق ، ويكشف أسراره ، ببصيرة تتلألأ وتشعّ ، وكأنّ أنوارَ " ألف صباح" قد عُلِّقَتْ بها ، ومثل هذه المبالغة جائزةٌ في الشعر، إنْ لم نقل إنها مُحبَّبة ، ومؤثرة في ذهن المتلقي ، ولعل الذروة التي يصل إليها الشاعر تتجلّى في البيت الثالث من هذا المقطع :

من راح يحمل في جوانحه الضحى هانت عليه أشعة المصباح

فهذا البيت مكوّن من كلمات "عادية" لكن الشاعر أحسن استخدامها ، وحمّلها مَثَلاً رائعاً : من كان يحمل في داخله ضوء الشمس فما حاجته إلى ضوء المصباح ؟ فالبون شاسع بين نور الشمس ونور المصباح .

إن شعرية هذا المقطع ، إضافة إلى ما ذكرنا ، تتجلى في ذلك التآلف القائم بين الصور والمفردات ، بحيث تشكل معاً صورة مشبعة بالضياء والنور ،فكلمة " أعمى" التي استهلّ بها الشاعر أبياته ، تتبدد دلالتها مع نهاية المقطع ، وتحلّ بدلاً منها معاني مناقضة لها ، ويرجع ذلك إلى حشد من المفردات المترادفة ، والمتناقضة مع دلالة الكلمة الأول"أعمى" ، من مثل : الشموس ، نوره اللماح ، نفذت بصيرته ، ألف صباح ، الضحى ، أشعة المصباح .

فالبقعة السوداء التي تكوّنت منذ البداية مع كلمة " أعمى" ، تنمحي بتأثير تدفّق المفردات المضيئة المذكورة آنفاً ، الحاملة لحججٍ وبراهين تنفي دلالة الكلمة الأولى ، ولاسيما أنها جاءت في سياق من الصوَّر ، مما يوحي بواقعيتها وصدقها ، إذ إنه من المعروف أن الصور الفنية ، ولاسيما الحسيّة منها ، تسهم في ترسيخ الفكرة في ذهن القارئ ، وما هذه المكوّنات الحسية سوى طريق إلى الذهني ، أو الفكرة المجرّدة .

ويأتي المقطع الثالث ، ضمن أسلوب يغلب عليه الإنشاء (تكرار النداء والاستفهام)، ومن خلال هذا الأسلوب ، يُقيم الشاعر حواراً مع سلفه المعرّي ،فيسأله ويناديه، وتتكشف لنا من خلال الأسئلة بعض فلسفة المعري في الحياة : فهو لم يتزوّج ،

و لم يأكل اللحم ، لكن شاعرنا يعاتب المعّري برفق ، فكيف ضاق قلبه بالأنثى ، وهو الذي فاض حبّه على المخلوقات غير الإنسانية بما فيها الوحوش النائية .

لقد أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات - وهي مُجْتَزَأة من قصيدة طويلة - أن يعرّفنا بعَلَم من أعلام تراثنا الزاخر، الذي لُقّب بـ فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة ، تقديراً لرؤاه العميقة في الحياة والكون من حوله،وإشادة بنتاجه الأدبي الثرّ شعراً ونثراً ، ولعله من حق القارئ أن يتساءل : أليس من الأجدى أن نتعرّف إلى "المعرّي" من خلال السير والتراجم ، ومن خلال نتاجه تحديداً ؟

ونجيب نحن : إن هذه الأبيات تقدّم لنا رؤية شاعر معاصر لسَلَفٍ له ، تفصل بينهما قرون عديدة ، وهذه الرؤية تُقدَّم من خلال الفن ، أي الشعر ، فقيمتها نابعة من كونها تقدم متعة فنيّة بالدرجة الأولى ، ومعرفة تاريخية وإنسانية بالدرجة الثانية ، وإذا أردنا أن نعدِّدَ الأفكار التي تقدمها الأبيات ، على الرغم مما في ذلك من غبن للشعر وللفن عموماً ، فإنا نورد ما يلي :

١ - العبقرية طريق الخلود : وللتدليل على صحة هذه الفكرة ، فإننا بصعوبة نتذكّر اسم الخليفة ، أو الحاكم الذي عاصره المعّري ، أو المتنبي ، أو غيرهما من المبدعين ،هذا إن لم يكن الحاكم قد هجي أو مُدِح على لسان شاعر عظيم ، فهنا يخلد اسمه لكن بفعل غيره والأصح بقوله .

٢ - أثر الفكر في جلاء أسرار الوجود : فالإنسان لايقدر على امتلاك وسائل الحياة ، ما لم يتعرّف إلى الكيفية التي تمكّنه من صياغتها وتوجيهها بما يخدم أهدافه وغاياته ، وما تزال أفكار الأوّلين حيّةً في عصرنا ، أما القصور الشامخة ، والحضارات السابقة ، فقد أصبحت خراباً ، أو أطلالاً دراسة يعتبر بها اللاحقون .

٣ - يشير "البدوي" إلى مسألة بارزة في حياة "المعّري" وهي فقدان البَصَر، لكن هذا العمى الذي أُصيب به الشاعر مبكراً - في سن الرابعة - لم يحجب بصيرته عن رؤية الحياة ، واستكناه أسراراها ، وإعادة صياغتها من خلال إبداعه ، فقد وُهب

المعّري خَيَالاً خَلاّقاً ، طاف به في أرجاء الكون الفسيح ، ونقل إلينا خلاصة ما توصّل إليه من الأفكار والصور سواء .

٤ - ثم ينتقل شاعرنا إلى التذكير بفلسفة "المعّري" الخاصة تجاه المرأة - فالمعري لم يتزوج - والامتناع عن أكل اللحم ، وغير ذلك ، ومن خلال هذا التذكير نتعرّف إلى موقف " البدوي" من المرأة : فوجنتاها تفاحتان ، وضوعها عطر ، وحضورها وهجٌ وفرح ،وهي آية من آيات الخالق - جلّ جلاله - وختاماً ، فإن ما قلناه ليس سوى إضاءة بسيطة على نص إبداعي معاصر ، اتخذ من شخصية مُبْدِع سابق مادةً له ، وموضوعاً لقصيدته ، فأمتَعَنا أولاً ، وزادَنا معرفةً ثانياً .

غرض الفلسفة

د. عادل العوا

ينبثق عن عملية التمايز الدؤوب التي بها تستقلُّ شتّى منازع البحث عن أصلها الفلسفي لتلبسَ حلّةَ العلم في مُختلف صوره ومجالاته، ينبثقُ تساؤلٌ يُلْحِفُ عن غرض الفلسفة والعلم ضمن جدلهما السرمدي ،وتتضح الإجابة بإيجاز لدى مقارنة كلٍّ منهما بصاحبه ، أو طبيعة الأهداف المُميِّزة للجانبين كليهما . فللعِلم هدفٌ نظريٌ أولاً ، لأن العلم يلبّي نزعة الظمأ للمعرفة والتطلّع إلى التنظيم على النحو الذي يشرئب إليه الفكر البشري ، فيسعى لفهم كيف تجري الحوادث ، إن لم نَقُلْ لفهم أسبابها .

وللعلمِ، من ناحية أخرى ، هدفٌ عمليٌّ : ذلك أنه يفيد العمل، ويتيح للإنسان أن يتجنَّب ، على نحوٍ أفضل ، الأخطار ، وأن يلبي حاجاته على نحوٍ أحسن .

أمّا الفلسفة فإن لها ، كالعلم ، هدفاً نظرياً : إنها ترضي ، أو تسعى لنقع غُلّة ظمأ المعرفةِ المتجه إلى الحياة الداخلية ، وإلى منجزات العقل البشري الكبرى ، وقد يذهل المرء حيال العلم الواسع الذي يَلْفاهُ في داخله . وربما عني بما يجري في نفسه عنايته بالأشياء واهتمامه بها ، وبالفلسفة يحاول استشفافَ حركةِ الفكر ووثوب القلب ، ويسعى لاكتشاف تأثير ذلك في الأفعال والأمارات ، ويمتاز أناسٌ بأنهم "عاشقو أنفسهم". ومن ناحية أخرى للفلسفة كما للعلم ، هدفٌ عملي ، لأنها كذلك ترفد العملَ أيضاً . فهي تساعد على تأثير الإنسان في نفسه . وعلمُ النفس يبيّن للمرء ما هو ، والمنطق والأخلاق ما ينبغي أن يكون ؛ كيف ينبغي له أن يفكّر ويعمل ، ومن شأن مادة التفكير التي تدعمها الفلسفة أنها تمدُّ الحياة الفكرية والأخلاقية بخير عونٍ . كان " سقراط" يوصي أول ما يوصي قائلاً " اعرف نفسَك بنفسِك" .

ولايقتصر نفع الفلسفة على تعليمنا كيف نفكّر ، وكيف نعمل على وجه أحسن ، وإنما تدفعنا أيضاً إلى تذوّقِ الجمال تذوقاً أفضل ، بسائر البحوث الجمالية ،

وإلى تمييز العلم عن الإيمان ، بنتيجة إجادة نقد المفاهيم الميتافيزيقيـــة ، ثم إنَّ الفلســـفة تفتح باب التسامح والتعاطف الفكري مع شتى أنماط التفكير .

فالفلسفة تفكير يتناول شؤون الحياة،على نحو يجعلنا نعيش عيشاً أفضل، ويترتَّبُ على دراستها من جّراء ذلك ، أن تتيحَ فرصَ تقويم عقولنا وأخلاقنا ، وتحقق تقدُّمَنا .

إضاءة على النص :

صاحب هذا النص هو الدكتور: عادل العوا ،المولود في دمشق سنة ١٩٢١ م ، والحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة "السوربون" سنة ١٩٤٥م ، وهو من أَمْـيَز أعلام الفلسفة على صعيد الوطن العربي ، وله إسهاماتٌ كثـيرة وجليلـةٌ في ميـدان الفلسفة ، والفلسفة الأخلاقية لاسيما ، حتى ليعدَّ المرجع الأكثر أهميـــةً في الفلســفة الأخلاقية في العالم العربي ، وإلى جانب ذلك ، كان له فضل المشـاركة في التأسـيس لجامعة دمشق المنبثقة عن الجامعة السورية ، إلى جـــانب فضلـــه في تأســيس قسـم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في جامعة دمشق .

من المؤكَّد ، أنه سيكون من الصعب الإمساك بمفاتيح النص ، أيّ نـــص ، إذا نحن حكَمْنا أنفسنَا برؤية أحادية تفترض أنَّ ما يقوله النص هو شيء واحد ، وكلّ مـا عداه خاطئ.

نعم، إن ما يريد قولَه صاحب النص ، هو في الأغلب الأعم شيءٌ محدَّد ، قـــد يكون واضحاً وقد لايكون ، ومحاولة استنطاق النص ينبغي ألا تعني ، أو تَصِلَ إلى حـدِّ حرفِ مرادِ صاحبه عن غايته ، مهما كان استنطاقُ النص مفتوحَ الآفاق ،لأن فتـــحَ آفاق استنطاق النصِّ يعني : إحصاءَ احتمالات ما ينطوي عليه من دلالات ، لاتغيـــيرَ هذه الدلالات ، ويمكن القول : إنَّ استنطاقَ النصِّ هو استنفاد ما يمكـــن أن ينطـــوي عليه من أفكارٍ تفتح لنا منافذَ جديدةً للرؤية .

وفتح منافذ جديدة ، يعني ، أساساً ، اكتساب معارف جديـــدة ، والمعـــارف الجديدة المكتسبة لن تكون ذات جدوى من دون أن يُحْسَنَ توظيفها ، ولـــن يحســـن

توظيفها ما لم تنتظم في سياق رؤيةٍ منهجية منسجمة، وهذه الرؤية المنهجية المنسجمة ، إما أن تكون علماً أو أنْ تكون فلسفةً ، أي أنَّ العلم والفلسفة سواءٌ ، فالأساس واحدٌ، والبنية واحدة ، والغاية هي ذاتها .

تقوم الفلسفة والعلم على حدٍّ سواء ، على أساس واحد ، هو المادة المعرفية ، وكلاهما يشترط انتظامَ هذه المادة المعرفية واتساقها وتجانسها ، وغاية كليهما هي حلُّ المشكلات التي تصدّى لها ، وهذا الكلام ، يفرض علينا مباشرةً سؤالاً هو : إذن لماذا سُمّيا باسمَيْن و لم يحملا اسماً واحداً ؟

ينبغي أن نلاحظ هنا ، أن وحدة المسار ، من البداية إلى الغاية ، لاتعني بالضرورة وحدة الموضوع ، فالمشكلات التي يتصّدى العلم لحلّها ، ليست هي المشكلات ذاتها التي تتصدّى لها الفلسفة ، وإلى جانب ذلك ، فإن طبيعة الحل في الميدانين كليهما تتمتع بنوعٍ من الخصوصية ، هي التي تلعب دور الفصل في التمييز بينهما . فالحلُّ الذي يقدمه العلم مُتَسِمٌ بنوعٍ من " التكميم" القابل للقياس ، أمَّا الحلول الفلسفية فهي معيارية، ولذلك فإن الحلّ الذي يقدمه العلم يفرض تقبّله على الجميع ،أمّا الحل الذي تقدمه الفلسفة فإنه يرضي ، على الأقل ، مَنْ يؤمن به ، ولاتقلُّ قناعةُ من يؤمن بهذا الحل ، يقيناً ، عن قناعته بما يقدمه للعلم من حلول قاطعة .

هل هذا ما يريد أن يقوله الدكتور عادل العوا ؟

إنها واحدةٌ من الرؤى ، يقول "نيتشه": كُنْ رَجُلاً ولاتتبعني . فحاولْ أن تقدم رؤى جديدة ، ولاشك في أن النصَّ غنيٌّ ، والرؤى كثيرة .

أوراق الزيتون

أوراق الزيتون[1] ، شعر محمود درويش ، وقد بدأت صفحات هـذا الديـوان بموقف من قضية الأدب والفن، وقفه الناشرون ، وصدّروا به الديوان، يقولـون فيـه : " نعرف عصوراً سوداء ، امتازت بضيق الأفق ، أصاب الجفاف فيها الأدب حَتى كاد أن يجف ، ولكننا لانعرف عصوراً جرت فيها تحولات اجتماعية عميقة ، واتسعت آفـاق الحياة أمامها ، أجدب فيها الأدب ، وتوقف نبضه ، ولذلك لانؤمن بأزمات تصيـب الأدب شعراً ونثراً ، بل نشهد أزمات تصيب الكُتّاب والشعراء حين ينطـوون علـى ذواتهم ، ويقيمون في برج عاجي من صنعهم.

وهكذا فالحديث عن أزمة في الأدب العربي لايستقيم مع الحقائق ، فمن الأدبـاء من يكتب نثراً ، وينشد شعراً يشيع بالحياة ، ويَجدُّ إلى الكفاح مـن أجـل إنسـانية متحررة ، ومنهم مَنْ يضيع في دوامة العدم والضياع .

وهذا الديوان يثبت هذه الفرضية ، يثبت أن لاوجود لأزمة في حياتنا الأدبيـة ، فلن يجد القارئ في أبياته نواحاً يصدر عن يأس . أو غيبية تعود إلى التشاؤم ، بل سيجد فيه تفاؤلاً في عصرنا ، وإيماناً برسالة الإنسانية المتحررة .

ولانفاخر إن قلنا : إنّ القارئ يتجاوب مع هذا الديوان لأنه سيكتشف فيه أمانيه في حياة الخير والجمال.

يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي[2] : وهكـذا فقد كان اختيار لجنة " الكتب

---

(1) – أوراق الزيتون ديوان شعر لمحمود درويش يأتي في مقدمة دواوينه إصدار الكتب المختارة طبع في مطبعة الاتحاد التعاونية تموز ١٩٦٤ ومن دواوينه القريبة من هذه الفترة "عاشق من فلسطين" طبع في الناصرة أيار ١٩٦٦ ، وآخر الليل طبع في مطبعة الجليل – عكا ١٩٦٧ .

(2) – دراسات في شعر الأرض المحتلة محاضرات ألقاها الدكتور عبد الرحمن ياغي علـى طلبـة قسـم البحـوث والدراسات الأدبية واللغوية نشر معهد البحوث ، دراسات العربية التابع لجامعة الدول العربيـة القـاهرة ١٩٦٩م ، دراسة هذه القصيدة من ص ١٠٢– ٠٨ ، القصيدة في ديوان محمود درويش من ص ٥ – ١٠ .

المختارة : لنشر هذا الديوان على بيّنة من أمر الفن الذي يخدم الحيـــاة ، ويحـــدو إلى الكفاح ، دون أن يبيح لأصحابه التهاوي في دوامات العدم والضياع فـــلا نـــواح ، ولايأس ، ولاغيبة تقود إلى التشاؤم أو يقود إليها التشاؤم ، وإنما هو التفاؤل ، وإيمـــان بالأرض وبالإنسان ، وبرسالة الإنسانية المتحررة ، وسواء توالت قصائد الديوان حسب الزمان ، او حسب الاهتمام ، او كيفما اتفق،فإننا سنقف عند قصيدته "بطاقة هوية".

الهُوية ، هُوية لاجئ ، نمط للاّجئ العربي ورقم بطاقته خمسون ألفاً ، وهو يديـــر حواراً بينه وبين مسجل من أعدائه يريد أن يحصي أسرته .

وفيها ما يشير إلى صورة من صور التذّمر الذي يصدر عن المسجل ، لاعن اللاجئ .

وهكذا يطرح الشاعر محمود درويش القضية في عبارات بسيطة بساطة تبلغ حدّ العجب في القدرة على فتح أضيق الأبواب على أرحب الآفاق .

سجِّل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم

سيأتي بعد صيف

فهل تغضب ؟

سّجل

أنا عربي

فهذا الموقف ، التسجيل ، رقم البطاقة ، والانتماء ، وعدد الأطفال ، والتكـــاثر في الصَّيف ، ومايشير إلى تبرم المسجل ، وتأكيد الانتماء ، كُلُّ هذا النسيج العجيـــب حِيك بأنامل فنية بارعة ، قادرة ، تأخذ بالألباب وكانت مادة النسيج أشياء عاديـــة ،

وخيوطاً مألوفة في حياة النّاس ، أصبحت حين حيكت أحلى بل أغلى مـــن خيـــوط الذّهب.

وبعد أن اطمأن إلى هذا المدخل ، نراه يشمخ بإنسانيته ، ويختار موقفاً اجتماعياً ، ويختار لنفسه في هذا التركيب الاجتماعي مايكرم الإنسان الكادح .

واعملُ مع رفاق الكدح في محجر

واضح الانتماء ، شامخ الإنسانية ، بيّن الموقف ، لديه القدرة التعبيرية التي تشير إلى هذه المضامين دون أن تفقد الموقف حرارته ، وصلابته ، واعتزازه بكدح من أجل أطفاله الثمانية ، الذين يَعِدُون بالتاسع .

أسلُّ لهم

رغيفَ الخبز

والأثواب

والدفتر

إنه حريص على توفير حاجاتهم الإنسانية ، كادحاً يَسلُّ[1] لهم ذلك من الصخر ، وهو واعٍ حَقّه ، مدرك موقفه .

ولا أتوسلُ الصَّدَقات

من بابك

ولاأصغرُ

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب ؟

وهذا الوضوح في الموقف ، وهذا التبّين للغاية ، وللدرب الذي يمضي فيه ، يجعله رغم ما يغّشي الموقف من بعضِ الغيوم والضياع في اللقب ، يجعله صبوراً رغم ما يثـــير

---

[1] – المعنى انتزاع الشيء.

الغضب حوله ، فهو ثابت الخطو في درب الغاية ، لأنه يعرف أين تمتّد جذوره ، وأين ترسو ، من قبل ميلاد الزمان ، ومن قبل ميلاد السرو والزيتون ، ومن قبل ترعرع الأعشاب ، وهو رغم هذا كله معتز بأبيه الذي انحدر من أسرة المحراث ، لايحمل أصباغ السادة النجب ، ولازيف الحسب والنسب ، وهو يروي ذلك في بساطة تحمل خيطاً من السخرية الواثقة ، أو الثقة الساخرة ، وهو مؤمن بمنزلته في التركيب الاجتماعي ، لاعن صَغَار أوقَبُول بالهوان ، بل عن إدراك لدور هذه الطبقة ، وهو واقف في موقفه أمام عدوه فهو يأمره بالتسجيل أمراً يحمل الثقة الراسخة التي لاهياج فيها :

سجّل

أنا عربي

أنا اسمٌ بلا لقب

صبور في بلاد كلّ ما فيها

يعيش بفورة الغضب

جذوري

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتّح الحِقب

وقبل السرو والزيتون

وقبل ترعرع العشب

أبي

من أسرة المحراث

لامن سادة نُجب

وجدّي

كان فَلاّحاً

بلا حَسَب ولا نسبِ

وبيتي

كوخُ ناطور

من الأعواد والقصب

فهل ترضيك منزلتي

أنا اسم بلا لقبِ

سجّل

أنا عربي

ولون الشعر فحمي

ولون العين بنّي

وميزاتي

على رأسي عقال فوق كوفيه

إنَ ثباته البسيط ، وثقته بقوة جذوره ، واعتزازه بما سيؤول إليه ، التركيب الاجتماعي الصحيح ، كل أولئك يعرضه على عدّوه المسجل بصورة تستفزه ، وتستثير الغضبَ لديه دون أن يملك من المواجهة شيئاً ، إنه يملك كفّاً في صلابة الصخر تخمش من يُلامسها ، وإنه يجد متعة فِيما يأكل وأطيب ما يحبّه من الطعام الزيت والزعتر .

حتى إذا بلغ الشاعر محمود درويش هذه الغاية ، قذف في وجه عدّوه بما ارتكبه في حَقِّهِ ، وَحقِّ جميع أولاده ، وأحفاده ، ثم يختم هذا الموقف المُرّ الصارم بموقف إنساني رائع ، عميق ، بسيط ، يتضمن على بساطته عمق النظرات الإنسانية ، فهو لايكره الناس ، وهو لا يسطو على أحد ، ولكنه ، ولكنه ، إذا حُرِمَ من حقّه وحقّ أولاده وأحفاده في الحياة ، وإذا سلبوا لقمة عيشهم وجوّعوا ، فإنه ينقلب إلى مفترس يفترس لحم مغتصبه ، وهو يُحَذّر ، ويحذّر ، من الإقدام على سلبه طعامه ، وإلا انفجر غضبه.

وكفي صلبة كالصخر

تخمش من يلامسها

وأطيب ما أحب من الطعام

الزَّيت والزعتر

سجّل

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

وأرضاً كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

و لم تترك لنا

ولكل أحفادي

سوى هذه الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم كما قيل ؟

إذن

سجّل برأس الصفحة الأولى

أنا لاأكره الناس

ولاأسطو على أحد

ولكنّي

إذا ما جعت

آكل لحم مغتصبي

حذار حذار من جوعي

ومن غضبي

هذا الموقف الذي اختار له الشاعر محمود درويش بطله من بـــين اللاجئـــين ، وجعله نَمَطاً لأعداءٍ هائلة منهم ، فاختاره من وسطهم ، فرقمه خمسون ألفاً، وهذا الحوار

الذي أداره بينه وبين عدوه ، وهذا العرض ، والمدخل ، والنمو والمضي في الأحداث ، وهذا الإفهام ، وهذه النفسية الخطيرة في مواجهة الأعداء ، والوقفة الإنسانية منها ، ثم هذه الذروة التي آل إليها الموقف والخاتمة التي اختتمها ، وهي أقوى خاتمة ، خلقت من أضعف الضعفاء أقوى الأقوياء ، كل ذلك بطريقة بسيطة ، وعلى شكل أقترب منا يكون إلى الأشكال الدرامية التي تختفي فيها "الأنا" المفسدة المغرورة المريضة التي تقفز دوماً على ألسنة الشعراء الرومانسيين واتخذ فيها محمود درويش موقف الشاعر الدرامي الذي لا يزيّف على لسان بطله شيئاً قط ، بل أنطقه بأحداث بسيطة ، وعبارات من الحياة ، وجعل "الأنا" على لسانه ، قوة ، وصموداً ، وثقة ، دون أن تحسَّ بتدخله هو .

إنَّ هذا كله يبعث في نفوسنا الإعجاب بالقدرة الفنية على خلق هذه المواقف الدرامية الرائعة الباعثة على الثقة ، والرُّسوخ ، والصُّمود ، والنصر في معركة التحرير الإنسانية .

الفهرس

مقـــدمة	٣
القسم العام	٤
– النص الأول : آيات من القرآن الكريم	٥
– النص الثاني : لابن زريق البغدادي	١٦
– النص الثالث : لخير الدين الزركلي	٢٩
– النص الرابع : لأبي حيان التوحيدي	٣٣
– النص الخامس : لبدوي الجبل	٥١
– النص السادس : لسعيد عقل	٦٢
– النص السابع : من الحديث الشريف	٦٧
– النص الثامن : لأبي فراس الحمداني	٧٠
– النص التاسع : لجورج جرداق	٧٨
– النص العاشر : لمحمود درويش	٨٢
– النص الحادي عشر : لنـــزار قباني	٨٩
– النص الثاني عشر : لأمل دنقل	١٠٣
– أخطاء شائعة	١٢٥
– المصطلح العلمي	١٣٦
– المعجم	١٥١
– نصان للمطالعة في المصطلح العلمي والمعجم	١٧٤ – ٢٠٢

فهرس الأبواب النحوية

- الاحرف المشبهة بالفعل	٢٤
- الاستفهام	٥٦
- الإغراء و التحذير و الاختصاص	٤٧
- أفعال المدح والذم	٤٦
- الأفعال الناقصة	٢٧
- التعجب	٤٦
- العدد وكتاباته	١١١
- الفاعل والنائب عنه	١٣ — ١٥
- القسم	٤٩
- المبتدأ والخبر	٢٢
- النداء	٥٤
- النفي	٥٩

فهرس القسم الخاص

- الإسلام والفنون في البلاد الإسلامية ٢١٣
- واقع اللغة العربية ٢١٨
- من نهج البلاغة ٢٢٦
- نصان جغرافيان : ١ - آلية حدوث الهطول ٢٣٤
  ٢ - صعود لبخار ٢٣٤
- نص فلسفي : كينونة الإنسان ٢٣٨
- نص في الشريعة والحقوق ٢٤٢
  وصية عمر بن الخطاب الخليفةَ من بعده
- نص سياسي وطني قومي (١) : سد الفرات ٢٤٦
- نص سياسي وطني قومي (٢) القائد الخالد ٢٤٨
- نص فقهي حقوقي : الجهاد ٢٥١
- نص أدبي : رثاء أخت ٢٥٧
- نص اقتصادي اجتماعي : في علم العمران ٢٦٢
- نص اقتصادي معاصر : العولمة ٢٦٦
- شاعر ومدينة ٢٦٩
- منهج البحث التاريخي ٢٧٣
- قِدم اللغة العربية وعراقتها ٢٨٥
- الترجمة ٢٩٢
- وحدة الفنون وتآلفها ٢٩٨
- "البدوي" يحاور "المعري" ٣٠٩
- غرض الفلسفة ٣١٤
- أوراق الزيتون ٣١٧